

على المك

# مختارات من الأدب السوداني



دار جامعة الخرطوم للنشر

١٩٩٠

الناشرون  
دار جامعة الخرطوم للنشر

الطبعة الأولى ١٩٧٥

الطبعة الثانية ١٩٨٠

الطبعة الثالثة ١٩٩٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

University of Khartoum Library

Location

Sud.

Acc. No.

298699

Class Mark

SLWC

الفلاف

تاج السر أحمد

الطابعون

مطبعة جامعة الخرطوم

دار جامعة الخرطوم للنشر

ص . ب ٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

صدرت الطبعة الاولى لهذه المختارات مطلع عام ١٩٧٥ ، اضطلمت بأمر نشرها دار جامعة الخرطوم للنشر ودار هورست ايرلمان بألمانيا الاتحادية . ولقد سعلت حقا باقبال القارئ عليها اقبالا جعلنى انحمس لاختراج طبعة جديدة منها ، رأيت أن أضيف الى ما كان نشر فى تلك الطبعة ، وما فكرت أن أحذف شيئا مما قد نشر . فأتيت لاشك تجد أن القصة القصيرة - مثلاً - قد جعلت تقوم على قلميها فى السنوات الخمس الأخيرة ، ولذا فإن من جاءوا مبشرين بالجديد فيها يستحقون أن يتخبط من أدهم شيء . ومن هؤلاء كاتب من اقليمنا الجنوبي هو جوناثان ماين . ثم مقالة للتيجانى يوسف بشير لم تكن لتلفت النظر حيث كانت ، لولا أن يسر لنا ذلك ظهور كتاب يحوى طرفا من آثار التيجانى الثرية ، مما أتاح لنا فرصة النظر الى أسلوبه الفريد وموضوعاته المتميزة . (١)

وأنت تلحظ فى هذا السفر - أيضا - قطعة الأستاذ عبدالله رجب هى طرف مما كان ينشر بعنوان ( مذكرات أغيش ) فى جريدة ( الصراحة ) . ولعل مايميز تلك المذكرات ، أو السيرة الذاتية أنها كانت تسرد الأحداث التى مرت بصاحبها ، ومر بها فى تفصيل دقيق ، مما يمنح القارئ فرصة حسنة ليلم بروح ذلك العصر ، يضاف لهذا أن فيها مشابة فى طريقة سردها وكاتبها من سيرة الكاتب الروسى المعروف مكسيم جوركى ، ولقد كانت مؤلفات جوركى محبوبة منتشرة فى ترجماتها العربية والانجليزية . أخريات الأربعين والى أخريات الخمسين ، أو أن علو شأن الواقعية الاشتراكية . وحين نقرأ مذكرات أغيش اليوم فانا - لاريب - نصادف فيها شئونا من المتعة لتصويرها عهدا للصحافة والأدب والسياسة أظل بلادنا زمانا وما كتب عنه كثير شيء ، أو أن الذى كتب وأتيح لأهل الاطلاع ، الاطلاع عليه ، لا يمنح احساسا

بالرضا ، إذ أكثره يقصر دون الصراحة وهى مطلوبة ، والافصح المبين وذلك مما يرجى . لهذا تسطع مذكرات أغبش متارا للون متفرد فى الشكل والمضمون يذكر بذلك العهد . . . يظهرها لغتها التى تكاد أن تكون لغة الأحاجى والوفسة الحميمة ، وأحداثها الكثيرة بما فيها مما يضحك ويبكى .

وفى هذه المجموعة قصيدة لتحليل فرح ، شاعر الوطنية ، شاعر العمال وقد عرف الخليل أكثر شىء بشعره الذى نظمه بالعامية ، وقصد به أن يلحن ويفنى ، فكنا نعرف ( عزه ) و ( فلق الصباح ) و ( فى الضواحي ) و ( جنابى الشاطئ ) وغيرهن ، وبعد صدور الطبعة الأولى لهذه المختارات أمكن لى تحقيق ماوجدت من قصائد التحليل عاميها وفصيحتها ، وكان ما قد ظهر من شعره يبرر هذا الاختيار .

وما تنكبت فيما انتخبت من الأدب السودانى لهذا الكتاب نهجا بعينه ، وإنما آثرت أن أقدم للقارئ الكريم ما يستهوينى من شعر وقصة ومقالة ، ولست فى مقام من يدعى أنه قد أطلع على كل ماكتب أدباء السودان المعاصرون ، ولكنى قد نظرت فى قسم كبير منه فى مراجعه التى توفرت لى وأنا أعد مادة هذا الكتاب . وعكفت زمانا على ما انتخبت من الأدب السودانى ، وأمعت النظر فيه ما استطعت ، وأرأى به راضيا بعض الرضا ، وأعلم أنه سيرضى قوما ويسخط آخرين . وكل الرضا فى باب المستحيل أدخل .

ويضم الكتاب بعضا من الانتاج الأدبى الذى ظهر أخريات العشرين وبداية الثلاثين ، ومنه ما قد نشر فى مجلتى ( النهضة ) و ( القجر ) بخاصة ، وكانتا تمثلان بواكير نهضة فكرية سودانية ، ( Sudanese Renaissance ) تسم بالدعوة الاصلاحية ، وتبشر بما يمكن أن يسمى أدبا سودانيا وله روح ونكهة ومزاج ، فيه المفاخرة بالسودانية القومية ، وتنبية الاذهان الى ما تملك من قوة وأصالة لانكاد ننبينها لكى تكون لنا سندا يعين على التقدم والظهور المستقل يستنهض أحمد يوسف هاشم الممم حين يقول :

« يحول الانسان بنظره فى أنحاء العالم طرا فلا يجد أمة من الأمم شرقية كانت أو غربية لها من المرافق الحيوية والاستعداد القطرى مثل ما لنا ، ثم هى فى الحضيض العمرانى والاجتماعى والمالى الذى نرسف فى أغلاله » ( ٢ ) ويرد هذه النواقص كلها الى ما يسميه الترف الكاذب . ومحمد عشى الصديق فى مقالته ( ماذا وراء الأفق ؟ ) يدور حول موضوع قريب من هذا يقول : « وهذا وطننا الذى ننعم بالعيش فوق أرضه وتحت سماءه ، ونشرب ماء نيله القديم كقلمه ، ونأكل نبت أرضه ، ونشقى بما يشقى ضميره . ويكرب نفسه الحزينة ، أليس من عرفان الجميل أن نحترم هذا الوطن المقدس ؟ هذا الوطن الجاثى طوال خمس آلاف سنة ، يرمى شمس سعادته ولما ينشق عنها الشروق ، ودموعه تتحدر على خدوده الكثيبة ، وآلامه تفرح كبده الحرى ، يطلبنا فى توسل وبكاء أن نزيل ما به من ضير ، وأن نقيمه على قدميه ، إنه عظيم فى بؤسه العظيم لأنه غالب كروار الأيام والمصور ، يحتضن أمه الخالد فى بنية الفانين » ( ٣ )

ففى هذه وتلك دعوة للإصلاح ، وتبصير للناس بهذا الوطن النبيل ، القديم ، العريق ، الخالد ، الأهبوا ، وأصلحوا من شأنه ، وليس أكثر من هذا . . من الذى اسال دموع الوطن على خديه تجرى ؟ ما الذى اوردنا الحضيض العمرانى والاجتماعى والمالى الذى عنى أحمد يوسف هاشم ؟ ان ذلك ليس سببه الاستعمار ووجوده وسياسته ، اذ الكاتب يرى ان ذلك كله قد حصل بسبب الترف الكاذب ! وجلى أن الكلام المنشور لم يكن لتبيح له القوانين آنذاك أن يفصح بأكثر مما أفصح ، ولكننا نستطيع ان نقول أن فى هاتين ما يبشر بنوع من الأدب السودانى جديد فى فكرته وفى أسلوبه .

وحمل لواء نشر هذه النهضة الفكرية السودانية فى الاساس مجلنا ( النهضة ) و ( الفجر ) ، وكان العصر فى شرقنا العربى عصر نهضة فكر ، فمصر ، منذ أن أُنذر القرن الماضى بزوال ، نعمت بعهد من الشعر جديد

هو بحث جديد في لغته وفي أغراضه ، وكان محمود سامي البارودي فارسه  
المقدم وامامه ، وكان مما يرى أن الشعر « لمة خيالية بتألق وميضها في سماوة  
الفكر ، فتنبعث أشعتها الى صحيفة القلب » (٤)

ولاريب أن البارودي قد جدد الشعر العربي وأعلى منزلته بعد أن نالت  
منه عصور الانحطاط الأدبي على نحو ماتعرفون ، وبعد البارودي ظهر حافظ  
وشوقي والرافعي وزكي مبارك والعقاد وطه حسين ومدرسة أبوللو . ولقد  
بصر أدباء السودان في ذلك الزمان بهذا الضوء الباهر في شمال الوادي فوصلهم  
منه قبس :

« والتفت الجبل الجديد الى مصر ، يروم منها مآعياه في السودان . وكانت  
صحافتها آتت قد بلغت شأوا بعيدا من الجودة وكان يكتب فيها رجال ينظر  
الشرق العربي كله اليهم بعين الاكبار ويلتمس من عندهم المعرفة والمثل  
العليا (٥) »

فهذا معاوية محمد نور يبلغ مصر وينشر مقالاته في صحفها وينال حظا  
كثيرا من الاحترام بما كان يكتب مبصرا القارئ العربي بالفكر العربي  
والثقافة الغربية ، وكتب معاوية بما يشير الى ثقافة عالية واطلاع عميق في  
الفكر الأوروبي ، فكتب فيما كتب عن الأدب الألماني ، والحب في الأدب  
الانكليزي ، والنوq الأدبي ، والدراما والقصص الروسي ، وغير هذا .

أما الشاعر محمد سعيد العباسي فقد تعلق بمصر ، وظهر هذا في كثير من  
شعره ، فهو يحن اليها ، والى مجالسها وذكريات شبابها فيها :

مصرُ وأيامُ الشبا	بِالْفَنَسِ من لي بهما
وفتية سامرتهم	فاقوا الزمانَ هيمًا
وعزمة صادقة	تنطج أبراج السما
زين شباب حملوا	مع السيوفِ القلما

وغير العباسي التيجاني وان لم يقدر له بلوغها فاعجله الموت يقول :

كيف يا قومنا نُباعدُ من فكْر  
كيف قولوا يُجانبُ النيلُ شَط  
ين شداً وساندَ البعضُ لآزرا  
به ويجرى على شواطئ أخرى  
كلما أنكروا ثقافة مصر  
جئتُ في حداها غيراراً فحياً لله  
كنتُ من صنعها براعاً وفكراً  
مستودع الثقافة مصر  
نضّر الله وجهها فهي مائز  
دادُ الا بُعداً على وعُرا

وعشقُ التيجاني مصر غير عشقِ العباسي ، اذ فيه عتاب الأنداد ، وقد لا تُظهر هذه الآيات ما ذهبنا اليه ، غير أنها في بعض مقالاته ، تُبدى ما قد قصدنا اليه ، فمقالته « في سبيل التعارف الأدبي بين مصر والسودان » فيها اشارات الى وجوب الاهتمام بأدباء السودان وما يكتبون :

« قلنا ما ينقصنا قوة في الادب ولا سمو في التفكير ولا شيء من مؤثرات العظمة الأدبية الا أن تبرز هذه الاقلام المجهولة حتى في مصر ولعلها ان أتيح لها أن تتنفس قليلا ، أن تكون أبلغ أثراً مما نعلمه حلماً أبعد شيء عن الواقع . » (٦) .

أو قوله في ذات المقالة يدعو الى الندية والمساواة :

« كلنا في الشرق - أيها المصريون - معقد رجاء الشرق . فمثل واجبتنا نحوه واجبكم له ومثل حظنا فيه ، حظكم منه فنحن سواسية فيه ، سواسية في أسمى ما يفتخر به الشرق وفي تحمل تبعه كل ما يضيق به الشرق . »

لقد كانت مصر اذن كائنة بصفة دائمة في وجدان الشعب السوداني ، قد يعلو صوتها وقد يخفت أثر ذلك الصوت ، ولكنه لا يزول ، والأمر في مصر كذلك ، فالسودان مائل في السياسة المصرية كما يروى التاريخ وكنحو ما تطمون .

ولعل من أسباب النهضة الأدبية في السودان بداية التعليم وإنشاء كلية

غردون وقيام المعهد العلمى ، وقد هباً الأخير لمن جلسوا فى حلقات علمه معرفة باللغة العربية والأدب والفقه والشريعة الإسلامية ، بينما أُناحت الأولى لطلابها دراسة اللغة الانجليزية . فأُطل من تعلموا فيها على عالم من الثقافة زاهر وجديد . ثم تلى ذلك ما كان من أمر صدور الصحف والمجلات ، وأهمها مجلة ( النهضة ) التى كان يحررها محمد عباس أبو الريش ، وكان أول صدورها عام ١٩٣١ ، وجاءت بعدها مجلة الفجر عام ١٩٣٤ ، وكان يقوم بتحريرها عرفات محمد عبدالله . وقد كتب محمد عشرين الصديق بصف ذلك المعهد يقول :

« الفترة التى كتبت فيها هذه المقالات يسميها الأدباء الثلاثينات وهى الفترة التى أُنست بإرهاصات النهضة الحاضرة بجميع مظاهرها من أدبى وإجتماعى وتاريخى ودينى وسياسى وفلسفى ، وبالطبع لم تكن فى تلك الأيام مبادئ محددة ، ولا الأهداف واضحة ، بل كانت مثلاً علياً تخلق فى فضاء الأمل وتلور فى محيط الأحلام .

وكنْتُ أنا واحداً من زملائى الكثيرين الذين تلقوا تعليماً ثانوياً فى كلية غردون التذكارية ، وقد درسنا مع ما درسنا ، اللغة الأنكليزية واللغة العربية ووعينا قواعد هاتين اللغتين وعياً سليماً وكذلك النحو والإعراب والصرف والبلاغة بفروعها .

تخرجنا فى الكلية ولم نكتف بما حصلنا عليه فيها فكنّا نجتمع فى منازلنا ولو تباعدت بها المسافات ، ونستعيد أيام الدراسة وذكرياتها التى لا تزال حيية إلى نقوسنا ، وتقبل على الإطلاع على فروع المعرفة لتريد حصيلنا من العلم ومن تجارب الحياة ، (٧)

ويرى محمد أحمد محبوب (٨) أن ذلك الجيل قد تعرض لتجربات جسام أهمها تجربة ثورة ١٩٢٤ . ومن بعدها أبقن أبناء ذلك الجيل أن الحركة



القومية السياسية تحتاج ، لكي تنمو وتشتد ، ثقافة حقبة ، وأن الإطلاع والدراسة هما أفضل السبل لنيلها يقول :

« وإن كان هناك خير تمخضت عنه حركة التنقيف التي بدأها بعض أبناء هذا الجيل فهو أنها قد فتحت عيونهم على النقص الثقافي المنشئ في بلادهم فأخذوا بتلافيه في أنفسهم أولاً ، وهامهم قد بدأوا يشخصون الداء ويقدمون الدواء لغيرهم . وأخذوا يقدرّون مطالب هذه الفترة ، فترة الانتقال وما تحتاجه من هدم وبناء ومن حفاظ على الأخلاق والعقائد وقد اتخذوا لكل شيء أهبة وحملوا المعول والقأس يهدمون البائد المتداعي ويقطعون الأعشاب والطفيليات من النباتات ، ليضعوا الأساس للنهضة المقبلة . »

ويتفق الكاتبان أن القراءة والتحصيل كانا من أهم ما إنشغل به أولئك الرواد فأثمر ذلك عن نهضة فكرية ذات خطر وأثر ، وإن نظرنا إلى المقالات التي اخترناها لأدباء الثلاثين وجدنا فيها تقدماً لأدواء ذلك العصر ، بالتصريح والتصريح جميعاً ، فأحمد يوسف هاشم في مقالته ( الترف الكاذب ) ، يرى في الترف الكاذب عاملاً أساسياً في تأخير الأمة فنحن ننفق أكثر مما نملك ، ونتمسك بالقشور دون اللباب ، بل هو يشير بتكوين جمعية قوامها الشباب المتعلم لمقاومة جرثومة هذه الخصلة . (٩) .

وتبرز دعوة الإصلاح والتسامي للمثل العليا عند محمد أحمد محبوب حين يشير في مقالته ( مثل عليا ) إلى أن الأسرة إنما هي نواة الحياة الاجتماعية وينبغي أن ينشأ أفرادها على التضحية وإدراك الواجبات قبل الحقوق والتسامي بالمشاعر للمثل العليا . . . وأساس الأسرة عنده المرأة فهو يدعو لتعليمها بما هو خير بعيد عن قول حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

يريد للمرأة التعليم لكي تكون زوجاً مدبرة وأما وليس لتعمل في الأسواق أو لتدخل في ميدان الوظائف الكتابية . . . ونحن نرى أن تعليم المرأة إن لم تكن

غايته العمل ، فلن يحقق المرجو منه لتقدم أى أمة من الأمم ، وفى هذه المقالة يعيب محجوب على شباب عصره أخذهم من مدينة الغرب القشور فأثروا منافعهم الشخصية على منفعة البلاد . ويتسم أدب المحجوب بصفة عامة بالأصالة الفنية والفكرية معاً « أما الأصالة الفنية فما كان يحاوله من صياغة جديدة تجمع بين فصاحة العربية وترسل الإنجليزية ، وأما الأصالة الفكرية فما كان يلتزمه من المثل العليا بمجتمعه السوداني الناشئ فى الأدب والسياسة والفن » . ( ١٠ )

وإن لم يكن فى مقالة محمد عشرى الصديق ( ماذا وراء الأفق ) حماسة محجوب الخطابية والفاظه ، أو ثورة أحمد يوسف هاشم على الترف الكاذب وسلاسة تعبيره لمنظر : « بهجر الرجل قريته ويحوم فى القرى والأمصار متاجراً ناهكاً قواه ، متغرباً عن وطنه الأصغر هاجراً لزوجه وأولاده ، مضيقاً لشطر كبير من حياته . . . » الخ هذه الألفاظ التى يبدو وكأن الكاتب قد إنتخبها بعناية ، مثلما هو يخاطب أناساً يستمعون إليه لا يقرأونه ، كلمات قصد منها أن تدرك بالأذان وليس بالعيون والموضوع نفسه يمس مادة حسنة لخطبة أكثر منه مقالة مكتوبة . . . نقول ان مقالة عشرى ( ماذا وراء الأفق ؟ ) تشرك وسابقتها فى دعوة الإصلاح ، ونقد أوصاب المجتمع ، وفيها صراحة من يواجه الواقع بلا خوف غير أن أسلوبها مختلف جداً ، وقد ذكر عبدالله الطيب أن فى أسلوب محمد عشرى روية وعناية بما يكتبه وأن له إستقلالاً بالرأى مع روح أشبه شئ بروح العلماء المتوفرين على الدرس والتحصيل ( ١١ ) أنظر : « ونحن إلى الآن لم نكن أمة كما يقول لنا الكثيرون من الغربيين وغير الغربيين ولا تزال بلادنا مجهولة لدى العالم ، ولا تزال فقراء فى الروح مهزلة مسنين عجافاً جائعين ضائعين بلا مال أو كيان ، ولا تاريخ لنا ولا فنون ولا آداب ولا علوم ولا صناعات ولا حرف ، ولا يزال عظماءنا هم عظماء القتلك والحروب والتدمير ، فلا شاعر ولا فيلسوف ولا كاتب ولا فنان ولا منصلح يلاقيك فى تاريخ هذه البلاد ، وليس بيننا من يعد من رجال العلم أو من رجال العمل ،

والسودانية عذراء فتعصبات لها بحرب ، وأرصد سبحة وساعة حده نيس  
عبيها من ك... حقة ية ، لوع بلا لدر الس... (١٢) ثم يستطرد في تات  
سمة يدنه للعمل ، وهو طريق موصلة وإصلاح ، وإن لاشي ، بعد نعم  
الصامت والنظام .

وليس هناك من شك في أن هذه السبحة بتكريرة قد ساعدت في ذلك ،  
سعودي ، ومهت لتقيام مؤخر (١٣) ، وكان في يومه ، وأصرف ...  
هؤلاء للعمل السياسي المباشر .

وبدأ يتردد في مجالات لأخر وحد... دولتي بصوغت متبيرة  
وتناقش أموراً متبعة كذكرية أحمد الخب عن قريته وأهله أو حديث  
مصور جلد عن حال سياسة بالسودان ، تحريات الستين ، وما كتب  
جمال محمد أحمد عن العرب في شرق أفريقيا وهلم حري

وليس الشعر هو أكثر فون الأدب السوداني وعمره ونظوره ... وهذا  
بمصر أنه أستاذ بالقسم الأوفي من محتويات هذا الكتاب . وعرف السودان منذ  
العتد لأول هذ القرن شعراء كثيرين مجيدين ، ولقد درج نمر على كسوا عن  
الشعر السوداني على تقسيم الشعراء إلى مذهب ومدرس . كقولهم الشعر  
تقليدي والشعر الواقعي والشعر الرومانسي ... الخ ونؤثر أن نسمى الشعر  
شعراً مهماً أختلف مذاقه . فهذا أوقع . ولا ميل إلى وصف الشعر بالشعر  
لعمودي أو الشعر الحر . والشعر الجيد بطرئك وتستحسه إن كان لشاعر  
حدث أو قديم . وقلما ينظر قارئ الشعر المثالي إلى شكل كتابته .

وأسهل الشعر السوداني - ربما أكثر من الشعر - في تلك النهضة الأدبية  
التي سبق وذكرناها ، فالعباسي والبا اللذان عرفا بجزالة اللفظ وإطالة النظر  
إلى ديوان الشعر العربي في عصورة المزدهرة ، طلعا علينا بشعر له من السمات  
والصفات ما يدل على مسته السوداني ، وكذلك كان حال من جاء بعدهما فمن  
هؤلاء من غشبه الموحه الرومانسية التي علا شأنها من جديد . ونقى بعضهم وفيأ

لها حتى بعد إنحسارها ، وظهور موجاتُ حر ، والعب في مثل هذا التقسيم الذي أشرنا إليه يكمن في عدم دقته . فقد نظراً أعراض الرومانسية التقيدية والواقعية والرمزية جميعاً على شعر واحد ، وربما كانت هذه هي القاعدة وليس الاستثناء . أما لا نرفض هذه المدارس الثمينة في الأدب ونكسأ نرى إلا نعتمد عليها وحسب ذلك أنها تخلصنا في طرر محدود . هو أنك نظرت في قصيدة عبد الله الطيب « الكأس التي تخطمت حرك لك أن تصعب في باب ما يسمى بالشعر الحديث في موضوعها ومذهبها . حتى إذا جئت فوفقت عند قصيدته « طريق سمرقند » التي نضمتها بعد تلك بيوسف وعشرين سنة وحدث الاختلاف بينهما يتأى بالشاعر أن بعد في مدرسة الشعر الحديث .

أ- قصيدة « شاعر » لمحمد أحمد محبوب وفيه لصورة الشاعر التي تلاقينا عند علي محمود طه وإيليا إني ماضي والتبحاني يوسف بشير وأدريس جماع . فالشاعر عند هؤلاء جميعاً هو المخلوق الأسمن . أقرب مخلوقات الله إليه . الشاعر هو ذلك الرقيق المبدع . المتحدث بالحكمة ، من يرى في الوجود والكائنات مالا يراه الآخرون . وهو مكلف بحمل المهموم والأوزار ، وشاعر محمد أحمد محبوب :

والروابي أثاره من وشاراً	شاعرٌ فجرَ الرياض غساءً
في ظلام الوجود يهدى الحيارى	سارَ في منهمة الحياة مجداً
وجفاهُ الصحابُ أكندى وطارا	عندليبُ الرياضِ إمتا تغنى
أنكرَ العيش عنده والجوارا	مدرجُ الحبِّ والصفا والأمانى
زادهُ البعدُ حُرقةً وأواراً	وطروبُ الغناء أضحى نواحاً
لا يطيبُ النساءُ إلا جهاراً	يانحى القلوبِ حبسك همساً

## أو في قول أبي ماضي :

بم دَرَكَ شاعراً لا ينتهـى      من حيد لا صـب للأحـود  
مرح الأهر في عثك والشذى      وطلاقة العُذراء والفرح وندي  
وكانَ رورك فيه ألف كمحة      وكانَ صدرك فيه ألف مررد  
كم رهرة في السمع خادرة المي      سكنت على يأس سكون الخلد  
عنيها فاستيقظت وترنحت      ونالقت كالكوكب المنوقد

أم الشاعر هو صوفي التبحاني يوسف شير المذهب عن نفسه يقول :

أسمعُ الخطرة في السامر      وأستبطنُ حِسَّته  
وإضطراب النور في خففتيه      أسمعُ حرسَه  
وأرى عيـدَ فتى الورد      وأستقبلُ عرسَه

أم هو ذلك الضعيف إحتشد الأنام عليه      فما تركوا له مفداً ولا قضاء فيحق  
فيه حراً يقول التيجاني :

من لهذا الأنام يخمه عسى      قلبي صارمى وطرسى مجى  
هوفنى إذا أكتهلت وما زال      على ريق الحداثة فسنى  
حدثت جندها الحياة وزحت      فيه من مُزعج القوى كل قرن

وعزاؤه أنه ليس كالآخرين . فهو الذى :

يفرحُ الطين في يدى فأنسو      جاهداً أهدمُ الحياة وأبسى  
كم أشيدُ الحصى قصوراً وكم      أكبر من شأنها وأقدر شأنى

الشاعر هو هذا الذى يمشى فى مواكب الليل هيناً وقوياً فى آن . أسوان وفرحاً  
تعود صورة الثائية الرومانسية عند إدريس حجاج :

هين تستخفه بسمه الطفل      قوى يصارعُ الأجيالا  
حاسرُ الرأس عند كل جمال      مستشف من كل شيء جمالا  
خلقت طينة الأسى وغشنتها      نارُ وجد فأصحت صلصلا  
ثم قال القصاء كوبي مكنت      طينة البؤس شاعراً مثالا

وظهر في أخريات الأربعين وبداية الخمسين شعراء وأدباء درج مؤرخو الأدب السوداني على تسميتهم أدباء الواقعية ، وهو لما تقدم بيانه من أسباب ، تعبر نقصه الذقة الصائبة ، جاء هؤلاء والموجة الرومانتيكية تؤذن بانحسار وشيك . وبدأت أشعار الشعراء منهم بالظهور حين كان الشاعر المصري كمال عبد الحليم صاحب ديوان ( إصرار ) هو الشاعر المقدم ، وكان عبد الرحمن الشرقاوى قد بدأ يشتهر بعد نشر قصيدته الطويلة « من أب مصري إلى الرئيس ترومان » ، وغير هذين . هو حبل من الأدباء نهض من خنادق الشعر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، فطر إلى أدباء المقاومة لفرنسية ، ثم وصهم شيء مما كان قد كتب بول اينور ولوركا ويطم حكمت وبدلو بيرودا من الشعراء . ومن الكتاب مكسيم جوركي وخاصة روايته ( الأم ) وأجراء سيرته الدتية الثلاثة . وكذلك مؤلفات هورديست ، وريتشارد رايت وجون ستايت وقد ترجمت له ياتيه ( عقيب - انصب ) و ( شبح السرددين معبد ) و ( رجال وفتر ) إلى العربية . ثم بهم من بعد ذلك أنه صدرت تحت ظلال المنظمة الأمريكية احكمة ، فحلوا شأنه ولم يعد يحتمل به كثير ووصل كل هذا الأدب إلى السود فنشأ عليه جيل من الأدباء وشعراء يختلف بخلاف واصحاً عن من سبقوه . وتيسر للحيل اجديد الاصلاخ على هذا الأدب المترحم مه وما كان أصله العربية ك شعر عبد الوهاب البياتي وروايات حنا مين وعبد الرحمن الشرقاوى . بينما رغب من سبقهم من الأدباء عن هذه الحركة متمسكاً وقاعاً بما كان قد إحتز من معرفة ، ومقارفة عابرة نستطيع أن نلمس الفرق بين أدب الثلاثين مثلاً وقصيدة ( الحاجة ) لصالح أحمد إبراهيم . . . ولا تتسع هذه المقدمة للحديث عن الأساليب الشعرية المختلفة .

ولقد ظهرت كتب القصة بعد الشعر ، وقد يحمد لعثمان على نور أنه بدأ بكتابة القصة السودانية جاداً وتفرغ لها فلم يجرب قلمه فنا آخر من فنون الأدب . وهو أول من نشر مجموعة قصص قصيرة هي ( غادة القرية ) ثم عاد وأصدر مجلة ( القصة ) ولها ينسب الفضل في تقديم الكثير من كتاب القصة السودانية .

وبدأت قصة السودانية القصيرة فى مجلتى ( النهضة ) و ( الفجر ) . ولم تكن لتماثل المقالة أو الشعر شيئاً . وفى الخمسين جعل شأن القصة يعلو حين خصصت جريدة ( الصراحة ) عدداً أدبياً شهرياً فتحت فيه صدرها لكتاب القصة وشجعتهم . وتطورت تطوراً ملموساً فى زمان وجير . واستطاع الطيب صالح مجموعة ( دومة ودحامد ) وروايتيه ( موسم الهجرة إلى الشمال ) ( وعرس الزين ) أن يخرج بالأدب السودانى إلى الآفاق العالمية . وعبر عثمان على نور والطيب صالح باقة متقاة لكتاب القصة السودانية تظهر فيما تظهر فصالة محبة وتشير إلى مذاهب فنية شتى .

وبعد . .

فهذا الكتاب محاولة لجمع مختارات من الأدب السودانى فى صعيد واحد ونقد هذا وتقويمه . الرصاعه أو السحط على ما فيه . كى أمور قد تشأ فى أدهان من يطلعون عليه وللقرىء الكريم أخريه كتب فى - يخرج منه ما شاء وأصطفى ، وبالله التوفيق .

على المسك

برى ١٩٨٠

## هوامش المقدمة

- (١) بكري بشير الكتابي ومحمد عبد الحى (التحاني يوسف بشير : السفر الاول ، الآثار  
الشريفة الكاملة) . شركة مطابع راي (ليند) . ١٩٧٨ .
- (٢) راجع مقالة ( الترف الكاذب ) لأحمد يوسف هاشم .
- (٣) راجع مقالة ( مادا وراء الألق ) لمحمد عثري الصديق .
- (٤) ديوان البارودي : دار المعارف مصر ( ١٩٧١ ) ص ٥ .
- (٥) عبد الله الطيب ، محاضرات في الإنجذاعات الحديثة في الشرق العربي في السودان ،  
معيد الدراسات العالمية : القاهرة ( ١٩٥٩ ) ص ٣٦ .
- (٦) راجع مقالة ( في سبل التعرف الأدبي بين مصر والسودان ) للتحاني يوسف بشير
- (٧) محمد عثري الصديق « آراء وحوادث في التأليف والشعر ودراسة الإعلام واشئون  
الاجتماعية : الخرطوم ( ١٩٦٩ ) ص ٥ .
- (٨) محمد أحمد محبوب « نحو اجد » دار التأليف والترجمة والنشر . جامعة الخرطوم  
١٩٧٠ - ص ٤ .
- (٩) مجلة سبعة سودانيه عدد ١٧ للمحمد لأور ٢٤ يناير ( ١٩٣٢ ) ص ٤
- (١٠) محمد الله الطيب : المصدر نفسه ص ٤٧ .
- (١١) المصدر نفسه : ص ٦٤ .
- (١٢) محمد عثري الصديق : المصدر نفسه ص ٤٧ .
- (١٣) « أنتم هو تجمع لمنشقين سودانيين كانوا يعملون بدواوين حكومة وأشترك  
معهم بعض تجار ، وقد بدأ فكرة في اخذت لأذنيه ثم صار إلى هيئة ذات أهداف  
اجتماعية وثقافية وسياسية ، وشهد فبراير ١٩٣٨ مولده .



## الباب الأول

### المقالات

## تمجيد الخالق

وعدت في مقال سابق أن الخث هذا الموضوع من حيث أن عبده من خلق الإنسان تمجيد خلقه ١ ولأن الله هو في ثوب ختيه المفسر . اعدا الخدب من البحث رحن هم نعم الله قدر مى حتى الله حقه . ان ر لآيات الشريعة التي تشير إلى ذلك مثل قوله من . . . . . لا يعبدون ٢ كثيرة معروفة عند المؤمنين الذين يدكرون الله قوما وقوم وعبي جوبهم ويتمكرون في حق اسموت والأرض . . . . . دطلا . سبحانه فقد عذب النار . فليدبر من موضوع باعتد وقصيدة . . . . . خصصة لحكم العقل غير معقلين علاقتها بالله . احسن

( المجد ) لغة الكرم و ( المجد ) و ( المجد ) كرم . . . . . وهم من سماء الله الحسنى . وله تعالى مثل الأعلى في همدت و التمجيد ) التكريم والتعظيم وتمجيد الخلق في عبادته وطاعته وابتغاء مريته . . . . . بحسب الظاهر اواقع هو المخلوق الرئيسي في هذا كتاب . . . . . يقول علماء التصور هو الدرجة العليا التي بلغتها عمية التقدير

وقد عالج كثيرون من الكتاب والعلماء والفلاسفة مسألة العبودية من هذه الحياة الارضية بما فيها من جمال زائل ورخوف . . . . . الحوائط . واختلف الباحثون حسب تباين وجهات . . . . . والحقيقة . فعند المؤمنين منه بصحة . . . . . انكثريين من أهل اديانات الأخرى . ليس ثمة جمعة ولا شكل . . . . . فليسمون ولمسيحيون ولامر ثيليون يقولون اطلاق ولا قيد . . . . . انما وجد في هذه الحياة الدنيا باعتبارها مرحلة في . . . . .

وانه بقدر صلاح سيرته وسريره في حياته هذه يكون قربه من الفوز بالسعادة الابدية . ولا يطن أحد ان معنى هذا القول التفسير من الاعمال المؤدية الى صلاح المرء في دنياه أو عمران هذه الدنيا والتمتع بطبيعتها . بل على القيص من ذلك ! بل لو صح ذلك لما رأينا تلك الكتب السماوية لا تفد تشريع للناس قوانين المعاملات بل والمعاملات حتى قوانين الحروب وتقررت بحكم أوفائها في هذا المجال بما ينفع وكونه حائتها أو المودج الأتم الذي انتهى اليه تطور الأديان في تمثيلها مع تطور عقول البشر وإدراكهم للحقائق .

والبوذية من أكثر الأديان حرصاً على التأمل في الكون ومحاولة الصعود بالروح حتى تصلح للاتصال بعالم العلويات . وإن فلسفتهم تبدو صعبة ومعقدة لأول نظرة شأن جميع الأمور المتعلقة بالروحانيات . يصعب إدراكها على من لم يروض على مثلها ولأورد لك قول شاعر الهند وفيلسوفها الكبير ( رابندرانات طاغور ) في رسالة ( سادها ) .

« ييلو العرب فخروا بما يطنه تغلباً منه على الطبيعة ، كأننا نعيش في عالم معاد لنا ولا مندوحة لنا من أن نعتصب ما نريد اغتصاباً من يدى نظام أجنبي عنا . وهذا الاحساس ثمرة العادة والتثقيف الذهني في عالم ( المدن المسورة ) ففي حياة المدن يحصر المرء شعاع بصيرته في حياته وأعماله وهذا ما يخلق انفصالاً مصطنعاً بينه وبين الطبيعة الشاملة التي يرقد في أحضانها

أما في الهند فوجهة النظر غير ذلك إذ هي تنظم الكون والإنسان في حقيقة عظيمة واحدة . والهند تكبر من شأن التجانس الذي يوحد بين الفرد والعموم وتشعر باننا لا نستطيع أن نتصل أى اتصال بمحيطاتنا إذا كانت هي أجنبية عنا . . . . هناك ( الكاياترى ) وهي الآلة التي تعتبر خلاصة الخلاصة ( للفيدا ) والتي نستعين بها في محاولة إدراك الوحدة الاساسية للكون وروح الإنسان الواعية ، ونتعلم كيف نتصور هذه الوحدة تشدها ببعضها الروح الخالدة التي خلقت قوتها الأرض والسماء والنجوم . وفي

نفس الوقت تشع على عقولنا ضوء الإدراك الذى يسير ويبقى باستمرار غير منقطع مع العالم الخارجى .

والفكرة المستخلصة من فلسفتهم « اندماج الانسان بالروح فى الكون أجمع » اندماجا كلما كان تاماً كان أوفى بالمقصود .

ولا شك فى أن المدنية العربية بما قامت عليه من اساس مادى لا تمت الى الفلسفة الاغية بصلة تذكر . فهى مدنية الليرة والدولار مدنية التنازع العنيف فى سبيل المطامع التى لا حد لها ، وهى لهذا السبب لا تبدو جميلة ولا جليلة الا من جانب واحد هو جانبها الاصطناعى حيث تتجلى ثمرات العقول البشرية فى الابداع وتبرز فى ثوبها المصقول الموشى تسحر العيون وتحلب الالباب ولكن لا يوشك الناظر الاديب أن تحترق عينه الظلاء حتى يجد اللباب نارا كامة وبارودا وديناميتا لو سلطت عليه شرارة واحدة من شرار المطامع لنسفت أحشاء تلك المدنية العظيمة فى الهواء تذررها الرياح ومادا صرفا .

وكم تحيل افلاسفة الالهيون مجتمعات تقوم مدنيتهما على الحب والاخاء والعدل والعمل فى سبيل الخير العام . وهم بذلك يحاولون تصوير الغاية من وجود البشر فى هذه الدنيا فى أن يتعاونوا ولا يتنازعوا فيفسلوا وتذهب ريحهم . والمثل الأعلى للمدنيات ان تقوم على ثلاث دعائم قوية من العلم والفن والفلسفة قيما صحيحا يضمن لها البقاء على عادى الايام ولم يرو لنا التاريخ تحقيقا تاما لهذه النظرية فى الواقع وبعث الله الرسل واختتمت شرائعهم بالشريعة المحمدية . وهنا اريد ان أوجه النظر الى خاصية بارزة فى هذه الشريعة السمحاء — ان لم تكن جديدة ، فهى أبرز فيها من سواها — وهى أنها جاءت لتكمل ( سعادة الدارين ) وهذا بيت القصيد فى بحثنا فلنعد الى سياقه .

لجعل من موضوعنا قضية فلسفية صحيحة تلخص فى ان « الغاية من خلق الانسان تمجيد خالقه » ولكيلا نخرج عن نطاق بحثنا يجب ان نسلم

مبادئ بوجود الخلق وحصول الحق لأن موضوع عبده من خلق لا كيتية  
حيوته . وحقق والتمجيد يصدق على جميع الموجودات ومنها الناس .  
وعلى هذا يمكن أن نعرف التمجيد بأنه خصوصاً لشريعته الله وطبيعته الكون  
بني فطرته تعالى عليها وانقسام بالنسبة للآدم من عمران الدنيا صالحة  
يؤدي لحكم صلاحه واستقامته في سعادة دار الآخرة أما كلياتها  
و دار قبورها بوجوبها من الناس و أكثر عبادته لله وأصلها نسبية  
والعصر اللاعنصوية تنطوي في دار تغييرها الطبيعية والحيوية حسب  
قوانين الارضية وعقيدتها مسجونة و كلياتها العنصرية من أفعالها  
بكثرية ان سواها من الحيوانات تقوم بدورها في حياة خاصة لخواصها .  
وفي هذا تمام قسطها من عبادة حائق وتمجيد . ونحو ذلك في جميع الحيوانات  
حتى تصل ان صاحبها الانسان فنقف حائرين ' ' .

الانسان حقيقة الله في أرضه . هكذا قيل لنا في كتاب المنزلة وهو  
وصف بلع شامل لعظم شأن الانسان وصحة مهمته في حياة . وقد كان  
لنفس هو المخلوق الارضي الوحيد الذي تصف بتمتلك القدرة على  
التصرف والابداع بحكم الواقع ودعوى الجميع من مؤمنين ومذنبين فلا  
شك في أن قسطه من التمجيد الذي وصفه الله بقسط الأصعب . فهو  
لا يعيش بتمتضي غرائزه الطبيعية وحده بل يتصرف بتمتضي عقل مرز  
غري مع شهوة . حياناً ومع رغبة خير ولاصلاح حيناً . ولو عاش الناس  
بمعص لمعجومات لما كانت هناك مدينة ولما كان لنا أن نبحت قصية كهذه  
بعثاً فلسفياً . فهذا عقل الذي جعل للانسان ميرة في اخيه ورفع درجات  
على المخلوقات الدنيا هو الذي حمى كبر قسطه من مسئولية قبل هذا الكون  
( نعم بل حائره ) ولم يأمره الدين بشيء شاذ أو مخالف للطبيعة في صداد  
نفسه . حب على لوحه لاكمل . ولأدلى على ذلك لمن دور في حاجة  
الى التذليل :-

بأمرنا الاسلام بتوحيد الله ونفي ديسه والايدي ثلاثكنه وكتبه ورسده

واليوم الآخر - أعني أركان الاسلام وأركان الايمان المعروفة التي بها يحق لنا ان ننسب الى هذا الدين وندرج في اعداد المسلمين المؤمنين وهذه هي الحلقة التي تربط بالحقوق والمسئوليات المترتبة على كوننا مؤمنين بشريعته . ثم يفصل لنا ما حرم وما حلت ويذكر بصريح العبارة انه تعالى حلت لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث ويشعر دستور الحياة الذي إن اتبعناه أمنا من الوقوع في مهاوى الضلالة وفرنا بالسعادة في الدارين . وليس من اختصاص بحثنا اليوم تفصيل هذه حقوق والواجبات والتدليل على صوابها ومنطقيتها ولذلك بحث آخر طويل .

كما أنني ذكرت الاسلام هنا باعتباره مكملًا ومنمًا للاديان السماوية التي سبقتها فما ينطبق عليه في هذا البحث ينصب عليها أيضا انما أردت ان أنهي من بعض العقول فكرة خاطئة هي أن «تمجيد الخالق» معناه الصلاة والصوم والمساك الأخرى لا أكثر . فليس أكثر من هذا امعانًا في الضلال . فالصلاة والصوم والحج مثلا بصفتها أعمالًا بدنية مجردة عن كل شعور روعي بالغاية منها وحكمتها لا تمت إلى التمجيد بصفة . بل ربما جعلت من باب العقاق أو على الأقل من باب ارهق لبدن بما لا طائل تحته . ولكن لمناسك جميعاً حكمة دلتنا تتحلل تفصيلها وحرثياتها وشعور النفس بالقنوت وتحقيق الحكمة هو الذي يحل لتلك الصور والأشكال قيمة حقيقية . كما ان الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات ان لم تقترن بالسير على منهاج الشريعة الغراء في السر والعلن وتخليل ما حلت الله وتحريم ما حرم . ان لم تخرج بذلك كانت غير وافية بفكرة التمجيد السامية .

أمرنا الله بالتخلي بالمفاضل وقد عرفها لنا ، وبالاتباع عن الموبقات والردائل وقد شرحها ولم يذكر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها . وهذا كست مسلماً مؤمناً وصفاً ومعنى وعملاً وراقبت الله في كل شئ وشئ وأدب وحديث نحو أهمك وعشيرتك وأهلك والناس أجمعين فقد أصبحت قبيحاً بالسعادة والسلامة في هذه الحياة الدنيا وبالغور فيما أعده الله لعباده الصالحين في

الحياة الخالدة وبصفة كونك من ( عباده الصالحين ) كنت أيضا قد قمت  
بقسطك الكامل من تمجيد خالقك الذى تمجده الكائنات جميعا ، كل على  
طريقتها ( أو قل بلغتها ) التى لا تفهم عنها الا نورا دون السير .

والآن اسمح لى أيها القارئ القطن ان أسألك : أى فرق بين هاتين  
الكلمتين ( تمجيد الخالق ) وبين ما يسوقه الماديون من تعابير مطولة عن  
التجانس أو الملاءمة أو التجاوب بين الطبيعة والحياة ؟ نعم أى فرق سوى  
أنك تقول « الخالق عز وجل » وتفهم ما تقول بقدر ما يستطيع ذهنك البشرى  
أن يدرك وهم يقولون « الطبيعة الخالقة » قاموس التطور ، قاموس الارتقاء  
قانون الانتخاب الطبيعي . . الخ . الخ « ويأتونك كل يوم بتعريف جديد ؟  
وخلاصة القول ان الانسان وجد فى هذا الكون كراكب سفينة  
ولا مناص له من تأدية الواجب عليه بدفع أجره سفره وأن يسلك قبل  
السفينة وربانها ونوتيتها وراكبها المسلك الذى يضمن له السلامة والسعادة  
بينهم أثناء السفر وبعد وصولهم الى ( ارض الموعد ) التى تنتظره وتنتظرهم  
فى نهاية السفر والا ساءت حاله بينهم أولا وآخرا . والله يهدى من يشاء الى  
صراط مستقيم .

## الترف الكاذب \*

يحول الإنسان بظرفه في شدة العلم صمراً فلا يجد أمة من الأمم شرقية كانت أو غربية لها من المرافق الحيوية والاستعدادات الضرورية مثل ما كانت هي في الحضريين العمراني والاجتماعي والديني ترف في أغلاله . ويحذر المفكر في أمرنا كيف يعطل هذا الخلل الذي نخر عظمها وإبلاها وحل في الماضي والحاضر وأخشى أن يحول في المستقبل بيننا وبين التقدم في هذه الحياة .

إننا أمة قديمة ولو إلى حد محدود . كد أبؤنا واحداً وسعياً سعياً حيثما للرفاهية والسعادة وما نحن على ثمرهم بكد ونكد لنفس هذه العلية وبلاأسف ضاعت تلك الجهود وهذه بلا حدود وما رلنا رغم رعمنا التقدم واقفين عند نقطة الابتداء . فما هو السر الذي حرمنا نعمه التقدمة واسير إلى الامام أسوة بالأمم الأخرى ؟ ونحن كغيرنا متدربين نفس الأسباب أو بأسباب أقوى من أسباب البعض من أولئك الغير ومع ذلك فهم متحركون ونحن جامدون وهم معمون ونحن متحسرون .

يقول البعض أن هذا راجع لطبيعة البلاد الجوية وأن الطقس الحار يفقد الإنسان كثيراً من نشاطه وعقليته . وقد يكون هذا سبباً إذا أردنا أن نقيس أنفسنا بأمة أوربية فماذا يكون السبب إذا قارنا أنفسنا بالأمم الشرقية التي لا يختلف طقس بلادها عن بلادنا ؟ فأننا إذا غادرنا وطننا لأية ناحية شرقية لمشاهدة المباني الشاهقة والقصور العالية وأساليب الحياة البهيجة ومتى عدنا إدراجنا لأوطاننا رأينا الركود والاستقرار وأساليب من الحياة بينها وبين البهجة والنضارة مثل ما بين الأرض والسماء ورأينا تلك الأكواخ تعمر القرى في طول القطر وعرضه . وما أضن أن سيدنا آدم عليه السلام كان



يسكن أقل منها قيمة عندما هبط هذه الأرض ومهما قلنا فيها فهي من  
مخترعت عقل الانسان الاول - ثم لنا لجد في غير بلادنا من البلدان الشرقية  
بصفة أفراد في كل قرية أو مدينة منحهم الله بكدهم وتبصرهم نعمة الغنى  
والجاء وهؤلاء هم ملحاء عقراء ولشريع العامة، ويستطيع الواحد منهم أن  
يقوم بنفسه ما أحسننا نحن على القديم به وما لنا ننكأ في الطريق ليس عن  
جل أو إحجام . كلا إنما هو العوز المخجل والفقر المدقع فالى متى ؟

قد يقول قائل ان للثورات الأهلية التي مى بها هذا القطر البائس بعاداته  
حتى دحول هذه الحكومة دخل كبير في هذه الصفة الاجتماعية وما أظن  
هذا التعليل شافيا لعدة أو مرما لحجة فان الثورات الاهلية مهما حمى وطبها  
لتضعف قوما وتقوى آخرين وأن أموال هؤلاء تنتقل الى أولئك وهكذا  
دوليك وان كان هذا التدوير سيقفل من قيمة الأموال ويسقط منها جزءا  
لا أنه يسير لا يعتد به، وعلى كل حال فثروة البلاد بين أهليها لم تلتقطها أيدي  
الاجانب . وكيفما دأبنا في ضرر الثورات الأهلية فليست نتيجتها وحدها  
هذا البوار العمراني .

في الماضي كان للبخسة شأن كبير في انماء ثروة البلاد . والتجارة كانت  
تحدى وأنفع مما هي الآن بكثير وبالرغم من هذا فليست بواحد من الآثار  
ما يستحق ان تعتبره مظهرا من مظاهر العمران الاجتماعي وانى جد مقتنع  
ان لثورات الأهلية وطقس البلاد بعض الأثر في هذا التأخر المحزن وبفكرى  
ان هناك سببا آخر أقوى مفعولا من هذين العاملين وأقرب الى الصواب هذا  
سبب هو الظهور الكاذب أو الترف الكاذب كما أريد أن اسميه وهو خلة  
طبيعية فيما نحن السودانيين دون الأمم الأخرى منذ القدم ، وهى التى لازمت  
تجدادنا وآباءنا وما زالت متعلقة بأهوائنا وهى التى عاقبتهم وستعوقنا حتما  
عن السير الى الأمام ما دمنا نلتقى أكثر مما نمكك وانها لوصمة فى جبيننا وعنواننا  
الذى يعرف به الأحمال ولا نستطيع حجبها سواء فى الماضى أو الحاضر فانها  
أبرز من أن تجحد . فلا يستطيع محوها ونبصر الحياة بتمعن وتفكر وندرس

أحوال بعين ثاقبة وفكر واضح مبتعدين كل العد عن الترف والمظهر الكاذبين.  
 اب ذا وقتنا لذلك. وهذا ما أرجوه، فسقط طريقنا بدون عناء ونصب  
 وسرى أو يرى أبناؤنا وأحفادنا أننا أركل أكبر صخرة في الصريق حالت  
 يسا وبين التقدم والعمران أمدا طويلا . ويجدر بي أن أذكر أن هذه الخلعة  
 هي خصصة شرقية عامة وعربية على وجه الخصوص وقد تناساها غيرنا أو على  
 الأقل خفف من غورته منها ونحن مازلنا عليها وهي ما زالت علينا وقد آن  
 لنا التحصن منها بنيل من شبت والتبصر وقوة العزيمة .

ما معنى أن الرجل هنا سواء في الماضي أو الحاضر يهجر قريته ويحوم  
 في القرى والأمصار متجرا ناهكا قواه متغربا عن وطنه الأصغر هاجرا  
 لزوجه وأولاده وأهله وعشيرته مضيعا لشطر كبير من حياته ثم إن كتب  
 له توفيق في رحلته وعاد رابعا غشى أقرب سوق من بلدته وسولت له نفسه  
 شراء كمد حوله السوق من ميسس ومأككل ومشرب ونقص محفظته مما جمعه  
 فيه بهذا الميسس والمهجة على الكداس لعمرو ولتصوّر الكاذب ليدخل البلدة  
 دحول عمارة لتأخيل الذين جمعوا مالا لا يفنيه الدهر وليبدده تبديد ( من  
 لا يحشى الفقر ) فيبدل ذات اليمين وذات اليسار بغير روية أو أناة غير ناظر  
 لمستقبل أدى نصرة ولا إلى ما تجشمه من نصب في جمعه ولبت بذله هذا  
 بكونه فيما يقع لاهل والوطن . . . ! وما هي الا أيام قلائل حتى يعيد  
 سيرته الأولى ويرجع للعهد الأول عهد الذل والهوان ويولى راجعا تاركا  
 أهله في الغراء والفقر وهو لا يدري ما يجتبه له القدر من خيبة وفشل  
 وأذكر أنني أعرف بمصر رجلا مكث فيها نحو العشرين سنة عدا السنين  
 اثني قصاها بغيريرة العرب والشام والعراق والحبشة خرج من أهله للتجارة  
 كغيره وكم أثرى وثرى في هذه المدة وكلما تحسنت حالته بقطر من هذه  
 الاقطار صاح شيطان تلك الخيبة الحسيسة في نفسه وسول له الظهور وبم يظهر  
 أبعلمه ؟ كلا فهو ليس بالعالم . أبجسه ونسبه ؟ كلا فهو ليس بحسب ولا  
 نسيب عندهم . أبجده وبذله ؟ نعم هذا هو الذي سيظهره عليهم ويجعله

يمدم ضم . إذ لا بد من البذل والسدح والترف في غير موضعه حتى يلفت  
 نية الانتصار وعدمه يصل هذا الهدف يصل حافة الهاوية ويضحى سخريه  
 لسخرين وهزه عارفين فيمر في قطر آخر وهكذا حتى اتى عصا ترحاله  
 تمصر وعض بها فعلته المشؤومة وبات الآن يستجدي الاكف ويرمي بنفسه  
 تحت قدم من كان في مقصوره - لولا الترف الكاذب - أن يكونوا خداما له  
 لو عتق وتدير - هذه يا قوه قصة واقعية لأحد مواطنينا تدل على مبلغ حبنا  
 للظهور الكذب وأنى ظهور أكذب من هذا الذى يريد صاحبه فى بلد كصر  
 ان يظهر ترفه وثأفته فى الملبس والسكن . ويعطى الشحاذ خمسين قرشا  
 بل قد قرش واحد ويعتقد أنه بعمله هذا سيكون من أبرز رجالات مصر  
 وما علم ان هؤلاء لا يضعون مليما فى غير موضعه . اما هو فلا دخل  
 ولا حرج معروف لديه - وهذه القصة رواها لى صاحبها (وتخففتها من غيره)  
 فقلت له اذا ناذ لا ترحع الى أهيك وحالتهم الآن حسنة وفى امكانك ان  
 تجد بينهم عملا يحصطك من الاستجداء الى ان تلقى ربك وقد علا الشيب  
 دصيتك ولم تبق لك الا س واحدة تداعب بها أصناف المأكولات فى  
 مائدة القديمة لا سمح لك الدهر بها مرة ثانية - فأجابنى بقصيدة عاء  
 طوبى قديمة أحط منها هذه الشطرة التى تدل على مبلغ بذخنا وما كنا نجله  
 من العادات ولا زلنا ونموت دونه وهى (خايف الهزلة قلت ناس فلان شن  
 جب) وما أن سمعت هذه الشطرة الا واعترتنى هزة عنيفة هى هزة الغريزة  
 الفطرية المتفعلة فى دماثنا واتى نثور لها ونهدأ من أجلها وشعرت حقيقة  
 بحروجة موقعه ان عاد بانخية بعد هذه المدة . وستعتبر هذه القصة أيا القارىء  
 مأساة اذا علمت ان لهذا الرجل زوج واولاد يتهم وهو حى ولا يعلمون  
 من أمره شيئا حتى الآن . نعم هى مأساة الترف الكاذب - وبهذه الشطرة  
 وأمثها يدب العدول لاوطهم كل ما جمعوه من نصار بما فى ذلك الربح  
 ورأس المال . . . وبها وبأمثالها مد القدم نحن وقوف والتدس سائرون .  
 والآن . ونحن فى عصر نزع فيه التقدم والعمران . نجد أبرز صفاتنا فينا صفة

الظهور الكاذب فالتاجر ما زال على حاله انى اسلمتها والموظف يتعاطى مرتبا لو قسته واحدى بدله لاربت قيمتها عليه بكثير وتأخذك الدهشة والخيرة ان حاولت فهم حياة تستغرق فيها الملوست وحدها كل الاير د ولا تكاد تجد فرقا بين من يكون راتبه اربعة حنيهت وعشرين حبيبه من هذه ناحية فبالله ماذا يشين المرء منا مستخدما أو تاجرا أو مزارعا أو عاملا ان سكن ولبس واكل على قدر دخله مع ادخار شىء لطوارىء ومدا عليها ان ألفنا جمعية تحفص وتستثمر هذا المادحر؟ لا ترون معى - لو فعلنا ذلك شيئا القصور وأنشأنا الخدائق وفتحنا انصارف وحملنا بلاد حمة فى الارض نسعد فيها ونغلب بها الالاباب .

وفى الختام اقترح على اخوانى الشعب متعلدين تكوين جمعية مقاومة جرثومة هذه الخصلة الذميمة فهم قدوة اخوانهم من غير متعسرين بل هم قبلة هذا الشعب انى يوليها شطره ويعتمد عليها فى حصره ومستقبله ولا أشك فى ان مهمتها ستكون سهلة ما دمت حجت جميع ندعو الى التخفيف من غلواء هذا الظهور الكاذب وما دله كل فرد مد بشعره بعاء الثقيل الذى يحمله كارها مغمورا بتياء هذا الشير الحارفة ومنى تقدم نحو هذه الغاية خطوات معدودات فستتم من نفسها عندما يبحث حب الظهور ذاته الى التشف فى حياتنا فكون انتعنا من خسة صلتا اضرت به وعند ذاك تكون المودة هى البساطة وحب الظهور هو لاقتصاد

حقق الله الرجاء وأرانا قبر تلك الخلة التاريخية البيدة

## ماذا وراء الافق ؟

ينف الانسان الشعير فى كل مرحلة من مراحل عمره مسائلًا عن غايته فى الحياة ، وعن عمه فيها . وعن وسائله ومؤهلاته . وما هى الآمال التى حنّتها أو التحرب التى اكتسبها . وهل اقترّب من المثل الأعلى الذى كان يؤثّر بالنصرة ويبرّ له الوقع والظروف والكفاءة والسعى : طرائقه واساليبه وهل ربح صفقة الحياة . ام عاد منها حاسرا مغبونا ؟

وهو قد يحسب نفسه حسابا شديدا دقيقا . وقد يستعرض امام خياله مواكب أعماله وآماله لماضية . وساعات افراحه الفارقة فيتسم بتسامة ثم عن الرضى والارتياح . وقد يمازجها شىء من الطرب الكريم ولاعجاب اثيرى . لحبة قصبت على الوجه الطيب ، ولماذا لا يطرب لنفسه ويعجب بها وهو يرى تلك الساعات بقعا من النور ترقص فيها عرائس الفوز والتوفيق . وتمرح فيها وتغنى جنيات الجهد الفاضل ؟

وقد يعرفه من الوجوم والانقباض والتفرز اذا ما رأى فترات الظلام الدامس تصبح فيها شياطين العمل الضائع هباء ، وتصرخ فيها بأبالسة الفرس التى انتهت اللذات . وفيما لا يفيد . أو يعود بالخسران الأكيد . وقد تغلب الظلمة على النور . أو يطفى النور على الظلام . ولا بد ان يحكم الانسان بعد هذه المراجعة والمحاسبة حكما على الحياة ولا بد أن ينطق آلامه أو نعمه ، أو بطل فى حالة من التردد . والشك العقلى ، والحيرة النفسية ، ينظر مرة الى الوراء ومرة الى الامام . يغلب اليأس على الرجاء فيغوص الى الأعماق حيث الزواجر والاعاصير . وحيث المخاوف والأهوال ، وحيث الظلام والموت .

• نشرت للمرة ٨١٨ من حريدة « حضرة السودان » الصادرة فى ٣٠ اكتوبر

١٩٢٩ .

وينتصر الرجاء فيعلو باليأس الى الأعلى حيث الحرية والقوة والحكمة  
وحيث العلاقة والإيناس والثقة والطمأنينة .

وهذا المتردد الشك الحائر ما دام لا يهلك نفسه . يقول نعم للحياة  
صمنا ولا مشاحة في ان كل الناس يقولون نعمهم للحياة عملا الا مستحزين  
فاولئك الذين لا يستطيعون غير ذلك .

وبعد هذه النتيجة ينظر الانسان في عدده وأدواته وعقله وعصلاته .  
وظروفه وأوقاته فيصلح منها ما يتطلب الإصلاح . ويبني منها ما تهدم ويسن  
منها ما تآكل وصدى ويرى من جديد الى معتك الحياة أكثر قوة . وأكثر  
معرفة ، وأكثر ثقة .

ولكن الامم أقوى من الأفراد . فليس هناك أمة تخسر تجارة الحياة  
تفكر في ان تتحرر دفعة . وقد تلم بها كل صنوف المحن وأنواع الآفات .  
من حروب ومجاعات وأوبئة . ولكن لها من القوة والمرونة والنصر ما يجعلها  
تخرج ظاهرة كثيرا ان لم يكن الى النهاية .

والحياة جبارة قاسية لا تعرف للرحمة سبيلا في أكثر الاحيان . فمن  
لم يأخذ بسننها ، ويجرى على منهاجها . خلعت وداسته تحت قدميها . فردا  
كان أو أمة . نباتا كان أو حيوانا . وهي أحيانا تقدم للاحياء فرصا فريدة  
للسمو والرفعة . فمن تنبه لها ، وتنهض اليها قادته الى أعلى . ومن احسن  
استثمارها دلته على مواطن النجاح والرقى . ومن غفل عنها أو تغافلها ،  
تركته حيث بندم ولا ينفعه ندمه شيئا .

وكما ان الطفل في سنه الاولى . وعند تفتحته للحياة . كالزهر في  
مطلع الربيع . يكون أصلح للزينة والتقويم ، واسمع للارشاد وأعمل به .  
كذلك الأمم في بدء تكوينها تتمخض بأجمل الاحتمالات وأبغ الآمال ،  
فاذا قام فيها من يرشدها ويقودها بحزم وبصيرة وتعقل . تبعته ونالت الرفعة  
والمجد .

والآن يتمخض العالم ، وخصوصا الشرق ، بانقلاب خطير عميق في كل المساعي والجهود ، فهو ينظر الى مخلفات الماضي بعين الريبة والشك ويخار في حاضره ، ويندفع الى المستقبل . ان أكثر تجاربه الماضية أبانت عن فشل رائع ، فظمه السياسية ، وتقليده الاجتماعية ، وعاداته الادبية اليوم في قدر يعلى ، وسيتبحر القاسد . ويرسب المفيد .

هو الآن في شغل أكثر من ذي قبل بالمسائل العالمية ، وقضيته الحياة الكبرى . فبينما يصل العربون الى فتوحات واكتشافات في عالم المادة تكاد لا نحصى ، ويوشك ان يقصوا على نضية الطبيعة ، اذا بهم يرون عالم الروح تسوده فوضى شديدة . وتنفذ عجب . وكساد ماحق ، وحيرة محيقة . فتشند الحرب بين العقل وبين تلك القوى التي تسيطر على عمل الانسان ومصيره . والتي يسميها بالواميس الالوية ، ولا يدرك لها غرضا . أو تحكم لها تسييرا . وبين المادة الناطقة . وذلك الاحساس الروحي الذي يتحلل العالم ، وبين العقلية القديمة والعقلية الحديثة . وبين لأدب القديم ، والأدب الحديث وبين النظام العتيق والنظام الحديث .

وهناك آسيا ، تقف أولا أمام نفوذ الغرب وحضارته وثقافته ، موقف الحيرة والتوجس والاحتقار . فترى أنها لا شئ فاشلة ، فتلبس له سلاحه ، وتبارله مدججة ، متوعدة . متهددة . وتنفسه في اقتصادياته وصناعاته .

وهذه اليابان والصين واهد والافغان وتركيا ومصر تتطور تطورا عميقا . ولا بد ان تصل الى ما تظن اليه من رقي وعظمة . وهي جميعها ذات غرض واحد ، ولكنها ذات وسائل مختلفة : فبعضها يدخل الاساليب الحديثة برفق وحذر . وبعضها بشدة وصرامة . وبعضها باعتدال وفهم .

والشرق شرقان : شرق متطور متجدد . وشرق جامد لا يتطور . ولا شك ان السودان لا يحسب بحال من الاحوال في الشرق الناهض . فنحن لا نزال نعبء القدماء ، ونحترق التقاليد البالية ، ولا تزال اساليب السلوك عندنا

هي اساليب تقرون نضده . وقيم أكثر الأشياء عندنا هي قيم تلك القرون .  
 وطريقة كتبنا وتفكيرنا صريقة عتيقة لا تتلاءم وتطور العالم لسريع .  
 ولا تتمشى وتنازع البقاء الذي يزداد كل يوم احتداما . وأدبنا على قلته  
 وتخلفه مبالغ فيه متملق ، معقد ، صعب .

فنحن في حاجة الى الأدب الصادق الحرى . السيط . العقول .  
 ونحن في حاجة الى نظر حديد ننظر به الى الشرائع والآداب والفلسفة والأديان  
 والى كافة الشئون . ونحر الى الآلهة نكنمة كما يقول لنا الكثيرون من  
 العربيين ولا تزال بلادنا محمولة لدى لغمة . ولا تزال فقراء في الروح  
 مهزليل مستنير عجاف حائرين صائعين بلا مال أو كسب . ولا تاريخ لنا ولا  
 فنون ولا آداب ولا علوم ، لا ساعات ولا حرف . ولا يزال عظماءنا هم  
 عظماء عتث والحروب ، التدمير ، فلا شاعر ولا فيلسوف ولا كاتب  
 ولا فنان ولا مصلح يلاقيت في تاريخ هذه البلاد . وليس بيننا من يعد من  
 رجال العلم أو من رجال العمل . وليس للسلم عندنا تقديرات تد للعرب  
 وأرضنا سهلة واسعة جذبة يس عليها من آثار العنصرية واسبوع لا التز  
 اليسير .

ولقد كانت بلادنا منذ ثلاثين سنة ميدانا واسع تدور فيه رحى الحرب  
 الضروس ، ليلا ونهارا . يهيب الآمن . ويشنق برىء . ويقتل الاصفال  
 والنساء . ويشرد الرجال في القفار . وتهدم بيوتهم . ويبلغ انكساد وانبؤس  
 درجة ما دونها درجة . ولا يزال ذكرى تلك الأيام السوداء عالققة بالاذهان  
 ولا تزال بقايا زرائب تحار ترقيق تدل على العدد العديد من أولئك الابرياء ،  
 الذين كانوا يساقون الى الشقة والموت

قد يقول لنا قائل : انكم الآن متقدمون . وهو محق ومخطيء . محق  
 إذا قارنا السودان بماضيه . مخطيء إذا قارنه بالأمم التي كنت تغرب من  
 حالته في ماضيها القريب . ولكنها نهضت في فترة وجيزة . فصارت  
 عزيزة الجانب . موقرة السمة . محترمة الشخصية .



وكن يرضى هو بيننا لخدمته . وهو مهد آبائنا واجد دنا . وهو قبرهم  
 من ينسى عهدهم . صحبه في أيام الرخاء وفي أيام النؤس . وحين كان  
 عسفا . وحين حلف به صفة والطوان . وقد ورثه عنهم . كما ورث  
 عدائهم وآههم ولامهم . وقصيب فيه شطرا من الحياة . وألف تذكاراته .  
 وبقعة نضاه . وحقن قلبه لخنوق قلبه . وهو التكريات المشتركة :  
 عصبية منها ومن العزيمة . ولشحية لمكية . والحدة المفرحة .

أليس من أحب من أن نحب هذا بيت العتيق ؟ ونحترم ماضيه  
 من ماضيه من عبوب ؟ لا بل لا يكره أباه لأنه ليس كاملا . بل  
 به من ذلك . حيوان ليحزن إلى وطنه ندى نشأ فيه وترعرع وإن الطير  
 ليهمو قلبه في سكه . ولا يبتغي له دل حتى يرجع إليه .

هذا البيت الذي نعلمه بالعيش فوق أرضه ونحت سنامه . ونشرب  
 ماء بيته لخدمته . ونأكل نت أرضه . ونشقى بما يشقى صميره .  
 ويكره نفسه لحرية . أليس من عرفان الجميل أن نحترم هذا الوطن المقدس ؟  
 هذا الوطن الخاشي طوال حمى آلاف سنة . يرمق شمس سعادته ولما ينشق  
 عنها الشفق ؟ ودموعه تتحدر على حدوده الكثيرة . وآلامه تفرح كبده  
 أخرى . يطلب في توسل وبكاء أن تزيل ما به من ضير . وأن تقيمه على  
 قدميه . انه عظيم في نؤسه العظيم لأنه غالب كرور الايام والعصور . يحتضن  
 أمه الخالد في بنيه الفانين !

أن الانجليز يقول « أحبك يا انكلترا ولا زلت أحبك بالرغم من  
 كل أخطائك » وأن الألمان يقول : « ألمانيا فوق الجميع » وأن الارجنتيني  
 يقول : « إلى الشعب الارجنتيني الكريم تحية وسلاما » الا بحق لاسوداني ان  
 يقول . « إلى بلادى البائسة مى القداء » ؟ .

لا يزال كثير ممن يجب ان يعمل لم يبدأ فيه للآن . فعلى من تقع تبعة هذا  
 التكاسل ؟ تقع على الشباب الذين يدعونهم ناهضين ، وعلى الشيوخ الذين

يسمونهم حكماء .

إني الآن لأنصور هذا السودان طفلا جبارا يغالب النعاس ويتمطى ويحاول التيقظ . ومن قال لنا أنه ليس بأمة فليس ذلك بمنع أن يكون كذلك في وقت قريب .

فلا اختلاف أديانه ، ولا اختلاف عاداته ، ولا اختلاف شعونه ، ولا اختلاف أجوائه وظروف المعاش فيه ، بحاللة دون تحقيق هذه الامية العذراء ، وليس يمكن أن تكون الامم في بلد تكونها غير ذلك : فانصالح المشتركة ، والتفاهم المتبادل ، واحداث التاريخ ، تقرب شقة لاختلاف . وتصل الأبعدين برباط متين .

وليعلم ابناؤه انه قد آذنت شمس نهوضه ورقبه بالبروغ . وإن خالفجرا رائعا . فاداما تكتفوا ، واتبعوا غرائزهم العقلية ، ووحى صمائرهم وعملوا في سبيل اصلاحه ادبيا وماديا ، وصوبوه الى البرورة العالية من العظمة والمجد . وليعلموا انهم في زمن فريد . وتحت تجربة صارمة . يخطط الأوائل فيها بالأواخر . ويبان كل ما تؤهله له قدرته وسعيه .

فمن ذا يعاهدني باستخدام فكره وقمه ؟ ومن يبرأ الى ميسدون الاصلاح مصحيا براحتة وملذته ومصيحته في سبيل السودان ؟

فلنعلم اذا . ويجب ان تكون خطة مدملين . وضع الاشياء في مواضعها فان الطاهر خدعة . وتشبه ما تريح البصر عن النظر الى الاشياء نظرا صحيحا . ويجب ان يتدب للمصيب نصيب وللمحطىء أخطأت . وحق حق ولو ثوى بين الأكاذيب . واصل بصل ولو نشأ بين القصور . وان البطل قد يعبر بحق حين . ولكنه لن يعلوه عن تور القصور ونعمونه في غوصي يكثر مستبدون ويحط الخصوم فما يفتحون

وان هذه يوفى غيب كثيرا من الجهد والوقت . وانه لا شيء كالصبر الصامت . فالارض تدور حول محورها مرة كل ربع وعشرين ساعة .

وحول الشمس مرة كل سنة . وليس لهذا الدوران من جلبة ولا ضوضاء ولم نسمع ان الارض تعين عن نفسها ، أو تمخر باتين شيئين في وقت واحد وليعلموا ان محل المشاعل والرايت وحرق البخور وقرع الاجراس ودق الطبول ولبس الثياب الحمراء والايمان الغليظة ، لا غرض وراءها غير الشعوذة والتدجيل . ولئن تكون سبيلا الى عمل نصيب . أو نتيجة معقولة . أو مطلب نبيل .

قالى الامام يا أبناء « سودان الفتاة » .

## في الخرطوم \* خواطر وذكريات محزنة

الوقت ليل . والكون ساج نائم . فما تسمع نامة ولا ترى حركة ، ولا تسمع سوى الركود والإغفاء . والسكون الشامل . والظلام الصافي ، والهدأة الناعسة . ولقد تحس الحين بعد الحين حركة ضئيلة ، أو تسمع صوتا خافتا فيزداد إحساسك بذلك الصمت ويشد تقديرك لذلك السكون ، وبأخذك ذلك السحر . وتستولى على نفسك تلك الهدأة ويغمرك ذلك الصفاء . فتروح في عالم الأحلام والذكريات وتدخل إلى عوالم الفكر والعواطف المشجيات . وقد خيل إلى أن الحياة قد وقفت فجأة ، وأن الوجود قد أدخل إلى نومة هادئة وبعديني ذلك الشجو والسهوم فلا أستطيع أنا الآخر حركة أو قياما ، أظل أتبع حركة الماء الدافق أمامي حينما ، وحركة ما يجري في خواطري وأحاسيسي حينما آخر . وأنا جالس على أحد المقاعد على ضفاف النيل الأزرق في مدينة الخرطوم . والنيل ينساب في مشيته هادئا كأنه صفحة المرأة المجلوة وعلى يميني في النهر بضع سفن بخارية وأمامي الخرطوم بحرى وجزيرة « تونى » وعلى شمالى مدينة أم درمان ، يحجم عليها الصمت ويكسوها الليل ثوباً رقيقاً ، ويخيل إلى أن ذلك الشجر الحانى بعضه على بعض والذى يظلل شارع الشاطئ وذلك النهر الهادى بما فيه من قنطرة وأمامه من مدينة وجزيرة وما فوقه من سماء تحسبها لشدة زرقتها وإنكفائها على حدود النيل أن السماء نيل وأن النيل سماء . وأن لكل صورة يمكن أخذها ووضعها فى إطار التأمل فيها وإستلهاام الوحى منها ! . . . وخطرت سفينه من تلك السفن المرصوة ، فحسبت لأول



[illegible]

ويأتي بين الألبس من ناحية الأخرى وهو أكثر - وصح من  
ليل الأرق - قدرى موجد مرند وآية لمصطفى بتكسر في علف وشدة  
على الشظىء - حتى - ليل الأرق عند حرمهم ضد من أوره  
وأخذ يسعد وتكاتف - في مرحلة حبيب - ليس هـ - ر - ح -  
وهك يسيران وقد صار بيلا وحيد وقلت وحشهم ورثتهم  
فتمح أحدهم وشعبهم - لوصاء - دغ - والحكمة ساذجة - وهـ -  
سندون في سير سريع ما سار الزمان وثقب الحية ١

وهذا حسب ما ذكره اشد اخصائى السهمى لو دعى الى تسميته انفس  
الاول نصره ويخرج له باب . وتخرج الروح . منه يقين السهمى من حوض  
محروقة . وهو مشحون بالروح . من تيسر السهمى له في حوض  
ولعل انفس موب حاد في عرق في سقيم حربية في انفس السهمى  
منسقة هي لأخرى السهمى . وهذا تيسر في نفس السهمى حربية . وهو  
نكيب السهمى . ويقع له لا يدع . وهذا السهمى حربية . وهو

الناصعة تبعث في نفسي شعور لآسى والذكريات لأليمة ؟ . . وإننى لأذكر « توتى » وأذكر أياما لي بها . وأذكر زرعها وأذكر مجدها . وأذكر تلك الخضرة ملء العين والبصر نهار . وهى الجلال والأصيف والخوف ليلا . وأذكر - وبالشدة ما أذكر - أذكر نبنى وأذكر بيت أبى . أذكر ذلك البيت القديم وسط الزرع وحيدا لا أخ به . كدثرة الموسومة وسط ذلك الزرع الحافل ! أين كل ذلك ليوم ؟ لقد مات نبنى وصمحل الزرع وتهدم البيت . وما بقى منه سوى الجدران وتراب . وصار مأوى حيوانات ضارية . تسكنه الهوام ويعمره الخراب المائل للعين .

وهذا الشارع الجميل المنسق على ضفاف النيل الأزرق ماذا يترك فى نفسى من إحساس ؟ لا تزال صورته نبنى رأيته وأد طفل بأمر درمان مرسومة أمام ناظرى وهى صورة فيها من الحنين والشوق ولقدما لاسبيل إلى وصفه . على أن ما يعنى العالم بخواضر حالم مثل ! ؟ وهؤلاء بعض الناس يتحدثون فى شغب وقد خرجوا من دور السينما . وربما كان هناك حفلة راقصة ! وفى البحر حيتان . وفى الشجر أطياف نائمة . وغير هؤلاء وأولئك من أعمال متباينة . وحالات مختلفة . ماذا يعنى كل هذا التدفق سوى طريق الحياة وشمولها وعدم معرفتها للسهولة . بل هى « الشدة » وهى القوة العارية ! تلك هى أم درمان وادعة نائمة . ومن يدرى ما بداخلها من المتناقضات ومختلف مظاهر الحركة والسكون . وشتى مظاهر العاطفة والشجون . وإننى لأذكر النيل الأبيض وسفرتى فيه وأنا ما زلت صبيا حدثا . كيف نسبت نفسى فى مرح وبساطة وأنا على السفين ! كلها ذكريات قوية واضحة . تتسلل إلى ذاكرتى من حيث لا أشعر أننى فى حاجة إلى بروسى . « آخر ليصف كل ما يجرى فى وعيى المستر فى تلك اللحظة من الزمان . إنها تملأ مجلدا ضخما وما تقنى ! وإننى لأذكر ليلى المدرسة . وسماعى لذلك « البورى » الذى يهز كيانى هذا ، ويلعج نفسى ويذكرها بمن مات من أهلى وأحبابى !

• الإشارة إلى الكاتب الفرنسى مارسيل بروسى مؤلف (الحنين من امر من الناصع) .

ولا أدري أى علاقة لذلك الصوت ونسب تذكيرت المحزونة ، فلربما لأن  
خنى كان ضابطا . ون ذلك « البورى » يصرب لعشاء الضباط . وخالى قد  
مات . ونظر إلى يمينى فأذكر ضواشى الخرطوم وأذكر « برى » بنوع  
خاص . لا أذكر « برى » اليوم وإنما أذكر « برى » لئى لم أرها بل سمعت  
عنها . وأصغيت إلى أناشيد الفتيات وأغانيهن فى مدحها « برى الطرويه  
والزول حلاوه » إن ذكر هذه الحملة ليمثل أدمى صوراً من الماضى قوية .  
حية كشد ما تكون حية وقوة ! بالصور ناصى ويا لشجوه وحنينه ! أذكر  
شوقى إلى الماضى . وأذكر حنينى إلى المجهول . وأذكر شعور لإغتياب  
والجمال القنى الذى أشرف عليه عند مشاهدتى الليل فى تلك الليلة . فأقول  
يا للعجب ! أترانى أود أن أعيش الماضى والحاضر والمستقبل فى ساعة واحدة  
بالنهم الحياة . وطبع الإنسان . وعطش العواطف !

فأنا الآن أذكر كل هذا . أذكر الليلة تقمراء بأمر درمان وأنا صبي  
ألعب . وأذكر مكاني من الخرطوم ومكان الخرطوم من ككرة الأرضية  
-- إن صح أنها كرة -- أذكر الخرطوم وجمالها السامى . وصداء انصامت  
وروثها وأحلامها وصمتها وما يحيط بها من ضوضاء . وما يتصل باسمها  
من أسماء تاريخية . وهالات وحروب . وأذكر الحيتن فى قعر النيل .  
وأذكر الشجر فى وقفته الكثيبة . ووحشته الدامعة . وأذكر عوالم أخرى شهدتها أو  
قرأت عنها . وأذكر أبى وأذكر أختى التى فارقت هذه الحياة . وأذكر هؤلاء  
الراقصين القاصير . وأذكر الجمال المائل لعينى . وأذكر غير هؤلاء أشياء كثيرة  
لا صلة بينها ولا قرابة عندها . . ! فأسأل نفسى ماذا تعنى كل هذه الأشياء ؟ ..  
وليس من محجب . . سوى أننا فى هذه الحياة وسطن فيها إلى أبد الأبدن .  
لا نعرف عنها شيئا يرتاح إليه الضمير ، ويسكن عنده الخاطر . وإذا أنا فى  
هذه الخواطر المسائية أشعر برعشة فى جسمى . وأحس بدمعة فى عيني .  
فما أدري أهذه الدمعة شعور يجلد الحياة . أم هى بكاء عليها ؟ . غير أننى  
أعرف أننى أذهب وأعمل بعد ذلك كما يذهب أناس كل يوم ويعملون . !



## مثل عليا (١)

### للحياة السودانية المقبلة

إن أمة يضرب فيها سبيل الأدب فلا فرق بين العارف والجاهل وعمت القوصى حتى كادت تودى بالغث والسمين . وضعف نظام التعليم فيها وصافى مداد إلى أن قارب الأمية لم يندمج فيها . الحرية أن تكون هدفا للولايات الإجتماعية وأن تشكوها ونسعى جهدها للخلاص منها ومما يعقها . وقد نظرنا إلى نصم لاسرة وحدنا المرأة جاهلة تحوطها جدران من الجهل وتثليد ، وقد صرنا إلى أخلاق الشبان هالكتا الهوة السحيقة التي ينحدرون إليها واعين وغير واعين . وإذا تفقدنا الكهول والشيوخ وجدناهم لاهين بأعداء الكبر وتكاليف العيش وخوف الموت عما تطلبه أمتهم من جهودهم وما ترحوه من الإستفادة بتجاربهم . وإذا تطلعتنا إلى المجالس والمتديات وجدنا المؤمن يأكل لحم أخيه حيا والقيينا الإنقسام ينخر في صميم الأمة ويهدد كيائها ورأيها فتين الخى يشغلهم التفكير فى أشخاصهم الغانية عن التفكير فى خير هذه الأمة التي ما زالت فى سباتها تحاول فتح عينيها فيرونها ما ترى بسبب عيبه من نحن تتلوها نحن وإنقسام يتلوه إنقسام .

ولقد تعاقبت على هذه الأمة فى الآونة الأخيرة ثلاث حكومات قبل هذه الحكومة الحالية (٢) : أولاها مملكة الفونج . وكان الناس إذ ذاك نعمهم موجة من الجهل فلا الحركم قادر على تسيير دفة الحكم ولا المحكوم

(١) نشرت بمجلة المحرق المصدرة في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤ . وهذه المقدمة هي نسخة من نسخة عن رأى مؤلف فيما يبنى أن تكون عليه صورة حياة السودانية . وعنوان هذه المقالة « فى الاحتياج والسياسة » .

(٢) حكومة الحكم الثنائي .

تقادر على مساعدة الحاكم وكانت ثمة فوضى يؤيدها نضله ويحكم أمرها - إن كان للفوضى أمر فيحكم - ثم جاء العهد التركي لمصرى فوقعت البلاد فى قبضة الحاكم الأجنبي الذى لا يهتم من أمره إلا أن يستعمل ماله ورجاله . فجعل الولاة لأتراك يهبون الذهب ذهباً ويعدون الفيلق توليفين ليزيدوا إلى عدد جسد وإلى مصر وليدحوا على حيشه عصر فيه من الميزات والقوة ما يحتاجه ذلك الجيش وتنشئ النظم فى البلاد وكثير من صغرى على الأهلين فوهن القوى وأضعف الأخلاق . وعلى لأخص لأن ذلك العهد جاء عقب الحروب الأهلية التى أفتت لرحال وتوترت فيه علاقات غيبيل وتفرقت الكلمة . ثم جاءت النهضة لتنفذ لناس من فوضى لأخلاق ومن ضلهم الحكام . فكان لها ما أرادت فى عهدها الأول . ولكن لجهل قعد بيته وقضى فى عهدها الأخير بأن تكون مشاراً لتتفرق القبل من جديد . وكان ضغط التقاليد بالأمر سبب فى ضعف لأخلاق بعد أن بدأت تقوى . فسد الدس وكثر الرياء وخفت أحلام الرجال ولا دين وهو قوة فى لإيمان وصرا على الشدائد وعرفوا أن ما قدر سيكون ولن نصيهم من مصيبة إلا بإذن الله . . وهكذا ترى كيف تجمعت لعوامل واتحدت لتجعل من هذه الأمة طعمة سائعة لكل غار وكل مجتوح . ولتورثها وهى فى لأخلاق وتفرقا فى الكلمة وهى محكومة مغلوبة على أمرها . ولحكم مهم حسنت نياته فليس من الخير له أن ينه الأمة لضعفها فتقويه وإلى تفريق الكلمة فيها لتعمل على إتحادها !

ومستوى المعيشة ونوعها ومدات حياة ومطامعها . هل تثبت مما يسعد على قيام حياة إجتماعية سعيدة ؟ لا . فإن الفقر المدقع وحذف حياة حتى قاربت الكفاف أو هى حياة لكفاف بعينها . وفقدت الجسم الطليعى والصناعى وعدم الخفات الناس إلى الزور يسير الدقى مه لأنهم فى شغل عنه بحاجيات الأكل والشراب واللبس المتواضع . وما تدها به الظروف من الأزمات المالية والأخلاقية . وما نقاسيه من كبت الأفكار نخوفنا حتى من

أفلسنا ولمقدون الثقة حتى في الصديق الخلوص بل والأخ الشقيق . ولإنعدام روح التعاون وروح التضحية وروح الإقدام بين الشباب ، كل تلك العوامل فرادى ومجموعة لا تزال تعمل على إضطراب الحياة الاجتماعية عندنا وجعلها نعمة غير موفقة ، لا تسج سوى الخراب عاجلا أو آجلا .

عبر أن لهذا الشعب فضائله التي توارثها واثى لولاها لما احتمل عقابيل تلك الأدواء دون أن يفنى ولأقمنا على حدته مناحة . فإن الأريحية العربية الصفة والصبر على الشدائد حتى كاد ليكون جينا وتبلدا في الشعور ورضاء الدلب . وإن ما تكنه الصدور من الشجاعة الحقية والمحافظة على الأعراض وإرقة الدم في سبيل حمايتها ، كل تلك الفضائل لا تزال عاملة على مقاومة الأمراض الاجتماعية التي تجتاحنا وأصبحت تهدد مجتمعنا على أن هذه الفضائل بدورها أخذت في القفصان والتدهور ويخشى عليها الإنقراض . فالشبان لا تجد عندهم من الأريحية والإباء ما عند آبائهم وأجدادهم ، فهم يتجمعون حتى عن مساعدة ذوى القربى ، وقليل منهم من يفكر في أن له من الأعراض ما يجب أن يصاب ، والتقاليد الصالح منها وغير الصالح بدأنا نطرحها جانبا ولا نطرح إليها إلا كبعض العاديات في زوايا المتاحف .

والآن بعد أن استعرضنا ما لهذه الأمة وما عليها ، ورأينا العوامل التي إتعدت لتعمل على إنهيار ركنها ، والعوامل التي أخذت تقاوم حتى ضعفت أو كادت تعجز عن أداء وطبقتها فلنر ما هي طريق الإصلاح وما المثل الأعلى الذي يحق علينا أن نضعه لحياتنا الاجتماعية وننبه . والأسرة في نظري هي نواة الحياة الاجتماعية ، فإذا كان نظام الأسرة مما يساعد على التعاون وبهم الواجبات قبل المطالبة بالحقوق وكان مما يدعو إلى المساواة ورفع مستوى الحياة والتسامي بالمشاعر إلى المثل العليا والرفع عن الدنيا والمطامع الشخصية فمن لا شك سنظفر بحياة إجتماعية سعيدة تكفلها حياة سياسية مزدهرة .

والأسرة قوامها المرأة والمرأة كما أسلفنا جاهلة في حاجة إلى التعليم لتعرف واجباتها ولتعرف كيف تربي أطفالها وتفرس في نفوسهم حب

بلادهم وحب الخير للإنسانية عامة . وأن عندما أقول بتعليم المرأة لا أريدها لتعمل في الأسواق أو لتدخل ميدان الوظائف الكتابية . ولكى أريدها روحاً مدبرة وأما معنى بترية الفصل وترعى جسده وروحه وتكمل بعدائه الجسمي وعقلي والخلقي . ولا أريدها سافرة متبرحة . ولكى أقول تحفظتها على تفليدها لمرعية وعلى تقليد وتعليم دينها الحبيب . وأريدها ملاك يعرف في جسد لأسرة ولين سمرها . يؤثر وجودها على رجال حتى يكفو عن هذر القلوب ولغو الحديث وحتى يحصر واهمهم في تحير الألفاظ وتضييق عبارات فلا يفرحوا شعورها . ولأصرب لكم مثلاً على قوة تأثير المرأة في المجتمعات . فإني أتحدث الإنجليزية مع الإنجليزي وغير الإنجليزي وأهم في بعض المواقف بنعتي وأصقلها ولكى ما تحدثت إلى سيدة إنجليزية لا وريث الماضي وتعدى تسامى ورأيتي حريصاً في القول مقتصد في الرأى . وشعرت بأنى غير ذلك الرجل الذى يتحدث مع نرحل أمثله . وبعد البحث والاستقراء علمت ان للمرأة سلطاناً على الرجال يؤثر حتى في محادثتهم وأعمالهم الأدبية .

وإذا تعلمت المرأة وقامت بواجبها في الشبان أسوق الحديث قبل الكهول والشيوخ . إن شبابنا أخذوا من مدنية العرب القشور دون الباب فتقايوا في السكر والميسر والفساد فأنساهم الشيطان ذكر ربهم . وأخذوا يفكرون في منافعهم الشخصية دون منفعة البلاد وحملوا يتبجحون بأن لهم حقوقاً ونسوا ان عليهم واجبات . قال « جوزيف ماريى » عندما كان يدعو أبناء « إيطاليا الفتاة » لتحريرها كلمة إذا اتبعناها نجحنا في جميع مقاصدنا . وفحوى تلك الكلمة : ان كل الثورات التى قامت نادى زعمائها برد الحقوق ولكنه يقول لأبناء إيطاليا ان عليكم واجبات . « مازينى » لم يقل ذلك إعباطاً ولكنه كان يعلم حق العلم أن الرجل الذى يعرف واجباته ويؤديها على وجهها الأكمل فسرد اليه حقوقه غير منقوصة دون أن يطالب بها ، ولقد صدقت الأيام زعمه فتحررت إيطاليا وغدت ملء العين والأذن !

فواجب الشبان أن يتحدثوا ويسوا أنفسهم وأن يتعمقوا في المعرفة وأن تنتزه اجتماعاتهم عن فضول الكلام وسافله وأن تكون لهم جماعاتهم المنظمة لمحاربة الفساد والامية ورفع مستوى العلوم والفنون والآداب وواجب الشبان ان يقدوا البلاد من ويلاتها وان يرفعوا مستوى الحياة الاقتصادية ويساهموا في تكوين الأعمال الخيرية التي تخفف آلام الفقير وتكفل لأبنائه مستقبلا زاهرا . وواجب الشبان أن يبادوا بمحو القبائل وأن يقولوا انا سودانيون لا فرق بين أسودنا وأبيضنا ولا فرق بين ساكن الشمال وساكن الجنوب !

وأما الكهول والشيخوخة وهم تراث أجيال مضت ، عندهم من الفضائل ما كاد يقرض في الشبان وهم من الأمراض ما أورثتهم له تعاقب تلك الحكومات الثلاث من دس ورياء يسمونه دهاء . وما عندهم من زعم على أنهم قاموا بواجبهم العام وبقي عليهم أن يفكروا في تكاليف العيش وأن يشغلوا بأعباء الكبر وخوف الموت عن خدمة بلادهم وإفادتها بتجاريهم ، فإنني أقول لهم أنتم مسئولون عن مستقبل البلاد وعليكم أن تكونوا مثالا للشبان وأن تورثوهم ما عندكم من الفضائل وأن تنجدوا من أرائكم فتعملوا مخلصين لوجه الله والوطن فإن من بلغ الأربعين أو جاوزها أولى بخدمة بلاده من سواه وهو خليف أن يكف عن الدس وعن الرياء فهو إن عمل في وضوح النهار وإن جاهر بالحق فلن يصيبه أذى لأن له من السن شفيعا ، وإذا أصابه أذى من جراء تلك الصراحة ومن أجل قول الحق فهو نعم الأذى وفيه خير الغزاء لمن يطمع أن يرى بلاده متمتعة بما يرجوه لها من تقدم وعمران ، فلي ميدان العمل أيها الكهول والشيخوخة واحملوا علم الجهاد ولكم من الشبان خير جنود .

أما مستوى المعيشة ومدات الحياة والإلتفات الى نفحات الجمال وروائعه فهذه من حقنا إذا قمنا بواجبنا ، وستكون موفورة للجميع اذا رال الإنقسام وتمتعنا بالثقة في بعضنا البعض . . ادت بيننا روح التعاون

والإخلاص وروح الإقدام والنصح . وستكون لنا في القريب العجل  
منتديات نفى برغائبنا ونجد فيها مجالا لتنفيذ خططنا وتحقيق أحلامنا .

والآن لأجمل ما فصلت فأقول إن المثل لأعلى لمحية لإحتماعية أن  
تكون لنا أسرة صحيحة تديرها امرأة متعلمة وأن يعرف شئنا وحسنه  
قبل أن يطالبوا بحقوقهم وأن تتحد كلمتهم وأن يقضى قضاء فضائل . وأن  
يتقدم الكهول والشيوخ إلى ميدان العمل ويحملو علم الجهد . وأن يصحرو  
بالبقية الباقية من أيامهم وحياتهم في سبيل الله ووطنه وكفى شأنا  
القارىء تسألنى . وما هو المثل الأعلى لمحية السياسية لأن عنوان مقال يدور  
على أنى سأحدثك فى ذلك الشأن ، وجوابى هو أن السياسة لم يأت الأوان  
لتحدث عنها ما دامت مقدماتها من تعليم وحياء أدبية ورجوعية دافعة  
ما دمت أنا مكتوف اليدين حبيس اللسان .

ولو أن المجال مجال سرد لأطالعت اللسان بما يزين  
ولكن اللسان له قيود فمهلا سوف تطلقه السنين !

## بين مصر والسودان (١)

### في سبيل التعارف الأدبي

هذا عنوان استقلت به السياسة واستأثرت به الدوائر فلا يطلق الا حيث يراد به معانيته هذا لحدث اقام بين القطرين . والا حيث يصرف على وجوه احكامه والسيطان و رعة الاستعمارية ولقد ظل زمنا ضويلا وفق على هذه السياسة العائنه باسمى حرمت العلم والأدب . فما تحس له وجودا في غير دار المندوب .

ولو قد ردنا أن نحصى به من مطان السياسة ومضيق السلطة الى حيث ينفس هواه حرية ( نعاوين ) لكأن هناك متسع من العلائق الأدبية السامية تسمح له منها مكان لا ينصرف الى كرامته فيها شيء من هذا لعبث العيوض . وانا لآرجو أن يكون قد انقضى ذلك الزمن الذى لم يكن يطر الى السودان فيه الا من وراء هذه المقامع العائنه وحدها . ولعل مصر نفسها لا تعود تنظر اليه تلك النظرة المحدودة الضيقة . ولئن كان السودان من قبل لهذا ليس له مكان الا في صحيفة المستعمرات أو سلة المهملات . فليس هو الآن ذلك البلد الأحرس . الذى تدور حوله صفقة الاستعمار وهو يتسم ، ليس لأنه استكمل فى نفسه عناصر الثورة . أو استجمع فى قوته مدافع الخروب . ودواوى الاطماع . ولكنه الشعور بالوجود وكفى . ولكنه الانقلاب التاريخى العظيم الذى تمهد له الثقافة وتشق له الآداب فى حياة هذا الشعب لياخذ حقيقة الحياة . أفليس هذا وحده بكاف أن يحمل السياسة تعبير من نظرتها اليه . تلك النظرة القاصرة العمياء ؟

وما نريد أن نطمس على الاستعمار فى كلمة أو نأثى على السلطان

(١) نشرت بمجلة (نصر) - العدد ١٦٦ - مرة فبراير ١٩٣٥ ص ٧٢٤ وصحت كتاب (تجاني يوسف بشير - مصر - لاون - الآثار شرقية بكنته) - وادى صميم بأعده محمد عبد الحى وبكرى بشير - وشترته شركة مطابع راي (٤) ١٩٧٨ .

في مقال واو قد استطعت أن بفعل لما أبسطاً قلم في تحقيق ذلك . غير أن  
 لانكاد نفهم تفسيراً لأن تستغل السياسة اسم هذا البلد استغلالاً حامداً  
 مقصور على ما تدعوا به لأطماع وحسب صحيح لقد كد في ودعة  
 السودان وحمله من قبل مدعة لهذا التحيف ومحلبة أن اعشاره شيئاً لا مكان  
 له من الاعراب السياسي المحترم . فهو مبني على غير حركة الانقلاب  
 حامداً لا يتصرف في منطق الحكم . أما هو اليوم فلقد عرف منزلته من  
 الانسانية الخرة المهنة . بحرف صريته أي كان ما يسعى أن تعرفه الشعوب  
 فلامعى لا اعتدال دحيته العذبة والأدبية حتى في هذه الايام التي يعمل حامداً  
 فيها ليحقق من نوابع شدة قدوة لشكر . أفلم تكن ان هذه ساحية حليلة  
 بالعناية من كل ما تدفع به سياسة من منطق صورة عيشة . " و  
 جهت مصر ما يجب ومن سودا من عائلتي أخرى حيرة . همهمها  
 غير ما لها من علائق سياسية ب . سودا بحريه . نحن . ب . مقدوني  
 هذه العلائق مكثري مصر وما يربطها من مسرح شدة وأثر تشكيل  
 المصري الذي سيظل خالداً في تاريخ أدب السودى الحديث .

فحير له ولمصر الأدبية أن يعنى هذه مرة بط . توثق من هـ بين  
 السدين وشائع المعرفة الأدبية لصحيحة حير لما ولمصر أن بها لتدريج  
 مادته من هذه النواحي الحادة وقد يعتد له فسمى العناصر أروحية لتجيب  
 بها إلى كثرة ما شاء من قصه . ثم مصر السياسية فليس لدينا ما نقوله فب  
 اليوم أو عد أو بعد غد . لكن حسنها أن تعلم أن هذا العلم الذي يخص  
 في قلب العاصمة . والذي ما يراى يرف ويدف في هذه المراكز المتواضعة  
 جاهداً مكثوداً في إضرافته الحربية ليس هو الآن كما نحمه مصر . لقد سبه  
 الناس . أحل لقد سبه الناس فحير لما وقد أن درفع نحسه إن له نقل في مكانه  
 علماً آخر من ألوية العلم حيد . وحر . وهذا لا يصيبه . فحير .  
 عن محض الروابط العلمية الخاصة من عوشي الحكومة وشوات له .  
 وما يسعى إلا أن يصيب عن كل ما بعد ذلك فلا يتسع لأكثر من هـ



اصلا . على أن مصر وقد نهضت وقتاً ما حكم هذه البلاد . فليست هي  
نوضح أثر ولا نلت عمداً إلا في هذه الأجزاء الأدبية . إن أثر الثقافة  
مصرية في السودان هو وحده ما سيحفظ مصر أثره فيه يوم لا ينسى إلا هو  
قوياً واضحاً في مذكرات الأيام .

ذلك هو حديث الأدب إلى مصر لا حديث السياسة . فتلك لغة أي والله  
نحن أشد الناس جهلاً بها من كل مخلوق آخر . قد يستعمل أن خلص منه  
العموان « إلى ما يريد أن يخلص به إليه . وأن يفهمه صريحاً سهلاً لا تعقد  
فيه ولا انواء . وأن نخرصه بدء « البيل » من كل ما علق به من لأوصار  
« الرسمية » فقد استطاع أن نوحده بين مختصرين روح لتقدم لأدنى الصحيح  
الذي لم يكن في ساعة ما أشد حاجة إلى غيره منه . فيأخذ أدباء الشباب  
المصري في سبيل التعارف الأدبي مع إخوتهم أدباء الشباب السودانيين .  
وليتروا للسياسة طريقها تسلك فيه ما شاءت في موكب من الحرس وكوكبة  
من حفظة النظام .

إن الشباب وحده هو خالق التاريخ . وفي حركة الشباب الآن حياة  
المستقبل من بعد . وهو الكفيل . بتعريق هذه المواصل حتى تتوحد الجهود  
وتتكاتف الجهود . وتتكاثر الأقلام وبهمهم كل أخاه . فلا نعود نرى أو  
نسمع أن مصرياً مثقفاً يجهل كم عدد الصحف والمجلات التي تصدر في  
السودان . في حين يفرح في وجودنا أن تستمر مجلة مصرية نحن أذن الناس  
تشجيعاً لها وهي مع ذلك لا تعرف من صحفها إلا « الحصار » أفصح أن  
يصل الأمر إلى مثل ذلك يا مصر . . . . ؟

مذ زمن بعيد ونحن نسعى لتحقيق من الحياة الأدبية أسمى ما يطمح إليه  
العصر . ونجد لبنت من شبابنا أقوى الشخصيات وأخصب العقول . وما  
كان ليعوزنا أن نخلق هذه الشخصيات ولا أن يساير حركة العالم الفكرية في  
مثل ما يتطلب من نشاط ويستلزم من مرونة ويفترض من بقلطة . أجل ما كان

لينقصنا شيء مما يكون هذه النعمس إلا أن يعنى بنا العالم الشرقى وحده فيقرأ ما نكتب وينقد ما نتج . وإلا أن تعنى بنا مصر وصحف مصر خاصة فتأخذ هذه الأقلام التى تحسب أن صريرها يصم آذان العالم أو نخلم أنه قريب من ذلك . وما يمنعها أن تحسب وأن نخلم ، ثم ما يمنع أن يكون حقيقته ما تحسب وما نخلم . إذا قدر لها أن تنال نصيبها من عناية الشعوب . وإذا بها لا تكاد تعرف كأنما تعمل فى كهف .

قلنا ما ينقصنا قوة فى الأدب ولا سمو فى التفكير ولا شيء من مؤثرات العظمة الأدبية إلا أن تبرر هذه الأقلام المجهولة حتى فى مصر ولعلها أن أتبع لها أن تنفس قليلا أن تكون أبلغ أثراً مما كنا نعهده حلماً أبعد شيء من الواقع . وما يمنع شيئاً من هذا أن يحصل أيضاً . بل من الواجب المبرور لا تبغى عن لحاق أقلام ربما تكون دهباً لا قصاصاً وربما تكون شيئاً أكرم على الحياة مما يكون الضارة إن كان فى مثل هذا عبرة فى الإلتحاح ، وما بها حاجة إلى الترقية والإطراء . ولكن ما يؤلمنا حقاً هو أن نطل مجهولين هكذا من ناحيتنا الأدبية حتى فى الأقطار الشقيقة . وادع تفاضينا عن كل هذه الأقطار فما يكون عذر مصر فى جهلها بنا . هلا تام . لا من تلك الناحية وحدها بل فى كثير من الواحى غيرها . الأمر الذى يندج فى شأنها قدحاً دليلاً لا يزكو معه أن تطبق باسم هذه الأصقاع مرة أخرى فى لهجة الذى ما يفتأ يحقق علمه هنا فى صميم البلاد . . ذلك العلم الذى نسيه الناس من لدن كثرت فى هذه البلاد أعلام شيوخ الطريقة . .

كلنا فى الشرق أبها انصريون - معقد رجاء الشرق . فمثل واجبنا نحوه واجبكُم له . ومثل حظنا فيه حظكُم منه . فحن سواسية فيه . سواسية فى أسمى ما يفتخر به الشرق وفى تحمل تبعه كل ما يصيق به الشرق . فلتكن هذه أول مرة للتعارف الصحيح بين القطرين ، وهو أن قام على ما نرحو أن تقوم عليه فيؤتى ككله الأدبى طيب نادر : -

وإذا متلفتنا ليوم نطرد أدباء الشباب المصرى وهى ندعوهم قبل كل شيء  
لتوثيق الروابط الأدبية بين ( مصر والسودان ) وأن يقوم التعارف الأدبى  
المتين بين شباب القطرين اللذين يرحو أن يوحد بينهما ذلك لتحاوب  
الأدبى ، وهو وحده ما ندعو اليه .

« وعفا الله عن ما سلف . فليعلم من فى الكفاية احصاء أن فى هذا  
البلد السحيق الترامى الاطراف لأشعث الأعز قنو كبيرة طموحة .  
ونفوسا متعطشة للعلم والعرفان » .

وليعلم من فى الكفاية أن فى السودان شدة وفيه دنا . وفى أدبه  
لذة وفيه متعة . وانهم لم تعد تنكسر عنهم الحال فيحرقون منها . ونما  
تدفع بهم أسماء فيهظون منها للارض ليهضو برسالة الأدب أن لأدب  
وليهضو أن لتريح نما يجب أن يعرفه عنهم التريح . .

## من مذكرات أغيش<sup>(١)</sup>

وسموا ثلاثاً حضرة معوناً الى اميجر حراهم نائب قائد المهنيين  
المنكيين - سى آر آى سار وسعرون على نوري تابع للجيش وفي  
سار آويا الى احد معارفا وجعلنا نذهب الى ورشة الجيش فلا نجد الميجر  
جريم - كما يظنونها - وبعد تردد ثلاثة أيام قيل لنا انه باثنى فى السادسة  
صباح فيورع الاعمال ثم ذهب الى مكة للعمل للتفتيش فاتفقنا على أن  
ياتى فى هذا الموعد الياكر فى اليوم التالى ولكى نتجمع فى التبكير كان  
لابد أن نتملص من الضيافة فاتفق رأينا على المبيت فى العراء بحوار  
كراكات الرى امهجورة . مع العدد العديد من المتشردين على مسافة  
قريبة من ورشة الجيش إياها . وكان مبيتا شعريا على أكوام الحصى الذى  
يلمع فى ضوء القمر وبغزل الصنوع !

وبكرنا فى الصباح بعد أن صلينا بالتييم وقاتلنا الميجر جريم  
وسلمناه توصية مفتش المركز الانجليزى الذى زودنا بها المأمور السودانى .  
وكان أحدا قد كتب خطابا طويلا باللغة الانجليزية كنا نعيد كتابته فى  
كل يوم مرة أو مرتين وضحنا فيه استعدادنا لخدمة قوات الديمقراطية  
التي تطارد الفاشية !

وكان الميجر جريم رجلا عمليا من نوع فريد ، قال لنا : تسافرون  
اليوم بعد ساعة . فجرينا الى السوق كى نخضر هدمونا من الفصال ومن  
بيت الضيافة وجثنا فى الميعاد دون ان نتناول شاي ولا إفطاراً ، فحملتنا

(١) هي مذكرات الاستاذ عبد الله رجب اذى اس حريذة ( الصراحة ) ، وكان رئيساً لتحريره ،  
وقد عرفت الصراحة بالتزامها جانب الشعب ، كما كان يطلق شعارها ، ولها دور بارز فى  
محنة الاستعمار والرجعية وادواء المجتمع . نشرت هذه الحلقة بالصراحة يوم ٢  
يوليو ١٩٥٤ .

سيارة « ركوبة » فخمة كانت تعمل بالنكسي بمدني واستأجروها في الجيش - حملنا من سائر الى الرصيرص وكنا نشعر بعزة لم نألفها من قبل . وكان كل منا يشرد مع خواطره . ويبدو لي ان خواطرنا جميعا كانت تلتقي في انا صرنا مع الحكام والناس العظام . وكان احدنا ترزيا فلعه في ذلك اليوم كان قد قتل حياه اراء كل من نى الله لإدريس الذى تقول الأساطير إنه اخترع سم الحياط . وشركة ماكينات الفقر في السودان . أما الاثنان الآخران فلاشك أن كل منهما قد جعل يسب التجار والاتجار . ويهدد هذا التقيل بالتكثير يوم تؤول اليه ملكية الحكم في السودان .

وحينما وصلت العربة الى الرصيرص ليلا . واجهنا الواقع بردائه ولم يكر هناك حكام ولا طوول في انتصرا . ولم نجد مطبخا مفتوحا بالسوق نأكل فيه . أما عن اميت فقد أوب الى المدرسة الاولى وكانت كرنكا او جوست مشيدا من انقصب . وما على برش الطلبة وجعلنا نكرش طواب الليل من عص الحاف خصوصا وقد كان لساء على الرمال قد أطار النوم من أجفاننا .

وفي الصباح سلما حطاب ليجر جريم الى جاويش فرقة المهندسين المشول عن العمل بالرصيرص الذى استقى الزميلين بالرصيرص نفسها لمراقبة العمل بالمطار . وبعث بي مع مجموعة من العمال لاصلاح الطريق المؤدية الى ( قبا ) في منطقة بنى شنفول السودانية التى تقع تحت إدارة الحبشة .

وكانت اللوارى التى تحملنا تحمل معنا وقودها من البترين . ووقودنا من دقيق الذرة . وعشت في خلاء أياما في عزلة لم نجد فيها لبن ولا سكرا ولكن العمال كانوا مستعدين . وقد وجدت بينهم من يكرمنى وما فرع السكر ، استطع بعضهم أن يشتري عسل الحبل من الغابة .

عسكريه يمكن فيه ضرب السود من المرحض . . وقد لي إنه سمع  
عن مشعني وثي ساعود من سودن مفيد - لسلام . فصحكت وسحرت  
معه . وزكت مع عملي من معسكر حديد حيث كتب بصنع حشر  
ماني عن أخذ الخبر . ولي بين تأمر عمل على ضرب الشيخ  
تبعني لا حرؤ على ضرب أحدهم ولي لصاح جاء اللقات ومعه  
لثعبي فوجاني . كمت معسكر يؤدي عملا كديا لمصلحة العمل  
مسه فحاشي وفلان وحلي أن تقف مع نعمان وأخذاني معهما .  
وفي مكان من جاف شيخ عن وقرة فتقدم به جماعة يحملون  
سوري وكندو أن تقوده فهرب شيخ وجوانحه وبعد ساعة  
جاءوا بقوة من دفع سودن . وأخذوا أربعة من العمال على الشبهة .  
وكت حدهم من معسكر جيش . وشكوا له محسا عسكريا وكان  
حكمهم ذو حد على عمل لأربعة مع يقف الشبيد خوفا من القنة .  
وكان غصني مخبري في قوة دفع السودن ويخلص معه على  
مصدة بقصة لثعبيات تتبع للمهملين المكيين اندي بعثره خصمنا أما  
حكمه الخاض عسكري براء كتب لدى هو أنا . أن لأعرد إطلاقا  
لي العماد وأن أسجن معسكر الجيش حتى يقوم (الكوموي) . أي قافلة  
السيرات . أن اترصيرض فبرجع معها . وعملا حسوبي وكان بالمعسكر  
كتب حشني أكرمي وشربت عنده قهوة من لأول مرة منذ أسابيع .  
وفي امه توجهت ان الماشي وقلمت اليه طلبا مكتوبا أرجوه  
به السماح لي بالعودة ان معسكر العمال كي أسترد فراشي فكتب لي -  
وكانت أمامه راحة ويسكي جون هيج - في نفس ورفتي ، أرحض لك  
لثعبي ساعين . فحرجت منه ان الظلام . وكانت الغابة ساكنة الا من  
أصوات القروء ، الوحوش الوحيدة التي رأيناها في المنطقة . ولم يكن معي  
م سلاح إلا غصن شجرة كسرتة وشذت مقبسه فقط . . وتعتبت

١٢ جعدا ضرب من شجرة ثمر من امه . من حده تصح المراكب .

فكنا نحى به الشاى لا على أنه . كيف . بل على أنه غذاء . وجاءتنا  
أوامر عسكرية سريعة بالتوجه إلى قبل لعمل مع قوة أكبر من قوتنا فى  
إصلاح طريق فى داخية الحشة نفسها يؤدى إلى « دير تابور » على مفترق  
الطرق بين أدبس أبانا ، وولاية قحاه . على مترية من بحيرة نانا . . .  
وهذه المعلومات الجغرافية التى أخذناها من مهندس الجيش من طبقة  
الخوايشية والأوناشية لا علم لى بصحتها . ولكنها أنعتت لدينا الآمان  
فى الحصول على النفوذ والبروز .

وفى الطريق عسكرنا لنسوط « بنى كربو » وهى العصيدة الخلوية  
التي تصنع من دقيق الذرة فى صفائح البترين .

وجلس العمال يسمرن وبعضهم يضربون الرمل أى يستطفون  
العيب مخطوط سحرية على التراب ، فقال صارب الرمل . انا سوف  
نقاسى أوار العذاب فى هذه الرحلة ونعود بلا فائدة . .

وكان الزميل الثانى قد افترق عنى وهو ينتظرنى مع القوة الكبرى  
الموجودة بقبا . . وهناك وجدت زميلا رابعا : وعلمت أنه قد وشى بى  
سلفا إلى اللفتات الانجليزى وسكرتيره الحبشى - الاغريقى وشيخ  
العمال التبشى ١

ووصلنا فى موعد راحة الغداء وأنزل العمل صفائحهم . واولقوا  
نيرانهم ، بينما اويت إلى الأفندية وأكلت معهم وجبة من نفس النوع  
ولكنها كانت تحتوى على كمية مبالغ فيها من الزيت والعدس والبصل -  
هذه هى مواد الترف فى المعسكرات الخلوية للسودانيين - ثم شربت  
كوبا كبيرا من الشاى المحلى جيدا بسكر البغية . . وكدت أتهالك فأنا  
لولا ان سمعت لفظا بين العمال ، ونهضت لأرى الشيخ التبشى يحمل  
سوطا وهو يضربهم بلا تمييز آمرا اياهم بالصعود إلى اللوارى قبل أن  
يتغلوا فسرت إليه ونازعته السوط . . فقال بغضب : « هذه منطقة

مع أصدقائي العمال . وتباروا في الاحتفال بوداعى حيث شربت أكثر ما يمكن من أكواب الشاي وأكثت نحر العاب ومنها ( الحوكان (٢) ) كما حملوني الزنجبيل الذى كشموا عروقه تحت الأرض وهم يمهدون الطريق أمام الاستعمار ، وسلموني خطابا مكتوما تلصصت فقرأته وكان يحتوى أنى مفصول ( دسمد ) دون إيراد أسباب .

وفى الطريق ان الرصيرص كنت تركب احدى سيارات الجيش الخالية ويقودها سودانيون وحيما عسكروا للمصعد سوى . فاشتريت من قبا ( لوياء عنسية ) صعدت منها نبيبة فى قرية ود اماحى حيما عسكرنا للمبيت . ولم تصبح بسرعة حيث سهرت وحيث أتمج النار ان منتصف الليل .





من جنوب الجزيرة اذ ساحل اشارة ويصعد صيد من داخلها منذ كانت  
تجارة وتجار في الاقليم . ثم عرف رحلة القرون توسعي لشدة من  
عرب افريقيا ووسطها معرفة هي يوم نقطة الماء في تريح اشارة على هذه  
لوسيط . وقد تصدى دافس ضد الحلف على حو حدير بقره العرب  
يتدبروه . وان يتابعوا مدى لم يجد له ماله فسحة في قصده .

ويصمت التاريخ كنه لا عربى وحده . بعد رحلة صاحب انكشاف  
بحرى ، وتمضى احية العرب ولافريقيين عن أغين وصيدين . لا يعبر  
تودج نتحارة وحيدة فيها شيء . حتى يتدفق على ساحل لهاخرون عرب  
بعد وفاة رسول حين تصفرب احل بينهم في بلادهم . فلا يتدر عنها  
الا لمخربون من أحل شيء عرير قريب من نفوسهم بلاد صلاب السلامة  
هؤلاء والامن ورحاء . ويجدون مواهبهم التجارية والتفدية مجالا أحدث  
اثره لا على الساحل وحده بل على حية في بلاد عربية . ترحر مثلا  
أسواقهم في القرون الثامن بمصوغات الحديد من رمدوى في أعماق القارة  
الأفريقية . ترد على الدوب عبر ذلك فخر في روديب حديته لتحميها  
مراكب العرب من كل مكان في بلادهم البعيدة . وبدل على هذه  
الشاط الحديد بين القارة والجزيرة أيضا كثرة انوح في بلاد العرونة .  
كان لا يفتد عائبهم في الخروب أيام ثورتهم عن دواقيهم في فوات  
البصرة . كلما قتل منهم قتل من مسده غيره فلا يصهر أثر فقده . كما  
يقول ابن أبي الحديد . في حديثه عن ثورة الرنوج . وتكثر العرب على  
الساحل فامتد سلطانهم في القرن العاشر من القرن لافريقي قتلة جنوب  
الجزيرة حتى اسفلا قرب واق لوق شهيرة شهرة الاسطير . ولا عراة .  
فقد كانت قصص الف ليلة وليلة تتجمع في ذلك العهد . وبعضها استوحى  
ولا شك من رحلات العرب البحرية في هذا الاقليم . ويقودك الاهنوت حتى  
يومنا هذا الى صحرة في مالدى يؤمنون بأنها صحرة السدباد . وفي القرن  
العاشر هذا الذى نتحدث عنه وصل على بن الحسين جزيرة كنوا قرب دار

السلام الحديثة ، وظل خلفاؤه على عرشها حتى القرن السادس عشر حين تقلب عليهم البرتغاليون .

وتدخل القارة هنا التاريخ مرة أخرى بعد مؤلف « الكشاف البحري » على يد الادريسي في القرن السادس عشر . رسم هذا الجغرافي الحليل ، اول خريطة لاهريقيا عرفها التجار والملوك في القارة الاوربية . لم ير هؤلاء بطليموس في القرن الثالث . وكانت هذه أدق وأشمل ، تعززها كتابات عن تعدين الذهب والحديد في سفلا قرب واق الواق . وفي مدن الداخل . ولم يكن عبيرا على الادريسي ان يجمع ما جمع من حقائق ألهمت خيال قارئه . فقد كان الساحل كله آنذاك مازل يقفلها العرب مثل جيدي التي اشتهرت في نهاية القرن الذي كان يكتب فيه الادريسي ، ولم تبق نقطة على الساحل لا تنتمي للعرب ، حين جاءت موجة من مهاجرين في القرن الثالث عشر . وقد احتاج المغول دار الاسلام حتى القرات . لحق هؤلاء بأهلهم على الشاطئ وجاءوا بدم حديد دافق ظهرت آثاره في عماراتهم الزاهرة واسواقهم النافقة . التي وصفها ابن بطوطة حين جاء الاقليم في الربع الاول من القرن الرابع عشر . وكانت حيوية عصبية عجزت هجمات البرتغاليين سنة ١٤٩٨ عن ان تغل من حديدها ، مضوا يردون هجمات الواغليين بيد ويبنون باليد الاخرى ، كما ترى اليوم من بقاياهم في خليفي وكلوا . ظلوا على هذه الحال حتى سنة ١٥٢١ حين استحال التعمير وقد قويت يد البرتغال ووهنت يدهم ، وما كانت لتنه لولا تفوق هؤلاء في السلاح ، وتنازع الأمر بين قادة العرب .

القت مراكب البرتغاليين مراسيها على الساحل في السابع من ابريل سنة ١٤٩٨ . ولقوا من العرب واحلافهم الاهلين كل عون وود الى أن بان لهؤلاء ما يضمروا واغلون ، ادركوا أنهم يريدون الانقضاض على تجارتهم ، فتحول الود عداا مسلحا بعد عشرين عاما من العيش الخادع ، وتمكن

البرتغاليون من الساحل مائتي عام . آلت اليهم فيها خيراته وخيرات الداخل .  
وان لم يسكن لغرب على هزيمتهم : كان العمانيون من حين لحين يسعون  
لاسترداد ما كان سه . حتى لمححو مرة في حصار قلعة مجسا الضخمة ،  
التي تحت قلب المدينة حتى يوما الراهن . ومضت ثلاثة وثلاثون شهرا على  
هذه الحال بين سنتي ١٦٩٦ و ١٦٩٨ . ولولا خلافهم لاستعادوا ارضهم .  
ولم يصبروا حتى منتصف القرن الثامن عشر حين استطاعوا بهجمة عازمة  
قادرة على إخراج البرتغاليين من الساحل . وان لم يستطيعوا رأب صدعهم  
الا بعد خمسين عاما من هذا التاريخ . كثر المتطلعون للسلطات والقياد بعد  
ان رحل العدو . وكثرت حروبهم الصغيرة حتى جاء عمان السيد سعيد سنة  
١٨٠٤ . وقضى على الدعاة والطامحين بشدة مراسه وبعون احلافه من  
الانجليز . وفي سنة ١٨٣٢ نقل عرشه لزنجبار حيث يحكم اباؤه اليوم في  
ظل الخليف الذي ملك الأمر كله من بعد . وبالسيد سعيد يبدأ عهد جديد  
في اكتشاف القارة . اذ تيسر بعده ان يسافر الاوربيون للداخل يعرسمهم  
أمنه الذي نشره في الاقليم من جزيرته القريبة .

### العرب في أواسط أفريقيا

هذه قصة من أروع الصفحات في التاريخ الافريقي كله أو التاريخ  
العربي في أفريقيا ، وليس بعيدا ان يتفرغ لها يوما من الأيام . طلاب هذا  
أو ذاك من شباب العرب . فيقتضوا آثار هذا الاندلس الافريقي قبل ان تغنى  
عليه رمال الأيام أو تدخل هذه الكتب والمذكرات والرسائل العديدة التي  
كتبها الرحالة والمبشرون والقناصل الاوروبيون ضمير العالم كله على انها  
وحدها هي سجل الحوادث هناك ، وماهى — حتما — كذلك . كتبت  
كلها بأعينهم ، وكان صعبا عليها أن ترى حسنة في العرب ، فقد التقوا هناك  
في زمان جاهر فيه كل جانب أخاه بالعداء ، بعد ان عجزت المخاتلة بينهما  
والمداورة ان تحفظ السلم ، وما ندرى أية جهة سينتجه هذا الشباب ليكتب

هذا . . . حج يعين العرب بقصد . فقد كانت لاندس لا هرتية - فيما نعرف  
 الآن - فيه لا تكتب - عاش فيها رجل أحضر نفسه خطراً ، تلوح  
 صورهم خلال لاندس الأورويين ، أحياء مبيته دلاول - تعريك دالمحت و  
 فرد من لاندس فتحملوا هذه المحدث ، من يوسع في شمل إلى نيبسا  
 في الحبوب ، وأدعو - عر - من نيبسا في الحبوب و سواكن في الشمار ،  
 لاندسهم حكومة ولا تعصدهم جماعة سعيد من جماعة . سلم محمود بن  
 خميس بن - وول وعشرات غيرهم من أهل التجارة وسوسة في قايير يوغندا  
 الحديث ، ويحفظ بن خلف ، وبن عمر ، وشريف ماحد وعشرات  
 غيرهم من أهل خدي واند في نيبسا الحديثة وتحديق ، وسليم بن زبير  
 رسول السلف برعاش في - عدر - كابل يقطع القارة من شرقها لغربها  
 لتجارة حب وسوداجين - خمر ، وسيدهم كههم الذي أدان ليونولد ملك  
 السحيلك ، من نداد ، صرط كما تسميه مصادر الفرنجة ، الرجل لذهية  
 البصير يكن شر في الحد والهاب والحيرات ، تخرج لك منه صورة مثيرة  
 عربية كأنها يدع - . تود لو تستها بيدك لتعرف ، ولكنها تأرجح عن  
 بعد كالتسرات وتخصها لحوس . ظل من الضلال خلال الكتب ، كان يعرف  
 مواهمه ويدك وهو في عيدهم تلك مصادر القوة التي تتبع وأي - ار تدير  
 تولت عليه لتخوف آخريات أيامه في الكونغو الأعلى ونكاه ما كان فيه وبين  
 تمار العرب من عصبية هناك ، وحشى ان يستج ليونولد بهذا الخلاف فخرج  
 بقصد رنجبر - حيث أهله وماله ، ولفقه على طريق عند خيرة تحايقة سة  
 ١٨٩٠ معوث جمعية من جماعات التبشير ، وما نطق الا به نبح الشماعة  
 في عيبه . قال له وهو يحاوره : « الرجل الابيض أكثر قوة وعدة مني .  
 سينتج كل الذي اقتبست كما تنتج ما ملك المجوس في الاقليم . أرى سحبا  
 في الحسرة قائمة ، والرعد يقترب . انا ذاهب » . وبعد سنتين اثنتين من  
 هذا استعرت الحرب بين العرب والاورويين في الكنعو وانتهى امرهم هناك  
 بعد رجل طيف لبت أحدا جمع عظامه ودمه وروحه ، اذن لجمع ناريج



أساسا عرب عاجلها نماذج منهم فى السودان ، يجمعون للقسوة التى لا ترحم  
عصية دينية لا تبصر . انه جيش فطيع من الحبث لن يقضى عليه سوى  
انتشار المسيحية وذبوع المدينة بينهم بالتدريج . ٦ يوليو ١٨٨٨ .

وكان غير عادل فى الذى قال ، ذلك لان العرب ، وان كان من حق  
التاريخ أن يصمم تجارتهم للرقيق اقبح الوصم ، تركوا حيث حلوا اسواقا  
نافقة ، وطرائق للتجارة مطروقة . ونواة للأدارة والحكم ، وسبلا للزراع  
والحصد ، بنى عليها الاوربيون حين تسلموا الأمر من بعد . ما عدل حين  
أسماهم « قاذورات البشرية » فقد اثبت البحث الحديث ان « العرب تركوا  
أثرا حقيقيا على وجه تلكم الارض : ازالوا فدادين من الغاب وزرعوا فوقها  
محاصيل متنوعة » الى آخر ما يقول الأب سلمانز فى كتابه عن « المسألة  
العربية والكنفو » حين يتحدث عن الآثار الاقتصادية التى خلفها العرب فى  
الاقليم وعن أثر « العنصر العربى » فى تقسيم القارة بين القوى الأوروبية ،  
ولم تكن تجارتهم للرقيق ، وقد اتخذت تكأة لرميهم بكل منقصة بابشع  
من تجارة الاوربيين فيها كما يبين لك كتابنا هذا الذى بسين يديك بالارقام  
ولعل من محامد العرب فى هذا الباب ، ان العلائق بينهم وبين رقيقهم كانت  
انسانية لحد بعيد . كتب ديورات باربوسا سنة ١٥١٨ ، وتجارة الرقيق  
لا تجارة غيرها آنذاك : « حال الرقيق فى ممبسا تدل على ما لآسيادهم العرب  
هنالك من انسانية . يعجز الواحد أحيانا أن يميزهم عن أسيادهم ، اذ يبيع  
هؤلاء لهم ان يقلدوهم فى اللباس وفى غيره من شئون العيش » ولك ان  
تقابل هذا بأية صفحة أردت من صفحات قصة جوزف كونراد « قلب  
الظلام » لترى العلائق بين المخاطرين من أوربا وبين عاملهم من الأفريقيين ،  
لا قبل اربعمائة عام ، بل فى مطالع هذا القرن ، والعصية الدينية التى  
تحدث عنها سالبرى فى خطابه الحائق المغتاط لعبت دورا ولا ريب ،  
لكنك ان قرأت السجل بأنعام نظر وحيدة ، رأيت ان اوربا هى التى كانت  
تقذف بالدين فى الميدان ، لا العرب : أراد كارل بيتر وصحابه من

رواد الاستعمار الألماني في تنجانيقا سنة ١٨٨٥ ان يكون التبشير « أداة مهمة من ادوات الاستعمار - الاوربي المسلح » فيما يقول رونالد أوليفر صاحب « العنصر التبشيري في شرق افريقيا » وكانوا يحثون حكوماتهم على « ان تمتزج الحركة التبشيرية بالحركة التوسعية في المانيا » - أمور يجزم المؤرخون انها لعبت دورا في تحول العرب عن التعاون مع الاوربيين . وكانوا لا يكرهون التعامل التجاري معهم بادىء الأمر . يشترطون سلاحهم ويبيعون لهم العاج . وما كان ممكنا بعد هذا ان يقوم التعاون بين الفريقين . كانت « كل محطة تبشير مقالة في الاستعمار » والاستعمار معنى من معانى الاحتكار كما كتب رسول الحكومة البريطانية في نيسان عام ١٨٩٠ ولن تجد شيئا من هذا الانتفاع بالدين في السجل العربى فى أوسط افريقيا . ولعلمهم كانوا أعجز من ان ينظموا حركة تبشيرية كالتى نظم الاوربيون .

وكان صراعا غير متكافىء على أية حال . كانت أوروبا . وقد وطدت الثورة الصناعية أقدامها فيها . واثقة من نفسها معتدية . يؤمن غلاة الناس فيها برسالة قارتهم السعيدة . ويؤمن أكثر الناس فيها بالبحث عن أسواق لبضائعها . وما تريد من خامات لها عبر البحار بأى سبيل . يريدون ليعصوا بافريقيا عن امريكا وقد خرجت من الطاق البريطانى سنة ١٧٨٣ . والثورة الصناعية بنجاحها تغير من كل شيء فى حياة الأوربيين المادية منها والفنية وتوحى اليها بأنها أفضل الناس وأجدرهم بالقيادة . وأحقهم بما تنتج الارض العربية . ولم نكر صدقة محضا ان تتكون الجمعية الافريقية فى بريطانيا بعد خمس سنوات فحسب من هذا التاريخ ، وهى الجمعية التى عملت على اكتشاف القارة الافريقية فى الداخل اكثر مما فعلت جمعية أخرى أو شخص بذاته ، وتدفق القناصل على زنجبار وقد اتصلت السبل وامنت الطرق - كما قلنا - على عهد سلطانها المسقطى السيد سعيد . جاءوا : الولايات المتحدة سنة ١٨٣٧ . وبريطانيا سنة ١٨٤١ ، وفرنسا سنة ١٨٤٤ - يتنسمون الاحبار ، ويتطلعون للداخل يريدون لسلطانهم ان يمتد فيحوز



وجدان القدرة من ناحية وثروتها من ناحية . وكان العرب قد سبقوهم لهدين .  
 فيما خبرهم لمجستون في رسائله : كان يحدّ ذكرهم أيما حل . حسب  
 نفسه سار طريقا ما سرها احد قبله حين عبر القارة من بتشوانا لاند حلال  
 صحراء كنهاري وحوون بحيرة تدمي وفوق نهر زمبزي . فأنجولا  
 وعبر القارة مرة أخرى الى قيصين عند ساحل مورمبيق . بعد سبع سنوات  
 من لاقداء انتهت سنة ١٨٥٦ . ثم عرف ان عربيا اسمه سعيد بن حبيب بن  
 سيم المسمى . طوف ما طوف هو قبله بشهور قليلة . لا تسده صحيفة  
 ولا جماعة ولا تعي بأمره دولة كما كانت الحال مع لمجستون وغيره من  
 الارواح الجريئة التي كشفت القناع عن القارة لاوروبا المعتدية بالحدوده  
 مضعة . وكان هذا شبيها بحال العرب في صراعهم لبقاء آخر الامر . تأنيهم  
 حذر الحيوث الخديوية في طريقها لاواسط القدرة صوب يوعدا .  
 فينتهون . يصبون لعنهم يحدون حليفا يعين . وتأنيهم أخبار غزوات  
 لامام نهدي الموفقة . فيصبون مرة أخرى لعل علما من اعلام العرب .  
 يأتى لسجدهم وهم أفراد معززون لا يقبلهم نظام ولا يقودهم رعي .  
 ويتسامعون بوياسلطان زنجبر فيتمنون ان تحيى نجدة منه وهو سيدهم في  
 الاسم . ولا يقع شيء من هذا . على النقيض تتقدم أوروبا الفتية القادرة  
 المنظمة وتنقسم لاقليم كله فتتا بينها . ولا يسع السلطان سعيد في زنجبار  
 سنة ١٨٩٥ وهو يرى الحلقات حوله تكتمل يوما بعد يوم ورعاياه يفدون  
 بأخبار انزائم من الداخل . الا ان يقول يتحسر على نفسه وآله : لست الا  
 عصفورة في غالب صقر .

### العرب في غرب افريقيا

هذا عن شرق القارة ووسطها البعيد ولكن الرباط العربي بغربها في  
 القديم لا يقل قوة عن هذا الذي رأينا بعضه في الشرق والوسط . اتصلت

هذه وثائق جنوب جزيرة العرب منذ فتحها من قبل العرب ، وتقص  
 العرب لشعاب لأفريقي وشماله شرقي منذ حداثته في الشرق . وثائق  
 الصحراء هذا كالمحيط . تشتت على هذه في الصحراء جنوب بلاد  
 كمنوالى . . . تخرج شتات من دس وهو من وقصصه وشتات .  
 تحمل منج . وكانت سبعة غيرة في جنوب وحب . بعد وهي وحس  
 وحس وثمة كثر وكثر . وتعود في هذه تحمل منج وأربعين عرف  
 الحسان من صحراء ، صوف ثلاثة ، توافي . هذه سبعة منج من منج  
 متحده للسحب من البحر . وفي الأفق . . . جنوب محيط  
 وثانيه صديق وسط بلاد . تونس وينج . هذه الأفق . . . جزيرة  
 شاد . . . البحر . وصوف ثلث من الشرق إلى صوف تونس ومصر . يسير  
 للأفريق . واقع حول شاد كنه . شرق كنه ثلث على ما كان من صلات  
 قديمة قريبة من الشمال لأفريقي . ولأفريق هريس . على طرف من بعد  
 السودان . حين جاءه الرحالة العرب . ويقص غيبك كنه . على من  
 يبيت كثيرا من مداخلهم في هذه المسالك وغيره . كانت هذه اتصال بحرية  
 صرف حتى كان أول عهد المسيحي . حين دفعت النفقات المسيحية في  
 الشمال . شعور عدة وقيل محتتمه للروح عبر صحارى جنوب . هربا  
 من الحروب . توالى هذه لأفريق حتى القرن ثالث عشر . وشأت مع  
 منازل من المهاجرين العرب والمسلمين . تعيش آمة وسط أرض  
 الزنج . يتراحمون ويتقاسمون العيش . ويتدلون ما عندهم من ثروات .  
 كما فعل أهل جنوب الجزيرة العربية في شرق قاره . وانتفع آخر ربح  
 هذه التطلعات الواقعة . فم بعد ما يمر قادم من مقب . وصلت حياتهم  
 هكذا آمة لا يروعه شيء . حتى وجدت أورد طريقهم اليهم . تاجر في  
 الرقيق . بادى الامر وتولى شيوخ شيئا فشيئا منذ القرن الخامس عشر .  
 تمهد لاستعمارها في النهاية .

وللغرب في هذه القصة دور مركزي . فقد تدفعوا بعد الاسلام

للشمال الافريقي على النحو الذى يعرفه القارىء العربى ، وكانوا قبلها  
 جماعات لا خطر لها ولا شأن من المخاطرين ، فتح الطريق لهم سهلا معبدا  
 بعد فتح مصر (٦٣٩-٦٤٢) ، فاستولوا على الشمال بعد غزوات موفقة  
 معروفة . يقدر المؤرخون ان ربع مليون من العرب استقرت بعدها فى  
 الاقليم واختلطت بأهله البربر . فاتخذوا الدين الجديد عقيدة ، واللغة الغالبة  
 لسانا وترعرع سلطانهم وامتد بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، حل  
 يد بنى هلال وبنى حسن . وغيرهما من قبائل العرب ، وهى القرون التى  
 شهدت بدايات الامبراطوريات الاسلامية التى يتحدث عنها كاتبنا هذا  
 فى اختصار لا يخل . كانت هجرات الشمال الافريقى والشمال الشرقى فى  
 السودان القديم الممتد بين النيل والنيجر - متقطعة ، قبل ان يستقر العرب  
 استقرارا فى الشمال ، ولكنها اتصلت اتصالا واسعا بعد هذا العهد ، فاتسع  
 نطاق التجارة والهجرة والاستيطان فبعد اثر العرب فى حياة الزنج وعمق .  
 ما كان يجنبهم للاغارة كما فعل البربر قبلهم ، ولا للاقامة الماربة من  
 الاضطهاد كما فعل اليهود والبربر المتهودين . حين شق عليهم العيش مع  
 الروم . كان التجار والمهاجرون العرب يحملون رسالة ويتحدثون لغة مرموقة  
 وكانوا بعد هذا يبحثون عن مجال للعيش والتجارة أوسع ، واتخذت آثارهم  
 هذه سميتها القوية التى بقيت لليوم فى سحنة الكثيرين ، ودين الاكثريه ،  
 ولغة الاقلية . خضع المزيج الذى تكون فى الاقليم من بربر وزنج لسلطان  
 العرب الفتى فاستأثروا بالتجارة والثقافة والحكم لا يشركهم فيها احد ، وترى  
 آثار هذا فى التكوين الجسدى للشعوب التى تعيش شمال الغرب جنوب  
 الصحارى ، فالدم الغالب شمال السنغال والنيجر هو الدم الخليط من الزنج  
 والبربر والعرب . والدين الغالب هو الاسلام ، واللغة العربية ليست عربية  
 على الاكثريه . ثم يغلب الدم الزنجى جنوب هذين النهرين وان كنت ترى  
 حتى يومنا هذا الاثر الذى تركته تجارة القادمين ودينهم وعاداتهم ، رغم  
 القرون التى مضت الآن على تلك الصلة .

## السودان فى افريقيا

هذا عن القارىء العربى عامة والكتاب ، أما القارىء السودانى خاصة فلن أمضى وقتا طويلا معه اغريه . ذلك لان السودان القديم هنا فى « افريقيا – تحت اضواء جديدة » بطل من أبطال قصة لحضارة الافريقية . واضح الميزات والسمات . هذا الكتاب حتم على القارىء السودانى الذى لم يتخصص فى تاريخ بلاده القديم . ويريد ليقف على معمله الكبرى . والمحصل الذى كتبه دافدنس هنا خير خلاصة كتبت فى أية لغة حتى الآن عن تاريخ مروي الذى عرف لليوم . فأكثره كما سترى فى الكتاب جيس فى صميم الغيب بعد . وليس من شك فى انه دلل بالذى ساقه من شواهد وبيدات على مسئولية السودان اولا والعالم ثانيا فى العمل على اكتشاف ما بقى من آثار دقية فى صحراء مروي القديمة . لا لأنها قطعة من تاريخ السودان فحسب بل لأنها نقطة الانطلاق فى تاريخ القارة . ويرجو الواحد ما ان تصل آراؤه فى هذا السبيل اهل الدل . ممن يحرصون على التاريخ الافريقى . وهو بضع من تاريخ العالم الواسع . حجبت القرون تحت التراب . كانت مروي همزة الوصل بين افريقيا السوداء وحضارة البحر الوسيط ومصر القديمة . حملت ما انجز الاقليمان صوب الغرب نحو المحيط الاطلسى . وصوب الشرق نحو المحيط الهندى . ولم يبق المؤلف شيئا يقوله الواحد للقارىء غير المختص . الا ان قطعة طريفة من هذا التاريخ وقعت فى يدينا بعد تعريب الكتاب اردنا ان يطالع عليها طلاب تاريخ ذلك العهد فى السودان . ذى مصدر جديد ما كان مبسورا من قبل والمصادر فى هذا الباب عزيزة نادرة .

هى محصورة عثر عليها العام الجليل انولتمان فى اكسوم فى اثيوبيا الشمالية ينسبها تاريخ ذلك الاقليم . وقد شرعت معمله تبين الآن بعد ان اتبح للعلماء ان يخفروا هناك . الى عبران اول ملوك العهد المسيحى فى اثيوبيا . الملك الذى يختلف المؤرخون قليلا فى تاريخه . يضعه كيرير بين



صاحب ريدان وسبأ  
 وسلمحين وصيامو والبعج ،  
 ملك الملوك ، حاكم كاسو ،  
 ابن (الا) عميدا ، الذى ما قهر .  
 شرعت ويد الله فى يدى اصارع النوبة  
 حين خرجوا عن طاعنى وثاروا يفخرون :  
 يصيح صائحهم اى لن اعدو التكرى  
 وان جهدت .  
 ركوا مراك العرور يمتدون . لا يرحمون .  
 ضربوا شعوب منقرو وهاسا وباريا  
 وكانوا غلاظا شدادا على السود .  
 حشوا ييمسهم الذى اقسما . وخاضوا الدماء  
 يفتكون بالشعوب الحمر .  
 ولم تكن هذه أول مرة يخرجون ،  
 كانت الثالثة وحق عليهم العقاب .  
 دهمو بعيدا مع زهو . وذبحوا حيرانهم  
 لا يستحون أو يخافون .  
 ثم أرسلت الرسل بادية الشر أرجو أن  
 يثوبوا لرشدكم . وان يرجعوا عن غيهم .  
 وكانت هى الطامة :  
 نبوا رسل واخلفوا من عليهم  
 كل ثمين يقتنون .  
 وعز عليهم أن انصحهم أنا ،  
 ولكنى لم اقط .  
 بعث البعوث مرة ثانية ،

فسبوا البعوث والباحث ،  
وكان لا بد من حربهم بعدما  
ففعلت

تسلحت بقوة الله عضدى دائما

سيد الناس والسماء والناس البهم ،  
فالتقينا على ضفاف تكازى لدى كمالكى ،  
وذاقوا مرارة الحرب منذ ساعاتها الاولى ،  
فأدركوا ألا قبل لهم يبيوشى المظفرة ،  
واقبلوا على وجوههم يفرون ،  
قفيت أثرهم ثلاثة وعشرين يوما  
وهم يحرون لا يلتفت واحد منهم  
ينخافون ان ينظروا .

ذبحت بعضهم ذبعا وأسرت بعضهم الآخر ،  
وسبيت وغنمت وحرقت لا يصدنى عنهم رجل ،  
وعاد قومي بالقتام والأسرى  
والمدن تحت اقدامهم جازعة لاهثة .  
مدن من كل نوع . من الحجر بعضها وبعضها من القش .

حمل عنها جنودى الشجعان  
غلات خزينة ولحما قديدا وكتلا من النحاس باهرة ،  
وحرقوا ما لم يستطيعوا حمله . لا يفيد منه احد .  
حرقوا قطنا كثيرا ومخازن غلة عدة .  
وجرى العدو مبهور الانفاس  
يحتفى بمياه سيدها .

سبح بعضهم عبر النهر ومات بعضهم يجاهد ،  
وان كنت لا اعرف كم مات منهم وكم عبر .

تكاثروا على القوارب لعلها تنجيهم  
تفرق الرجال والنساء وهم يتراحمون .  
واسرت بعدها زعيمين كبيرين  
جاءا يجوسان منازل الجيش يتجسسان ،  
سقتنهما أمامي على جمليهما يرتعدان .  
احدهما اسمه يساكا الاول ، والثاني بنالى الاول .  
وكان من اسراى نبيل اسمه انقبناوى  
واسرت كثيرا غيره من الرجال :  
دانو كوى الاول ، ودقالى الاول . وأنا كوى .  
وساق جنودى سوقا قسمهم الاول .  
أخذوا تاجه الفضى من رأسه .  
كما اسروا حواريه سيدهم وكاركارا .  
سقط خمسة زعماء فى المعركة . وسقط قس ،  
وما كان لهم ان يفتلوا فنحن أقوىاء أشداء .  
يعون الرب سيد السماء والارض .  
ثم جئت كاسو ،  
وذبحت فى الطريق خلقا كثيرين  
واسرت خلقا آخر  
عند مقرن تكازى وسهيدا  
وأقمت يوما واحدا فى كاسو .  
وارسلت بعدها جيش محازا ورفيقه حارا .  
وجيش دملوا وفلح وصيرا  
لينهلوا فوق سيدا ويفزوا المدن ؛  
مدن الحجارة كلها والقش :  
يسمون واحدة منها علوا



ويسمون الثانية وداروا .

وجاءتني جيوش ظافرة ما مسها شيء ،

عادت تحمل لمتاع كثيرا وتسوق الأسارى .

عادت وقد اذاعت الرعب والذعر في نفوس الاعداء ،

بما قتلت من الاهلين وحرقت من البيوت والمدن ،

تعينها قدرة الله القدير .

وارسلت بعده بعثة أخرى ، ارسات حالين ولاكين ،

وعززتهما بجيش صبرات وفلح وصيرا ؛

نهدوا كلهم صوب الجنوب ، كما نهدت اختها صوب الشمال

من سيدا ، ومشت نحو مدائن النوبة هناك .

غزت نقويس اولاً

وانقضت بعدها على مدائن الحجر في كاسو ،

وما كانت لهم في الحق .

اخذوها ظالمين عنوة .

ثم غزت جيوش تينو وفرنيت ،

وانصهرت بيد الله وعادت سليمة ،

ما مسها سوء ، وصلت اقليم النوبة الحمر ،

وذبحت اهلها ، واخذت الاحياء اسرى ،

واعانهم الرب القدير فجاءوا بالمتاع كثيرا وبالخيرات ،

فاقامت عرشا عند ملتقى النهرين ، سيدا وتكازى

قبالة مدينة الحجر على هذا الخليج .

لقد اعطاني الرب رب السموات

٢١٤ اسيرا ذكرا ، كما اعطاني ٤١٥ اسيرة

أى ٦٢٩ رجلا وامراة ،

وذبحت ٦٠٢ رجلا ، اما النساء والاطفال

فقد نبأ على ١٥٦ منهم . عنى ٧٥٨ فى خمسة .  
 اسرت وقتلت اذن ١٣٨٧ نفسا  
 وغنمت ١٠٥٠٠ بقرة و ٦٠ ، ونحو ٥١٠٥٠ شاة  
 وعزرنى ربي تعزيرا فقامت هـ فى صدور عرش .  
 اتانى ربي الملك والحكم ،  
 وان ادعوه ليشد من زرى ويقوه على حكى .  
 مبصرنى حيث ذهبت كما نصرنى لآ .  
 وخذل الأعداء .  
 سأحكم بين الناس بالحق والعدل يارب .  
 لن اسىء لأحد  
 وسأضع عرشى هذا الذى أقمته  
 والارض التى تقف عليها  
 فى حجر ربي ، فى يده  
 شكرا وذكرا له .  
 وان اعتدى عليه أحد يروم ان يزيله .  
 بله ان يخرجه أو يمزقه ،  
 فلن أبقيه على الارض . ولن ارحم نسله ،  
 ولن يبقى لهم على الارض اثر  
 جزاء ما يرتكبون أو يسعون ان يرتكبوه .  
 فهذا العرش منحه الله لنا ربنا حامينا .

انا لا أكتب تاريخا افصل فيه حياة هذه الجزيرة العظيمة مروى ، فقد  
 أتى على كثير منه هذا الكتاب الذى احثك على قراءته بهذه المقدمة ، ولا يعينى  
 هنا الا ان انبه لهذه المحفورة المنظومة التى تصف الجزيرة ومدنها الكبرى  
 وقراها العدة ، وتبين الذى كان بينها وبين اكسوم من صراع للسيطرة على  
 تجارة المحيط الهندى ، نفست اكسوم على مروى تجارتها الزاهرة وثقاتها

المزيج البديع . فوقفت في وجه قوافلها الكثيرة للمحيط ، وتحرشت بها سنوات وقرون تحميها جبالها المنيع ووديانها الكثيرة كالمنايرس حول المملكة ، والمنظومة التي بين يديك اثر مفتاح لحروب العهد الاخير من حياة مروى . على ان بعضهم يعدها ضوئا منيرا على ظهور النوبة في التاريخ الموثق أو المحفور ان اردت ، فكاسو هذه التي يتحدث عنها عيزانا ليست غير كوش مملكة مروى . والنوبة الذين يشير اليهم هم النوبيون الذين عايشوا المرويين صوب الشمال . بعد ان أخذوا عنهم - عنوة فيما يقدر البعض وتحالفا راضيا فيما يقدر الآخرون - بعض مدتهم معها ثقافتها الغالبة وحضارتها الدائمة . نزحوا للاقليم من غرب السودان الحديث في جبال النوبة وفي جبال ميدوب وحول تلك الجبال ، فيما يرجح دارسو اللغات القديمة المقارنة . ويبدو لهم ان هذه المحفورة أول أثر موثق يشير الى هذا القوم في التاريخ ، وهم الذين ورثوا الاقليم كله عن مروى بعد ان خربت على يد عيزانا وقومه . وهم الذين حفظوا على الاقليم صلاته العديدة بخارجه باعتناقهم المسيحية ، واقامتهم ممالكها الثلاث عد فرس ، ودنقلا العجوز ، وسونا ، العواصم التي لا تزال تفاجئ الباحثين كل حين بجديد عن ممالكها القديمة : نودانا ، ومقرى . وعلوه . ممالك تختل في التاريخ العالمى مكانا ما عرف الاقليله الآن . توحث أخريات ايامها بالدفع عن عقيدتها وعزتها امام الرحف العربى الذى احتصنه من بعد وقد اهدت بهدى الاسلام ، وآمنت به طائفة غير عاجزة « رماة الحدق » ما كانوا عجزة ، لهم فى سيرة العصور الوسطى مكان حلاه المقريزى فى مواعظه والمسعودى فى مروجيه ، تخليع تشير الى هذا الذى تقول به المحفورة . من ان النوبة وقد آلت اليهم حضاره مروى وثقافتها . كانوا الشوكة فى جنب عيزانا يغيرون على « الشعوب الحمراء » فى مملكته . وعلى رعاياه من قبائل بربر الحديثة وسواكن .

عمر عيزانا لبثا لشعبه وقبائله نهر التكاوى « عطبرة » وانجه صوب سبدا ( النيل ) والتقت جيوشه باعدائه عند كمالكى ( المقرن بلغة الجالا ) لدى

التقاء العطبرة بالنيل ، قلب مروي الآفة آنذاك ، وقيم الغازي الانبوي  
قاعده هناك فيرسل للشمال فرقة الخمس تغزو حتى تشارف أبي حمد  
الحديثة ، وتقف المحفورة تشيد باعمال عيزانا في مدن الحجارة ، « علوا »  
ويغلب على ظن الباحثين انها سوبا التي عرفت من بعد ، وعن « داروا »  
التي يرجحون انها ارجي القديمة ، الحاصبها الحديثة ، ويميلون احيانا الى  
انها ابي حراز عند ملتقى الرهد بالنيل الازرق ، اما « تبيتو » واختها « فرتيت »  
فموضع خلاف طويل بين العلماء ، يكفي ان نقول هنا ان بعضهم يقولون  
انهما جزيرتا « نبت » واختها « برتي » شمال كريمة حيث عاش « النوبة الحمر »  
الذين يشير اليهم دافدسن في كتابه هذا بالمجموعة .

## من مذكراتي \*

### (١) يوم الجمعة في قريننا

في قريننا رجال . وفيها ساء طبعاً ، والا لا تكون قرية اذا لم يكن فيها من كل زوجين اثنين !! . . . فيها النساء الخيرات . وفيها الرجال الأخيار « المعجيبو الأطوار » . ولو قد استطعت لخلدتهم جميعاً بالكلمات ، ولحدثكم عنهم جميعاً . في قريننا مثلاً رجل صامت . . لكنه صامت ضحكك بسام . يحبه الناس أجمعون - والسبب الأول أنه يطعمهم جميعاً . فقد أتاه الله بسطة في الرزق . . ففي كل جمعة ينتشر أبناؤه السبعة في القرية ويوصسون للرجال والشباب . .

— أبوى قال ليك تتغدى معنا اليوم بعد الصلاة .

— كدى ؟ سمع ! كتر خير .

ويستفض المصلون ثم يتجهون إلى بيت الصامت الضحك ، ويأكلون والأعمى معهم . يفنى لهم ويقص عليهم أقاصيص البحر وحكايات النوتية . اتنى أشربها إخوانه في البحر منذ قديم - وذلك لأن البحر منذ قديم نائي الشطوط غريق ، ونستمع لحكاية دفع الله الرئيس الأعمى الدقيق الجسم الذي يصيح :

١ - معنى معناها . . المركب دى دايرا ليها جر . . انتو بلا السفاهة تعرفوا شنو ؟ هوى يا النوتيه . . معنى معناها ؟ انتو اولاد . . ثم يسب أمهاتهم وأمهاات أمهاتهم إلى حواء . .

---

.. من كتب ( أصوات وحاسر ) لأحمد الطيب أحمد والذي جمع مصوله وقدم له  
الاستاذ عثمان حسن أحمد وصدر في عام ١٩٧٥ .

ويعمى الفنان القصاص الأعمى فى أقاصيصه ، والخلق يأكلون ويضحكون ، والرجل الباسم يسبح عليهم من صحبته وكرمه وضحه .

وفى قريتنا قوم موسرون ، والموسرون المحسنون فى كل قرية يغدّون الناس يوم الجمعة . ويجلبون المال من الصعيد لينفقوه فى الشمال أو بالعكس - ينفقونه على الحملان وعلى العميان وعلى أهل الفن .

ويوم الجمعة يوم عظيم فى كل قرية ، وما اختلفت ألوان نشاطه ، وما تغيرت ألوان طعامه إلا قليلا . ولعله لن يزول عن قريب .

## (٢) الفن . . والبخل فى القرية :

الأهلون فى القرية يصنعون الحوادث ، والحوادث فيها المأسى وفيها المهازل وفيها العبث وفيها الجد . . وقريتنا ليست بدعا من القرى فى هذه الدنيا العريضة ، ففيها من كل الأصناف . . وقد أذكر نموذجين إثنيين لصنفين من الناس . أولهما فتان حقا ، وهو اليوم كفيف البصر ولا أدرى متى كف بصره .

وقريتنا راقدة على النيل فى الشمال ، والشيخ الذى أتحدث عنه قد بلغ اليوم الستين وقد مات أبوه وشيع موتا ، وكان يحبه ، وحين كان صبيا رفض التعليم . رغم أن نار القرآن موقدة فى قريتنا حتى اليوم ، فما نار والده ، بل تركه وشأنه . . ثم هو يُذكرنى بعاشق البحر . . فقد عشق البحر وفتنه البحر وسحره . وأثارته مفاته ، وصار نوتيا ، والمراكب الشراعية شغل أهل الشمال منذ الأزل ، يبلغون بها من أبى حمد وبربر الجنوب ، يحملون عليها العيش « الذرة » وغيرها من البضائع ، والنوتية سفهاء . يبدؤون سفاهتهم بالحديث مع « أم العول » (١) التى تطعمهم وتسقيهم . وهم لا يزالون يعملون خبز العمل وأقواه وأقواه ، ثم يتحدثون ويسمرون حين يتناجى النجم الماء . يتحدثون عن عرائس الماء . . وعرائس

(١) ( حادمة المراكب ) . . .

الذى عدنا أيضا . لا ينفرد بها الإغريق ، ولا المرحوم على محمود طه (١)  
لأنها :

### شغل الربانة السارين من قدم

#### ترهى بهن عشيات وأسعار

وقد جمع صاحبنا قصصا كثيرة عن عرائس الماء ، وعن إخوانه فى  
الملاحة ، وعن (رئيسه) وعن الموانئ وعذاراها .

والناس فى قرينتا يحبونه جميعا فهو مغرم (بالمناصير) (٢) وأدبهم ،  
وقد جمعت منه شيئا كثيرا ، وكتب عنه لى تلميذ ذكى محبوب .

وفى قرينتا شخص آخر بخيل مثل (شابلوك) ، بل ان (شابلوك)  
أكرم منه ، فبخل «شابلوك» يملئ الحقد والغيط ، والذكاء ، وبخل صاحبنا  
مرض وإستهبال ، والبخلاء كما يزعم الجاحظ — لا يموتون مطلقا ، وهذا  
البخيل عم لى فى القرابة القريبة وله فى قرينتا حمير وديار يبيعها «جزء»  
أى يبيعها بأثمان باهظة ليزرعها الفقراء فيطعمون بها المساكين من أطفالهم .

وقد كان صاحبنا البخيل هذا متزوجا من فتاة جميلة ولكنها مصروعة  
ماتت ، وبقي هو يجمع الأموال ويحرسها — ولا شك عندى أنه قتلها بنظراته  
التي كان يرسلها من عينين تشبهان قدود الجلد ، ثم تزوج بعدها أختها  
وسكن معها ، وهى قوية جدا تطعمه من حر مال أبيها وأمها ، وتسقى له  
له حميره وأبقاره . . . وهو لا يهتم . . .

وكان صاحبنا البخيل يدفن محصولاته من الفاصوليا والنرة فى المطامير  
سنين عددا ، وصاحبنا فوق ذلك يصل لله تعالى ويسبح ، ويصل فى جماعة

---

(١) على محمود طه (١٩٠٢-١٩٤٩) شاعر مصرى مولع دانتنى بالجمال . . طاهر  
الرومانية . . رفيق الجرس فى شمره . . من دواوينه (الملاح الثالث) و (ليال الملاح  
الثالث) .

(٢) قبيلة من قبائل السودان الشمال . . .

ولا يفتض مطلقا . وهو يسمى للمسجد ويلقى شيخنا الكريم وإخوته ،  
ويأكل الطعام الجيد .

ومثل عمى هذا كثيرون فى القرى . فاذكروا أعمامكم من أمثاله  
وأذكروا القرية وأسألوا أهلها . . قال تعالى ( وأسأل القرية التى كنا فيها ) .  
أى أهل القرية . . ففى القرية فنانون . . وفيهم الأفاقون والعمى . ومعظمهم  
أدكياء . أو هكذا يحدثننا المشايخ الذين يدرسون علم النفس . . فاذكروا  
قراكم فالقرية هى مصفّر الدنيا الطويلة العريضة .

### (٣) الشيخ وجريدة النخل :

حدث ذلك فى قريتنا تلك التى ترقد على الشاطئ الغربى من النيل !  
فيها الرمل والحصى والتراب . .

وفى كل عشرين عاما تطوف بها السيول تحمل الجثث من الناس  
والأنعام . . جثث آتية من بعيد . . والنساء يخفن السيول — ولا يحفلن  
بالجثث — لينبركن بالسيل ولا بد للبركات من الصراخ : فكن يصرخن . .  
وجاء سيل بعد عام وكانت طفلة : عمرها ثلاث عشرة سنة فقط . . وكان  
كهلا عمره خمسون . . وزوجوها منه وكانت له زوجات غيرها ثلاث  
لم يلدن فقد كن من اللاتى . . من اليائسات .

وتزوجها !! هكذا أراد أبوها — لأن الرجل قريبه ولأن للرجل مالا —  
دراهم وأغناما وديارا وحميرا . .

وما كانت الطفلة تعرف ذلك ودخل بها . . ليلة . . دخل عليها الكهل  
. . وأصبح الصباح فإذا بها مجنونة وجاءوا بفقر (١) أملس أسمر يلبس ثوبا  
أبيض . . فقير معروف مشكور . . وجلس بجانبها وكانت مسجاة (٢) بثوب  
أسود راقدة على عنقريب . . كأنها قطعة . جلس عندها فوق الكرسي الوحيد

(١) تطلق على الفكى — وأصلها مقية — والمراد بها عند أهل السودان الرجل ذو الدين ، التقى  
الصالح الذى يتبركون به ويلجأون ايه فى المنامات .

(٢) مسجاة — منطاة .



كرسى من الخيزران وجلسنا جميعا أمها وأبوها وأنا - غير بعيد نرقب . . .  
وكان الفقير يعمل فى يده السمراء الملساء غصنا من أغصان النخل . .  
عصنا أخضر وكان يضرب الطفلة - أعنى القطة - ضربا رقيقا ويتمم -  
وكانت الطفلة تهتز كلها . . كأنها جان - وحسبت ان الفقير ولى مدبرا  
ولكنه لم يفعل . .

وكان لسبل يحمل الجثث . . السبل الآتى من بعيد وكانت نسوة القرية  
يصرخن ويغضن ويتبركن . .

ومكث الفقير أربع ساعات كاملات يضرب بجريدته الطفلة ضربا  
لبيا والظلمة تهتز كأنها جان . . ونظرت أنا الى الفقير فلم يول الأدبار . .  
وانقضت الساعات الأربع . وركب الفقير حماره وذهب . .  
وعاد فى اليوم التالى وكان السبل قد انحسر . .

وضرب بجريدته الخضراء ضربا لبيا واهتزت الطفلة اهتزاز الحية . .  
وفى اليوم الثالث رجع يحمل البخور . . وسلموه من الذهب الأحمر  
أوقية كاملة . . ورجع وترك الطفلة تهتز . . ومضى عام وتبعه عام وعام  
ثالث . . وانقضت أعوام عشرة وأصبحت الطفلة امرأة . . أصبحت أما  
لأربعة أطفال . . سينة ملساء سمراء تشبه الفقير . انفرق الوحيد أنها تبسم  
بعينها وبأسننها الدصعة وبوجهها كله . وفى كل عام صارت تزور  
فقيرا آخر يسكن بعيدا من قرينها تزوره ومعها زوجها الكهل وأطفاله !

#### (٤) الذاكرون :

كانت أصواتهم تصل إلينا فى سكون الليل تحملها الريح وتعطف  
عليها النجوم . . وكانت توقظنا من مراقدنا صغارا وكبارا . ذكورا وإناثا  
فقد كانت أصواتا حلوة رخيمة تنادى على قرع الدفوف والطبول - ه أن  
لا إله الا الله . .

وتقترب الأصوات حتى تغمر القرية . . وللطبل إنفعال وللدف زفير

وشهيق وفجأة — تسكن الضجة كلها . . ويبدأ المنشدون واحدا فواحدا . .  
يعدحون الشيخ من حلق مبحوحة . . ثم يسكتون . . فجأة أيضا . .

ونعرف نحن جميعا صفارا وكبارا . رحالا ونساء . بناتا وأولادا  
نعرف ولم نقارق مضاجعنا . . أن الرجل يُقبَلون يدي الشيخ . يَحْبُون  
إليهما من بعيد ونعلم أن الشيخ يسألهم عن عيالهم وعن أهلهم وعن المطر وعن  
الغنم في صوت خافت وهو يقول لكل واحد منهم :

— كيفنك يا ؟ « ويسمى كل واحد منهم بسمه » . .

— المبرك ما طاب ؟ . . والدنت ؟ . . لعها ما بتحس بي حاجة ؟ ! .

فلذا فرغوا خرج الشيخ إلى ديوانه البعيد ليصل ويتعشى وينام . .  
ويقف رئيسهم ويقفون جميعا في حلقة واسعة في دائرة . . مركزها الرئيس  
ويدفع الرئيس يديه إلى أمام ويحنى ظهره حتى تكاد رأسه تتبع لتراب ويرسل  
من فمه جمرة . . فقد اختاروه لأن له خوارا — « ويرمى » الذكر وتدق  
الطبول والدفوف وينشد المنشدون ويحمر الآحرون ويهتز بعضهم بلا خوار —  
ويشغوا آخرون دون اهتزاز ويحوم الرئيس في الحلقة يُحَيِّ ميت المم —  
وتسحرهم الموسيقى وتبلغ بهم النشوة مبلغا عظيما فيرعى بعضهم . . ويزيد  
آخرون ويطمطم كثيرون .

وتمر ساعة كاملة وتخت الأصوات فتعلم نحن جميعا — أن الذاكرين  
همدوا قليلا . فلقد عرفوا النشوة مجتمعين . همدوا قليلا يستجمعون القوى  
الخائرة . . لطيفة جديدة من الذكر .

## بلاد من ؟ ودولة من ؟ \*

المبادئ السياسية ليست أفكاراً تجريديّة . وليست شعرات خالية من المحتوى وانما هي - قبل كل شيء - منهج . وانتماء . وسلوب حياة . فالمبادئ السياسية التي لا تخرج عن اطار الميتافيزيقى والحدلية العقيمة لا تعدو أن تكون ضرباً من التهريج أو فى أحسن حالاتها لونا من لوان اترف للمكرى الذى يمارسه المثقفون واشباه المثقفين . .

وقد ظلت الكثيرة من شعوب العالم الثالث ترزح فى الاعوام الاخيرة تحت إسار قيادات سياسية تعذبها بالشعارات التي لا تخرج عن اطار التجريديات ولا تمس حيوات الناس وواقعهم المعاش .

ومثل هذه الشعارات التي لا تقوم على المجابهة الصريحة . والحوار الواعى . ولا تنعكس اخلاقياتها فى تصرفات القيادة ومسلكتها العام والخاص . . بل وتخلق لدى الشعوب تطلعات نحو اهداف عvisية التحقيق . . مثل هذه الشعارات تنتهى دوما بكفران الناس بالمبادئ نفسها . واستجابتهم لمنطق ردود الفعل وما يصحبها من تحاذل وخذلان . . واسلوب كهذا فى العمل السياسى يفتقد اهم ما يجب أن تتميز به القيادات السياسية ألا وهو المسئولية . . فالمسئولية ، فيما يقولون ، هى الحد الوحيد للحرية السياسية والممارسة السياسية .

الالتزام بالمسئولية الترام خلقى :

وواقع الامر أن أكبر الازمات التي يعانيتها العالم الثالث اليوم هى أن

---

\* من كتاب « حوار مع الصموة » . نشر دار التأليف والترجمة والنشر - جامعة الخرطوم

أقل عناصره ادراكا لمستلزمات المسؤولية الوطنية عقب الاستقلال هي الصفوة والالتزام بالمسؤولية هنا ليس التزاما سياسيا أو تنظيميا فحسب وإنما هو بالمكان الأول ، التزام خلقى . بيد أن موقف عدم الالتزام هذا إنما هو نتيجة حتمية للوضع الذى وجدت الصفوة نفسها فيه .

فالصفوة هي حاملة راية التحرير الوطنى . . . وهي ناشرة لواء العدالة الاجتماعية والممارسة الديمقراطية . . . الا أنها فى نفس الوقت هي الوريث المباشر والوحيد للحكم الاجنبى وامتيازاته . . . وفى الغالب الاعم لامتيازاته دون مسؤولياته . . . ولذا فإن لم تستطع الصفوة القسوة مع نفسها فى الحساب فستتهى بالضرورة الى الانحراف . . . والانحراف ظاهرة طبيعية لان الانسان بطبعه هلوع يعشق المتعة ، ويحب الدعة ، ويحفل من البذل باستثناء العصبية أولى العزم .

والذى ينظر الى الوضع الاقتصادى الذى ينحدر من سوء الى اسوأ فى الكثير من بلاد أفريقيا الناشئة . . . وينظر الى الفوارق الطبقة المربعة التى بدأت تطل بوجهها الكالح ليدرك ما أعنى . . . وفى الصورة القائمة التى رسمها البروفسير رينيه دومونت فى كتابه « افريقيا تنتكب الطريق » والذى ظل حديث الافريقيين والمتأفرقين خلال الأعوام الأربعة الماضية . . . فى الصورة القائمة التى رسمها دومونت نموذج لما يمكن أن تؤول اليه الاحوال على يد الصفوة ومن قبل دومونت كتب محمى ديا السياسى السنغالى المعروف يحدثنا عن مخاطر البرجوازية الجديدة - برجوازية الصفوة - فيقول « فى اطار البروقراطية الجديدة اخذت برجوازية جديدة تطل على المجتمع الافريقى . . . انها ليست ببرجوازية المغامرة والفتح والعمل التى قادت اوربا الى مرحلة الانطلاق وإنما هي برجوازية المتخفين الذين وصلوا نتيجة وضعهم الممتاز الى مراكز القوة ولم يعد لهم من هدف بعد هذا الا الحفاظ على المواقع التى استولوا عليها وتبديد اموال الجماهير فى الانفاق عديم الجدوى » .

## صفحة السودان :

والسودان . . شأنه شأن بلاد العالم الثالث الاخرى - أو أكثرها - لم ينج من هذه الظاهرة السلبية . . وهي سلبية تنبدى - كما اسلفت - فى الحرص على الابقاء على كل الامتيازات الموروثة من الحكم الاجنبى - وتنبدى فى الانصراف نحو الانفاق المبدد فى بلاد تحسب مالها بالدائق ولسحتوت . . وتنبدى فى الاغفال التام للريف وتركيز كل مظاهر التطور وللتحديد فى مراكز التجمعات الحضرية . بالرغم من أن الريف « هو المستودع الدائم للقيم التقليدية » لى يقف كثير من تصوراتها وممارساتها عقبة كؤودا فى وجه التطور الذى يقوده المجتمع القومى .

ولو تناول المرء مثلاً صاهرة واحدة مثل ظاهرة الانفاق المبدد لوجد هذا الانفاق تمارسه وتمكن له نفس الضيقة وتقييدات التى تحدثت عن التنمية وحياة لاحتمالية . وانحول الاشتراكى . . . ولن يحتاج المرء لأكثر من النظر الى احصائيات التجارة الخارجية التى تصدرها وزارة التجارة السودانية . . لن يحتاج المرء لأكثر من النظر الى هذه الاحصائيات ليترك صدق ما أقول . . . وننظر معى الى هذه الأرقام التى تنقل صورة منتقاة من احصائيات التجارة الخارجية فى خمسة أشهر الأولى من عام ١٩٦٥ . . فى خلال هذه الفترة بلغت قيمة ما استورده السودان من التبغ والمشروبات ٣٩١ر٣١٥ جنيهًا يقابلها ٦٧٣ر٦٩٠ جنيهًا لاستيراد الادوية والمنتجات الصيدلية . . وبلغت قيمة ما استورده السودان من سيارات النقل المشترك ١٧٠ر٥٦٨ جنيهًا يقابلها ٣٤٤ر٠٦٤ للسيارات الخاصة . . وبلغت قيمة ما استورده السودان من آلات الزراعة ( وهذا يشمل آلات تحضير التربة . واطصاد وبخبرات وصناعة الالبان ) ٢٦٧ر٥٨٤ جنيهًا يقابلها ٥٥٥ر٣٣٧ لاستيراد الخواكة من امريكا واملابو والمربى من ايطاليا وبلجيكا ولندمرك وبولندا ولبضاص من هولندا والمانيا وقبرص وايضاً وهذا عدا ١١ر٦٠٩ جنيهًا لاستيراد البسكويت نعم البسكويت . . . . . تالله لقد ضم

مدرسو التاريخ فى مدارس السودان مارى انطوانيت ظلما فادحا وفى ذراهم  
ماريات كثر . . .

ويقتل المرء للخمسة اشهر الاولى فى عام ١٩٦٦ ليجد ان قيمة ما  
استورد من التبغ والمشروبات خلال هذه الفترة قد بلغ ٢٣٠ر٨١٣ جنيها  
وأنخفض قيمة ما استورد من الادوية والمنتجات الطبية الى ٥٧٢ر٣٠٧ جنيها  
. . وبلغت قيمة ما استورد من العطور ومستحضرات التجميل ١٤٠ر٨١٤  
جنيها . .

وما استورد من الخضروات والفواكه ٣٣٦ر٣٣٥ بجانبها ٦٧٢ر٢٨٠  
لمنتجات الالبان . . وما استورد من السيارات الخاصة بلغت قيمته  
٤٤٣ر٦٦٩ جنيها مقابل ٥٦ر٤٩٧ جنيها لوسائل النقل المشترك . . اما  
البسكويت فقد بلغت قيمته ١٨٣ر٠٧٤ جنيها . . وحرصا على جلب  
السعادة لشعب مارى انطوانيت هذا فقد ذهبنا لاستيراده من هولندا ،  
وبلجيكا ، وفرنسا ، المانيا ، والدنمارك ، وهنغاريا ، واستراليا والصين . .

### عشرة فى المائة :

وراء هذه الأرقام المزرية يكمن جانب كبير من مأساتنا ، والسرفى  
مأساتنا . . السودان الذى تبلغ مساحته مليوناً مربعاً من الأميال . . ويشقه  
أكبر أنهار العالم . . أو لأقل خشية من حساسية مدرسى الجغرافيا . . أكبر  
أنهار العالم بعد المسيسى - ميسورى . . بلد هذا حاله يستورد خلال خمسة  
اشهر من الفواكه والخضروات ما تربو قيمته على نصف المليون من الجنيها  
. . أى ضعف ما أنفق لاستيراد الآلات والمعدات الزراعية . . وقائمة  
الواردات التى اشرت اليها كلها بلا استثناء لا يستهلكها أكثر من ١٠ فى  
المائة من أهل السودان . . هذه العشرة فى المائة هى نحن دعاة التجديد . .  
حماة الديمقراطية . . رافعو راية العدالة الاجتماعية . .

لنتناول الظاهرة الثانية . . ظاهرة الانفصام الضار بين اهل المدن واهل

لعدة . . بين الريف والمدينة . . وظاهرة الانقسام هذه ظاهرة قديمة منذ  
 أن برزت المدينة في الكيان السوداني . . وقد ظلت المدن في السودان  
 الحديث تتطور بصورة اخذت معها المدن تبدو كبثور عريية طارئة في جسم  
 الامة . . فيحكم نموذها الاقتصادى . ووضعها السياسى وامكانياتها الثقافية  
 فرضت المدينة نفسها على بقية أجزاء القطر فرضا . . وهو فرض لم تصحبه  
 لمحاولات العممية الجادة لاحداث التغيير الحضارى الضرورى الذى يجعل من  
 المجتمع القومى كله وحدة فكرية واقتصادية . . وقد أدرك المستعمرون في  
 المسمى أحطار هذا الانقسام سيما وهم يدركون ان المدينة شىء جديد طارىء  
 فى المجتمع الافريقى . . ما كتبه الموردي لوقارد والسير دونالد كامبرون من  
 عرب افريقيا يشير الى هذا . . وتقرير لجنة ديلاوار عن السودان تشير الى  
 هذا . . الا أن معالجة الاستعمار لهذه الظاهرة كانت بالضرورة - معالجة  
 فى اطار الوضع الاستعمارى وكانت تستهدف حماية المصالح الاستعمارية . .  
 اشير ها - على وجه التحديد - الى مذكرة السير دوقلاس نيوبولد فى  
 فبراير عام ١٩٣٩ والتي قال فيها بان الطريق لانهاء هذا الانقسام بين الريف  
 والمدينة لن يتم الا بفتح ابواب المدارس الاولى والوسطى لآبناء القطر .  
 وفتح ابواب المدارس الثانوية لآبناء نظام العموم . . وادخال بعض عناصر  
 الافندية فى المجالس الريفية . . وتدريب التربية الوطنية فى المدارس  
 الثانوية . . وانشاء مدارس للتعليم الريفى فى بعض المدن . . وتوسيع آفاق  
 الافندية ، باتاحة الفرصة لهم للخروج الى مراكز التجمع الريفى . .  
 واستبدال الادارة الاهلية بالحكم المحلى الذى يمكن ان يشمل ، على حد قول  
 نيوبولد ، سلطنة دار مساليت بجانب مجلس بلدى بورت سودان . .

### وجاء الحكم الوطنى :

نعم لقد أدرك الاستعمار هذه الظاهرة الخطيرة ومضى يخلها بمخطمه  
 ويفهمه ويحاول حلها وفق اهدافه . . وجاء الحكم الوطنى . . وجاء معه  
 المثقفون الذين أسماهم السير دوقلاس بالافندية يشقون طريقهم صعودا الى

دست الحكم فى اطار سياسى واجتماعى جديد . وفى الاطار الجديد لا يختلف الشان - أو يجب أن لا يختلفا - فى أن الهدف الرئيسى لأى حكومة . . . لأى نظام . . . لأى خطة سياسية . . . هو تحقيق الوحدة الوطنية . والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وهذا هدف لا يمكن تحقيقهما فى أى وضع يعمل المجتمع الريفى فلا وحدة وطنية بل ريف . ولا تنمية بل ريف . . . فالمشكلات التى تعانى منها المجتمعات المتخلفة . مكانها فى الريف . وموضوعها الانسان الريفى . وغاية التنمية هى تحويل الريف الى مراكز انتاجية حديثة ، وتحويل الانسان الريفى الى انسان قومى يفعل بالأحداث التى تدور فى المجتمع القومى ، ويشترك معها ويسهم فيها بحيث تتفق فى الوحدة القانونية والسياسية للوطن أو المجتمع القومى وحدة اجتماعية ، واقتصادية ، وفكرية . . . ويتم التفاعل بين الريف والمدينة فلا تظل المدينة معدة نهمة وخزيرة طامعة ، وسلطة باطشة والريف مزرعة قانعة . وضريبة متصلة وذلا مقيما . . .

### صلة غوغائية فقط :

وقد ظلت الارياف بالنسبة للقيادات السياسية فى السودان مستودعا لاستجلاب الناجين والهناءة . . . وظلت بالنسبة للقيادات الادارية منفى لغير ذوى الخطوة . . . والصلة الوحيدة التى ظلت تقوم بين التنظيمات السياسية والارياف صلة غوغائية . . . صلة الليالى السياسية العابرة ، والحشود المصطعة ، والخطايات المعادة عن الحرية الحمراء واليد المضرجة . . . اما الحوار . . . اما النوعية . . . اما الوجود السياسى الدائم فلا مكان له فى قواميس الاحزاب . . .

انا نتحدث اليوم عن الديمقراطية ، وحكم الشعب ، والاشتراكية ومجتمع الكفاية ، والتنمية . . . وكل هذه الافكار غيبيات عند الرجل الريفى . ولا يمكن له ان يستجيب لها ، ويتفاعل معها مالم تكن هناك نوعية ، ومالم تكن



هنالك إبانة ، ومالم يكن هنالك ترشيد ، نوعية وإبانة وترشيد تعرف  
لإنسان الرفي بأن هذه الأفكار إنما ترتبط ارتباطا عضويا بواقعه وحياته . .  
بل هي قدره ومصيره وحياته . . ومثل هذه التوعية لا يمكن أن تتم  
بالإنشائيات ولا بخطابات الليالي السياسية العابرة . . ولا عن طريق بلجان  
التشريفات الفرعية التي تضم سر التجار وباشكاتب المركز ، وشيخ  
المركز ، وفضيلة قاضى الشرع وكل من توفر فى الاقليم من ارباب  
المعاشات . .

إن القيادات الرشيدة فى العالم الثالث هي تلك القيادات التي أدركت ان  
التغيير الحضارى لا يتم الا بالانتقال بالحركة السياسية الى مراكز التخلف . .  
وبمحاربة الانحراف لدى الصفوة . . المعلم جولبوس نيريرى زعيم يمكن أن  
يتعلم منه ساسة افريقيا الكثير فى هذا الميدان . . لقد ترك نيريرى مركزه  
كرئيس للحكومة تنجانيقا غداة الاستقلال تركه لرشيدي كاواوا وذهب  
طواعية الى الريف ليعيش مع اهل تنجانيقا عاما كاملا يدرس احوالهم ،  
ويسرهم أفكاره ، ذهب ، على حد قوله ، ليشرح لهم معنى الشعارات التي  
بدأ ينادى بها فى دار السلام . . الاشتراكية . . الحياذ الايجابى . . محاربة  
العنصرية والاستعمار . . التنمية الاقتصادية . .

### مقررات أروشا :

وعاد نيريرى ليقم دولته الجديدة ومن ورائه شعب يتفاعل معه . .  
وبدأ خطواته الثانية فى تنظيف داره وتطهيرها بدأها بحاسبة القيادة والصفوة  
. . وكانت مقررات أروشا فى مطلع العام الماضى . . التضحيات والمحاسبة  
تبدأ فى أعلى المستويات . . اعضاء الحزب . . اعضاء البرلمان . . الوزراء . .  
كبار الموظفين . . قادة النقابات المهنية والعمالية . . فالقيادة التي لا تحاسب  
الأقوياء لا يحق لها أن تحاسب الضعفاء . . والقيادة التي لا تفرض التضحيات  
على القادرين لا تملك أن تفرضها على المساكين . .

## بلاد من ؟

إنه لمن المحزن حقا أن يستمع المرء إلى الاصوات التى ترتفع كل يوم حول فقدان المسئولية عند العامل والزراع الذى يطالب بالمزيد غير عابىء بالضئلك الذى تعانیه البلاد . . من المحزن حقا أن تلك الاصوات لا تقف لحظة لتسائل . . بلاد من ؟ إن فالح الأرض فى الجزيرة الذى يدر على السودان ستين فى المائة من عائد استيراده من حققه أن يسائل عندما يرى هذا العائد يتفق اتفاقا طفيفا مبددا لا فى استيراد الآلات الانتاجية وتحسين الخبرات بل لاستيراد العطور والسيارات الخاصة والبسكويت . . وعندما يرى أن بلاده تنفق فى استيراد التبغ والمشروبات ما يقارب اتفاقها فى استيراد الادوية والمستحضرات الصيدلية فى الوقت الذى يفتك فيه وباء بدائى مستوطن كالبلهارسيا بأهل اقليمه . . من حقّه عندما يرى كل هذا أن يسأل الذين يتحدثون عن التضحية من أجل البلاد ومن أجل الدولة ... بلاد من ؟ .. ودولة من ؟ إن التضحيات إن كانت هنالك تضحيات يجب أن يبدأها القادرون .

وواقع الأمر أنه ليس هنالك من تضحية . . وانما هنالك دين مستحق طال أمد سداذه . . فالامتيازات التى ورثناها من الاستعمار لم نرثها الا لمركز ممتاز ، والمركز الممتاز لم ينحدر الينا من آباءنا الاقيال من آل بوربون وآل هابسبرج وانما حصلنا عليه نتيجة ما قلناه من تعليم . . والتعظيم ما كنا ائنا له لولا التضحيات التى قدمها شعب السودان ليتمكن لابنائنا المعرفة . . ولا أظن أن هنالك بين شعوب الارض شعبا انفق بقدر ما انفق شعب السودان ليعلم ناشته . . لقد رسم نيريرى صورة رائعة للمتقف الافريقى الذى يجفّل من التضحية فى سبيل مجتمعه . . مثله مثل الرجل الذى جمعت له القرية كل مالها وارسلته ليأتىها بطعامها فذهب ولم يعد .

## حديث لعبد الناصر :

وتحدث عبد الناصر فى مطلع العام الماضى الى مثقفى مصر بمناسبة عيد

العلم حديثا ما اجدرنا بأن نعيه وما أجدر قادتنا بأن يرددوا مثله . .

قال : « فليتحول كل مثقف بما أخذه الى مصدر عطاء للذين اتاحوا له ، ومكنوه ، وحققوا امتيازه والا فهو شجرة عقيمة ، عاشت من الارض ، وارتوت بعرق السواعد ، واحاطتها الرعاية بكل انواعها . وامتلاّت بشعاع الشمس ثم لم تعط في النهاية زهرا ، أو ثمرا أو ظلا .

لقد قلت في مطلع هذه المقالات أن السودان قد شهد في الامام المهدي المفكر السياسي الاصيل الأول والأخير . . واضيف اليوم بأن السودان قد شهد فيه أيضا الزعامة السياسية الوحيدة التي ادركت أن قيادة أى مجتمع نحو الخير لا بد أن تكون قيادة خلقية . . وأن المجتمع الطاهر لا يمكن أن يقوم ما لم تتطهر القيادة . . وأن العامة لن تصلح ما لم تصلح الصفوة وأن البذل والتضحية يصبحان عتنا واقتسارا ما لم يفرضا على القادرين قبل جمهرة الكادحين . . كتاب الامام محمد الخبير عبد الله خوجلي حول غنايم بربر لسفر عظيم جدير بحكام السودان الحديد أن يقرأوه في غمرة حديثهم اندائب عن الفضيلة والخير . . والصلاح في دولة لا تخلو جهاز واحد منها من الفساد . . . ولا تخلو دائرة واحدة فيها من المفسدين « انك جدير بعظمة ما عند الله ، وخسة ما في الدنيا وان كثر . . . وقد تعلم انها لا تعلو همة احد في الجهاد في هذا الزمن لاكتساب شيء من خسيس الدنيا الفانية غير الترك الكافرين ، واعوانهم الكاذبين الضالين . ومن نخا نحوهم من الاغبياء والمنافقين الداخلين في وعيده تعالى . . ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فاذا اصابه خير اطمأن به ، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ) اعيز نفسك واياكم والمسلمين ممن هذا حاله . .

ومثل هذه القيادة التي تبدأ محاسبتها في القمة . . والتي تحاسب الكبار حتى على الدوائق هي القيادة التي نجسر على دعوة الشعب للبذل والضحية . . واسلوب كهذا في التوجيه سينتهى بالضرورة الى تعميق معنى المسؤولية

الوطنية لدى الذين يتصلرون امور البشر . . ولذا فقد شهدنا يوم ذاك كيف أن الصفوة الحاكمة أخذت تعامل الملكية العامة ومال الأمة بحساب يشبه التقديس . . رسالة الأمير عبد الرحمن النجومي وحمدان ابو عنجة الى المهدي لشهيد على ذلك . . « انا حضرنا بجهة مندر وإن اخواننا الفقراء لما رأينا ما كوله البليلة اذناهم بتعاطى قليل من البصل والويكة والسسم . وقد رأينا ذلك غير مخلص عند الله تعالى بلا رفع الأمر لسيادتكم . . وحيث أن الاخوان حاصل لهم التعب . . ومعنا أبقار قليلة التزمنا بتحرير هذا العرض لسيادتكم راجين الاذن فى راحة الاخوان . . وأن تينوا لنا الجائز تعاطيه منها والمنوع لسلوك طريق الرشاد . . رسالة بسيطة فى تعبيرها . . ساذجة فى تقريرها . . الا انها تفيض نبلا . وثورية ومسئولية . . ورد الامام عليها بدرس آخر فى المسؤولية الوطنية : « اسأل الله أن يجزيكم ويعطيكم أحسن الجزاء والثواب . وأن يجزيكم عنا وعن دينه والمسلمين خيرا واحسانا ، ويكفيكم شرا وامتحانا . فشدوا على ذلك وزيدوا فيما هنالك مما تكرمون به عند الله وتفوزون به الى الدرجات العلى وتدخلون به مع الملائكة الأعلی . أما البصل والسسم والويكة وغيرها من المأكولات فجائز للمجاهد أن يأخذها بضرورة من غير ادخار وتمول . »

## الشرب من كوب خشبي ... \*

أعلن على رؤوس الأشهاد : أن الدنيا كروية ، لهذا تعذب ( غاليليو ) ،  
ولأننى أقول الآن مثل هذا الكلام أتعذب ، وإن كانت الأرض ، أم هى  
الدنيا ؟ كروية ، أو مسطحة منبسطة . فليس هذا موضوع نزاع . ولا هو  
بمحل نقاش اليوم والساعة واللحظة . وهب أنها تدور ؟ فمن أدراك أنها  
تدور ؟ فلو كانت تتحرك وتدور لفظتنا الى شمالها المتجمد أو جنوبها الحقيق .

والدنيا حالها هو حالها منذ أن عرف ( غاليليو ) دورانها واستدارتها الى  
يرمنا هذا ، ومن قبل أيامه تلك تدور وتدور أو لا تدور . ألم تسمع من يقول  
هكذا حال الدنيا ؟ ويقال مثل هذا دائماً فى الموت والفواجع . قلى لى : ولم  
يذكر الناس حالها حين نلم بهم المصائب . وينسون ذلك ( الحال ) حين  
تغمرهم السعادة من كل جانب ؟ غريب أمر البشر ، غريب والله أمرهم .

رأيت فيما يرى النائم شجرة وارفة الظلال ، تقوم على قبة الآهق فوق  
جزء من الأرض لا هو مستدير ، ولا هو منبسط ، ( حلم الجوعان عيش )  
كما يقولون ، فالشجر الوارف الظلال أندر من أسنان الدجاج هذه الأيام .  
ولن نستغرب إن طلع علينا رجل — فاسق أو غير فاسق — بنياً : أن من بين  
دجاجاته ( العشر ) دجاجات ذوات أسنان !

رأيت فيما يرى النائم ، شجرة وارفة الظلال ، تقوم على قمة الدنيا  
بحيث أبصرت من موقعى ذاك استدارة الدنيا ، وانبساطها أيضاً ، أبصارها  
تتميز الأشجار أم بظلالها ؟ فلو أنك سألتنى أقول : ان الاشجار تتميز بظلالها .

وكانت شجرة وارفة الظلال ، ورقها على أغصانها يميل الى سواد حالك  
لفرط اخضراره . وكان ظلها عظيما ضافيا . وكانت الشمس لا تأتيه من أى  
مكان ، ولكنها تحيط بالظل وتطوقه ، كانت عظيمة ، عليظة انماق ،  
أبشارها تتميز الأشجار أم بظلالها ؟

رأيت فيما يرى النائم أنى كنت نائما . نومة فى جوف نومة فاعجب .  
وأن شابا أعرف ملاحه ولا أذكر له اسما كان يقف أمامى طويلا فارع  
الطول كان ، يد على صدره وبالاخرى يشير ويلوح «أنا» قال واستطرد  
« من جبل العادة السرية » . فرعت حتى كدت أستيقظ من نومتى التى هى  
بجوف نومة أخرى . « ماذا تقول ؟ » قلت له :

« سمعتنى » قال محدثى ،

قلت له :

— أحق ما تقول ؟

— كل الحق .

— منى كانت الاجيال تقاس بعاداتها ؟ انما تقاس الاجيال بما قدمت  
وما تقدم من أعمال .

— كان ذلك فى القديم الغابر من الزمان ، ولكن الاجيال اللحظة تقاس  
بعاداتها ، كما تتميز الاشجار بظلالها لا ثمارها .

ما الذى أغرائنى باللجوء الى هذه الشجرة ؟ ثمرها ؟ والله انى لا أعرف  
إن كانت تثمر ليمونا أم زقوما ، ولكن ظلها بهونى ، فانطلقت أنشد هذه  
النومة الهائلة . نومة فى جوف نومة ، ثم قطع محدثى حبل أفكارى حين قال  
متسائلا « أعرفت أن الاجيال تقاس بعاداتها ؟ » . قلت وكأنى أريد أن أصرفه  
« امض عني » فقد أفرغنى كلامه ، ولا أريد أن أصرفه لأن الحق ربما كان  
فى كلامه . قلت له :

— حدثنى عن ذلك الجليل . .

— لقد ذكرت لك من سماته أبرزها . .

- ولكن تذكر الأجيال باحسن صفاتها ؟ . .
- هراء . . أبرز الصفات أحسنها .
- هراء . . هراء . . حدثني عن ذلك الجيل .

صفق يديه ، رأيته في المنام يصفق ويتسم . ثم تظهر الى يساره فتاة رائعة الجمال كبلقيس ، ويطلع الى يمينه فتى وسيم رائع كيوסף . . ويقفان الى يمينه ويساره باحترام وكأنهما يستعدان لتلبية أى أمر يأمر به يقفان فى طاعة كالمارد الذى انطلق من قمقمه يتحنى احتراماً لمن خلصه من الأسر الطويل . عقد محدثي يديه فوق صدره ، وابتسم ابتسامة هى ابتسامة الرضى ، « ومن تكون هذه الفتاة الحلوة . وذاك الفتى الغضض النضير ؟ » أقول فى نفسى ، وكأننى كنت أكلمه . قال صاحبى :

- هذه أميرة الحسن ، رمز الجيل الغاضب ، وذاك صاحبها . على الغضب التقيا .

- ومم الغضب ؟

- كانا يريدان قصاصا من جيل العادة السرية فأخضعهما ذاك الجيل لأوامره ونواهيهِ وتعاليمه .

- أى جيل تعنى ؟

- قد قلت لك لا تعد على هذا السؤال .

- حسنا وبم يعرف الجيل الغاضب ؟

- بمدى غضبه ، ومدى خضوعه لجيلنا ، ألا نحقد على من يخضعنا ؟ !

- ان كنا مخلصين مع أنفسنا وصادقين ! نعم . .

- اذن فمن حق هذا الجيل أن يحقد علينا إن نحن قد أخضعناه .

- شتان بين الحقد والغضب .

- لا فرق بينهما . . هذه عاطفة وتلك عاطفة ، هذه تلهب الفؤاد ، وتلك تحرقه .

— قدم لا سمحى . حيل الحقد واعتبر أن الحقد أبزر صغانه غير مداوم .

— « ها . . . ها . . . ها . . . » صاحك صاحبى . ولمحت التتى وقد تغير ما على وجهه من تعبير الى شىء يشوبه الأسى . ثم إنه يطر إلى الفتة خاسة كأنه يشتهيها . كانت بحق رائعة الحسن . ألا تشبه فتاة أنت تعرفها فى اللحظة والحياة ؟ وهب أنها هى ؟ قم إليها وعانقها : الساعة . اللحظة . الآن من قبل أن تفر . إن أسوأ الأحلام ما تعرف — وأنت دائم . أنه حلم .

« قم واشرب معنا . . . » قال صاحبى . قلت « وما تشربون ؟ » قال « مزيجا من دم هذا بخيل وذاك » . أقول فى نفسى « ومن أدراك أنك إن شربت من شرابهم أخذت من صفات هذا الخيل وذاك » .

ثم قدم لى شرابا فى كوب من الخشب ، زاعم الملمس ، كان الكوب . قال « اشرب » . سكنت . نظرت إليه . رأيت فى عييه تصحيفا وعزما . كانت الفتاة من خلفه تهتز بايقاع لا يسمع . قلت « لا أشرب من شرابكم لكم جيلكم ولى حيل » . تقدم نحوى خطوة ثم أشار بيده فجاء التتى . ثم جاءت الفتاة . أوثقائى . وسقائى الرجل كأس الدم حتى آخره . فاستيقظت وطعم الدم فى شفتى وحلقى . .

استيقظت من نومتى الثانية وكنت من نومتى الاولى فى سبات مضطرب سأل معسر الاحلام « أحلمت أنك مت ؟ » . قلت « نعم » قال « فاعلمه — أفادك الله — أنك ستأكل حتى تشبع » . متى كان الموت شعبا ؟ يقوون شع فلان من هم الدنيا حتى طست نفسه فمات ! .

الدنيا كروية ، أو هى مبسطة . هذا كلام يحتاج برهانا ملموسا ومحسوسا . وقد رأيت فيما يرى اللائم أنها — الدنيا — مسطحة بلا حد ، وأنى مرت حتى بلغت نهايتها . ولم تكن تلك الهاية مدينة (فاس) ، لأننى اكشفت — وبالحددة الذكاء — ان قوما يعيشون من بعد (فاس) . وأن أقواما يرزقون فيها ومن حولها ، ولكنى بلغت نهاية الدنيا على كل حال . وأعلمت فى نومى



أن للسماء أيضا نهاية ، وأن هناك شجرة وارفة الظلال لا تأتيها الشمس لا من خلفها ولا قدام ، وأن النوم تحتها لذيق ورائع . ولكن الاحلام تحت ظلها عذاب ، وعذاب النوم - كما تعلم - أشد ايلاما من عذاب اليقظة .

ثم جاءني في نومتي الاولى وفي حلمي الثاني يقول في ثقة : أنا من ذلك الجيل ، وأقول له : إني لا أعرف ذلك الجيل ولم أسمع به . فيرد بأنه جيل الخلاصة من الخلاصة بين الاجيال . . . «تعذبنا» قال واستطرد «ودقنا الويل والموان . وسمعنا وأبصرنا بأشياء تشيب لهولها الولدان » قلت : لكم جيلكم ولي جيل . ضحك ، كان وحده . شاخ وجهه ، واشتعل رأسه بالشيب هذه المرة . قلت له : أراك قد كبرت بين نومة ونومة . صمت محدثي ثم ضحك وضحك فتساقط شعره الأبيض وانمحت الفضون من على وجهه . وأمر بالفتى والفتاة فجاءا اليه ، ومن ثم انحنيا احتراما وتجلة . قال الفتى الصَّبَّاح الذى هو فى الحسن مثل يوسف : نحن من جيل الغضب . ثم قطب جبينه فازداد جمالا . وقالت الفتاة : ونحن من جيل العذاب . وقال محدثي يخاطبهما : ولأنكما خلقتما وجد على الارض العذاب . وقطبت الفتاة جبينها غضبا فزادت جمالا . ثم اتجه محدثي إلى وقال : أما أنت فقد صرت منا . أقول فى نفسى متسائلا : صرت منكم . ومن أنتم ؟ . . ؟

ضحك وقال : نحن من الأرض من حيث تبدو كالكرة ، ونحن منها من حيث تبدو منبسطة مسطحة . ونحن ونحن ونحن . . ألسنت منا ؟ . ثم نهضت من فراشى منهكا ذات صباح .

## الباب الثاني :

### الشعر

## مليط

حياك مليط<sup>(١)</sup> صوب العارض الغادى وجاد واديك ذا الجنات من واد  
فكم جلوت لنا من منظر عجب يشجى الخلى ويروى غلة الصادى  
أنسىنى برحّ الآمى وما أخذت منا المطايا بايجاف وإخساد  
كتبانك العفرُ ما أبهى مناظرها أنسٌ لذى وحشة رزقٍ لمرناد  
فباسق النخل ملء الطرفِ يلثم من ذيل السحاب بلا كدٍ وإجهاد  
كانه ورمالاً حوله ارتفعت أعلام جيش بناها فوق أطواد  
وأعين الماء تجرى من جداولها صوارماً عرضوها غيرَ أغساد  
والورق تهف والأظلال وارفة والريح تدفع مباداً لمساد  
لو كان شيء على الدنيا لإخلاء فقدت أصوات رهبان وعباد  
أنت المطيرة<sup>(٢)</sup> فى ظل وفى شجر يا غرة العين من عين وحاد  
وضعت رحلى منها بالكرامة فى دار ابن بجلتها نصر بن شداد<sup>(٣)</sup>

- (١) مليط بفتح الميم وكسر اللام المشدودة : مركز من مراكز دارفور بالسودان وتبعد عن مدينة الفاشر عاصمة المديرية بسبعين ميلاً تقريباً شمالاً ويشق مليط واد عظيم يسمى وادى مليط يأتيها من الغرب من مركز كتم . ومليط نخيل وتزرع فيها الفواكه بأنواعها وتروى بماء الآبار التى باطن هذا الوادى ، وهما خيرات حسان .
- (٢) المطيرة : هذه جزيرة ببنداد وبها قصر كان لأمير المؤمنين عبد الله بن الممتر الذى يقول فيها :

سقى المطيرة ذات الظل الشجر ودير حسدون هطال من المطر  
فطالما صبحتى المسبوح بها فى غرة الفجر والصفر لم يطر  
أصوات رهبان دهر فى صلاتهم سود المدارع تحارين السمر  
... الخ .

- (٣) نصر بن شداد : كان مأمور مليط وصديقاً حميماً للشاعر .

فاقتادت اللبّ منى قود ذى رمن  
هاتى الحديث رعاك الله مسعفة  
فحركت لوى الأوطان أفتدة  
هوى إلى النيل يصينى وساكنه  
وحاجة ما يعينى تطلبها  
يا سعد (١) سعد بنى وهب أرى ثمرأ  
وإن فى بعض ما قد عاف شاربكم  
ورقاء (٢) إنك قد أسمعنى حسناً  
إذا ندبمان فى شرع النوى فمخلى  
فربما تجمع الآلام إن نزلت  
لا تنكربنى فحالى كلها كرم  
وأنت يا عيد (٣) ليت الله أبدلنى  
مالى والعيد والدنيا وبهجتها  
أولئك الفر إخوانى (٤) ومن ذهب  
مضوا فهل علموا أنى شقيت بمن  
لم يحزننى لا جزاء الله صالحة  
لقبته أمس فى طيمرين مقتحما

ورقاء أهدت لنا لحناً برداد  
وأسعدى ، فكلانا ذو هوى بادی  
وأحرق نضو أحشاء وأكباد  
أجله اليوم عن حصر وتعداد  
لولا زمانى ولولا ضيق أصفادى  
فجد فديتك للعافى بعقاد  
إعتاب ذى الفضل يحى وابن عباد  
هيا اسمى فضل إنشائى وإنشادى  
يأبت ذى الطوق لحناً من بنى الضاد  
ضدين فى الشكل والأخلاق والعاد  
ولا يريك إتهامى وإنجادى  
منك الغداة بعواد وأعواد  
وقد مضى أمس أترابى وأندادى  
بهم مواسم أفراحى وأعيادى  
ألبسته ثوب إعزاز وإسعاد  
برأ ببر وإرفاداً بارفاد  
دواً بلا مركب فيه ولا زاد

(١) سعد بنى وهب ويحى واس عباد أسماء مستعارة أنى بها الشاعر بطريق التجديد وإن  
القعدة كلها ما يجوز أن يسمى بالشعر الرمزى . لأنه يرمز لرجال السودان رفهم بعد  
ذل وأغنامهم بعد فقر ، وبدلاً من أن يحدوا البلاد ويأخذوا ناصرها فاداً بهم وقد  
جعلوا أنفسهم جنة الاستعمار ودعائه .

(٢) يخاطب ورقاء دخل عليها فى كنفها فقرعت مه .

(٣) وأنت يا عيد الخ . . . أدرك الشاعر بمليط عيد رمضان انتابته الهواجس وذكريات  
سنة ١٩٢٤ وكيف أخرج الإنجليز الجيش المصرى من السودان وقد كان به ضباط  
مصريون من الطراز الأول علموا ومعرفة وأحلاقاً والشاعر صلة بهم ترحم إلى سنة  
١٨٩٨ عندما كان تلميذاً بالمدرسة الحربية .

فظللتُ أوسعهُ برأ وتكرمة  
 وحينما قلتُ إنى قد ملأتُ يدي  
 تحول الحال عما كنتُ أسمع من  
 أبحتُ منى حمى قد كان ممتنعاً  
 صيرته بعد ذلك الأيمن مسبعة  
 إن ترض بالحكم فالقرآن ذا حكم  
 هادٍ (٢) يضل وحيران يبدل وما  
 أغرقها إن كنتُ اليبس ولا  
 واصبر تذق مر ما ذاق الذين بغوا  
 لا تخدعك نصى قد جـوك بها  
 فليستُ أياس من عدل المليك بأن  
 لثمت كفاً ولا أدرى الذى اشملت  
 وليت شعري هل عرف الساحة ما  
 مهامه غرنى لمع السراب بها  
 أستودع الله سادات فقدتهم  
 نعمة الله يا أيام ذى سلم  
 أيام كنا وكان الشمل مجتمعاً  
 فإن جرى ذكر أبواب الساحة أو  
 لنا الكؤوس (٣) ونحن المتشون بها

حتى غدا وهو ذو وشى وأبراد  
 إذ غرنى صوت إبراق ولإعداد  
 وعد المثوبة والزلفى لإبعاد  
 حمى البهاليل : آبائى وأجدادى  
 تحمى مرشّة (١) أطيار وآساد  
 وما أولوا العلم والتاريخ أشهادى  
 طول البلية إلا حيرة الهادى  
 أراك تسلم من بحسر وإزباد  
 من قبل والله للباغى بمرصاة  
 ولا الزعانف من رهط وأجناد  
 يخنى عليهم كما أخنى على عاد  
 أصابع الصيد أم أشراك صباد ؟  
 أشم أم عرف دارينا وبغداد ؟  
 ومذهب لم أكن فيه بنقاد  
 حدى بهم حيث لا ألقاهم الحادى  
 أيام لم نخش بأس القاهر العادى  
 وحينما حى طُلاب وقُصاد  
 نادى الكرام فلنا بهجة النادى  
 منا السقا ومننا الصادح الشادى

(١) المرشّة : التى ترش بالدم .

(٢) هاد يضل وحيران يدل . . الخ . هذا وصف عريق من الناس مى السودان بهم شغلوا  
 مراكر من قبائلهم ومن وكل إليهم أمرهم بطريق الدين أو بطريق الدنيا عانقوا قد خيل  
 انقياد الأعمى وحروا وراء عاياتهم الشخصية ونسوا ما عاهدوا الله والوطن عليه .

(٣) لنا الكؤوس . . الخ . هذا البيت وما بعده وصف للسودان فى العهد الأول أيام الحكم  
 المصرى ، فقد كان السودان إذ ذاك الحكم ادنى بماء الحقيقى لا كانذى يملأنا به  
 الإنكليز فكل الوظائف قاطبة كان يتولاها السودانيون وحدهم ولم يكن للمصرى  
 الا وظيفتان فقط هما الحكمدار وقاضى القضاة . فلذا قال الشاعر هذا البيت .

واليوم أبدت لنا الدنيا عجائبها  
وما رمى الدهر وادينا بداهية  
لم نحزن ذنباً فقيم الحيف مقترف  
ما نحن يا جوج بل قوم ذوو أرب  
بنى أبى أنتم زيد على مائة  
عز النصير وقل المستعان به  
سيروا كراماً على اسم الله لا تنهوا  
فما الفلاح وما سعى الشعوب له  
إن يرسل الله من عليائه فرجاً

بما تقاسيه من حرب وأحقاد  
مثل الأليمين : تفريق وإبعاد  
وما لنا اليوم فى سد وإيصاد  
فى الصالحات ولنا قوم افساد  
وما عدتم أنخا مدني وإرشاد  
ومن يهب إذا يدعى لإنجاء  
فدهركم دهر إصداً وإيراد  
لدى الحقيقة إلا سعى أفراد  
نذكر ، وإلا فكل رهن ميعاد

## عهد جيرون

يثيرُ من لاعم الذكرى ويشجوني  
 بها زمانى من حين إلى حين  
 عزمُ أصدُّ به ما قد يلاقينى  
 حالى ، ولا منزلُ اللذات يُلْهينى  
 إلا الذى يجميل الذكرى يرخصنى  
 آباءُ صدق من الغرِّ الميامين  
 مَنْ ربوا الكونَ منهم أى تزيين  
 كالثب واللبث لا يُغضى على هُون  
 وربما كنت أدعوه فيعصينى  
 يا حالة القص ما بى حاجة بينى  
 فتانةُ اللحظ ذاتُ الحاجب التُونى  
 ماذا تريدن من موعود خمسين ؟  
 أطيعه ، وحديثُ ذو أفانين  
 قومٌ وأحرى بهم ألا يُلومونى -  
 مراسيحُ اللهوين الخردِ التعين  
 وحلةُ الأنس تعرى بى وتغرينى  
 كالريم جيداً وكالخبروز فى اللين  
 « أفديه » حين سعى نحوى بُغْدينى  
 « يا أنت يا ذا » وعمداً لا يسمينى  
 أدنيه من كبدى الحرى ويدنينى  
 قد زانه فصلُ إبداعى وتحمينى

أرقتُ من طول همٍ بات يعرونى  
 منيتُ نفسى آمالاً يماطلنى  
 ألقى بصبرى جسامَ الحادثات ولى  
 ولا أنوق لحالٍ لا تلائمها  
 ولست أرصى من لذاتى وإن عصمت  
 وكيف أقبلُ أسبابَ الهوان ولى  
 النازلين على حكم الملا أبداً  
 من كل أروع فى أكتاده لبداً  
 وقد سلا القلبُ عن سلمى وجارتها  
 ما عثرُ مثلى فى استسلامه لهوى  
 ما أنسَ لا أنسَ إذ جاءت تعابنى  
 يا بنت عشرين والأيامُ مقبلةً  
 قد كان لى قبلَ اليوم فىك هوى  
 ولا منى فىك والأشجان زائدةً  
 أزمانَ أمرح فى بُردِ الشباب على  
 والعودُ أخضر والأيامُ مشرقةً  
 فى ذمة الله محبوبٌ كلفتُ به  
 أفديه فاتر الحافظ وتلّ له  
 يقول وهو يحكى الرق مبتسماً  
 أنشأت أسمعهُ الشكوى ويُسْمَعى  
 أذُرُ فى سمعه شيئاً يلدُ له

فبات طلوع مرادى طول ليلته  
يا عهد جيرون (١) كم لى فيك من شجن  
ولا يزال النسيم الطلق يحمل لى  
واليوم مذ جذبت عنى أعنتها  
وعارض العارضين الشيب قلت له  
كففت غرب التصابي والتفت الى  
وصرت لا أرتضى إلا العلاء أبداً  
من نحر دارين أسفيه ويستقنى  
باد سقاك الرضا يا عهد جيرون  
رياً الجنباب وبرويه فبروينى  
هذى الظباء وولت وجهها دونى  
أهلاً بمن رجحت فيه موازينى  
حلى ، ولم ألك فى هذا بمغبون  
ما قد لقيت من التبريح بكفينى

(١) جيرون ما كناية عن مرتع هو أيام الصبا ؛ فهو من ذكر المحصل وإرادة ما كان فيه . وهو من الأصل موضع من متزهات دمشق ، وكثيراً ما يذكره الشعراء مطلقاً على مواضع يمتثل فيها ذلك قول أبى بكر الصوري :  
ولى فى باب جيرون ظباء  
أعاطها الهوى ظلياً طلياً



## نحية العام الهجرى سنة ١٣٣٩

يا ذا المللِ عن الدنيا أو الدينِ  
طلعت كالنونِ لا تنفكُ فى صغري  
سايرت نوحاً ولم تركبُ سفينة  
حدث عن العصرِ الأولى لتضحكني  
خبر ملوكاً قوى عز وأبهة  
وارمق بطرفك من بغداد دائرها  
سلها عن المسجد المعمور جانبها  
وسل زيدة عن قصر تبوأه  
سلها عن الجيش جيش الله أين مضى  
اخلى منابرها فى مقابرها  
وقبلها اهلك دمشقاً أنها فُجعت  
وسل معاوية عن شامييه فكهم  
يأسو جروح مقال ليس يولمه  
فى السياسة تأليف وبذل ندى  
هى التى حكمتها بين القلوب له  
وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى  
واذكر لىالى للفاروق أرقه  
وكم تفجّر المصطفى بها كرمها  
إنى بكيت على ماضٍ تكفل للمجد

حدث فان حديثاً منك يشفينى  
طفلاً وانك قد شاهدت ذا النون  
وانت انت فتى فى عصر زبلين  
فان اخبار هذا العصر تبكىنى  
ان الملوك وان عزوا الى هون  
واندب بها كل ماضى العزم ميثون  
بالعلم والخير والآداب والدين  
بعد الامين حسام الشهم مامون  
وكيف جرد من ماضٍ ومسنون  
من كل متضج الآثار مدفون  
بسادة عَمَرُوا الدنيا اساطين  
عفا واعطى برأى غير مرصون  
بالمال والمال من أجدى القرايين  
والرفق واللين كل المجد فى اللين  
على رقاب الورى امضى القوانين  
جسم الرماد من الشم العرائين  
فيها التقى وحنان بالمساكين  
عطفاً ورفقاً يباى الفقير محزون  
الايتلى بفخر غير ممنون

احبنى ودعاه الحب مَرَحمة لا يحزننكم بالنصح تلقينى

- الاشارة إلى المخترع الالمانى الكونت مردنان فون زبلين • ١٨٣٨ - ١٩١٧ •
- مخترع المناطيد التى اشتهرت قبل وبعد الحرب العالمية الاولى مباشرة برحلاتها الجوية .

قرب قول غليظ اللفظ باطنه  
 ترصون بالدون والعلواء نفسكم لا  
 والمجد يأتى فلا تدنو مراكمه  
 تفرق وتوان واتباع هوى  
 والحادث تريككم عبر آليه  
 فلا اعتبار ولا رقيب لناله  
 بانفسم وبلايا الدهر ان تزلت  
 بأمة جهلت طرق العلواء فلم  
 فللمدارس هجران وسخرية  
 وللمفاسد اسراع وتليقة  
 والناس فى القطر اشياء ملفقة  
 فمن غنى فقير من مروءته  
 ومن طبق حبيب الرأي منفض  
 وآخر وهو طوع البطن يبرز فى  
 وهيكلي تبعته الناس عن صرف  
 يحتل بالدين للديبا يجمعها  
 أحببى هى نفس حاج هائجها  
 هزرت منكم سيوفاً فى مضاربها  
 إن الحياة لمصار اذا ازدحمت  
 لها ومائل ان شدت او اصرها  
 تواضع وتأن واتباع نهى  
 فاحسنوا انما الاحسان واسطة  
 ثم انشروا من شريف العلم أنفسته  
 العلم زين وبالاخلاق رفعتة  
 إن الخلاق إن طابت منابتها

وحى ولين بفظ الروح مقرون  
 تدب يوماً لراضى النفس بالدون  
 من الجلال ولا ينفاد بالهون  
 إن الهوى لهوان غير مامون  
 إن التقاطع من شأن المجانسين  
 ولا احتياط ولا رحى لمغبون  
 فالصبر يكشف منها كل مدفون  
 تسبق لغاية معقول ومغزون  
 وفى المتاجر ضعف غير موزون  
 ولا الثقات لمفروض ومسنون  
 فان تكشف فن ضعف وتوهين  
 ومن قوي بضعف النفس مرهون  
 فاعجب لمنطلق فى الارض مسجون  
 زى الملوك واخلاق البراذين  
 كالسامري بلا عقل ولا دين  
 سحناً ونورده فى قاع سجين  
 من الشجون فلم تبخل بمكنون  
 عون الصريخ وارهاب المطاعين  
 بها الرجال تردى كل مفتون  
 تبين المجد فيها أى تيسين  
 والصبر والحزم اذكى فى الموازين  
 للعاملين به فى كل تمكين  
 فانما هو مبنى كل تمدين  
 ان قارته بدا فى خير تزيين  
 كانت لكسب المعالي كالبراهين

## السلحفاء والبطئان

لا في جمادى وحدها ولا رجب  
أن غديراً كان قرب التهر  
وطال حوله النبات والشجر  
للماء والنبت وللجئان  
لذت لها في مائه الحياة  
والأنس فيه قرة للعين  
أبسة سمعة بجبه  
ما ليس فيه للنفاق حبة  
أن ينشف النبات والغدير  
فبدلت بنعمة بأساء  
تلك على ليداتها والزينة  
وللكرام أنفس رقيقة  
ان الوفى ليس ينسى صاحبه  
نمشى اليه بالسرور والهناء  
ولم أكن أمشى ولست طيراً  
عوداً متيناً يابساً أو ليناً  
ونبتدى في الحال بالصعود  
نخلص الخليفة الخليفة  
من الصديق أنفس الهدايا  
فتصبحى فى كربة وضيق  
ولا تقول كلمة فتطرحى

فى كل يوم يظهر الدهر العجب  
فمن عجب ما حكى فى الدهر  
راقبه الماء فما فيه كسدر  
فسكن الغدير بطئان  
وكان فيه قبل سلحفاة  
فأنست بصوت البطئان  
وأصبحت اليهما حيية  
أفضل قلب يحفظ المحبة  
ثم قضى المهمن القدير  
فتاء فقد الماء السلحفاء  
وقعدت مريضة حزينة  
فحتا لمحنة الصديقه  
وقالتا لا تحزنى يا صاحبه  
الماء فى واد قريب من هنا  
قالت وكيف أستطع النيرا  
فقالنا نحمل فى كفننا  
ثم تعضين بذلك العود  
لعلنا بلطف تلك الحيلة  
لكننا نوصيك والوصايا  
إتاك والكلام فى الطريق  
مهما سمعت الناس قالوا فاسمحي

وطارتا فجذبتا في السير  
ومرتا من الطريق بالقري  
وعجبوا من أمرها ونطقوا  
فغضبيت لما يقول الناس  
وفتحت فآها لتشفى بالكلم  
فسقطت قتيلة النسيان  
وهكذا من نسي النصيحة

فاعجب لبنت الماء بين الطير  
فأكثر الناس إليها النظر  
واجتمعوا من خلفها وشفقوا  
وارتفعت من غيظها الأنفاس  
ما قرأ في ضميرها من الألم  
ولم تنل شيئا سوى الأحران  
يرجع بالحرماني والفضيحة

عبد الله عبد الرحمن :

## الطبيعة في السودان

• للنائب المصري محمد محمود جلال وذلك استجابة لمقال له نشر في ( الرسالة ) سنة ١٩٣٤ يترح فيه أن تعمل مصر على ارسال بعثة أدبية للسودان إلى جانب بعثتها الزراعية التجارية . وقد لام في هذا المقال الكتاب والشعراء المصريين على عدم رحلتهم للسودان ومعالجتهم وضع روايات من طبيعة السودان الساحرة السافرة .

وجئتنا بحديث ممنوع دان  
نحيه من أحاسيس ووجدان  
بني العروبة من مصري وسوداني  
أليس عندكم في السودان ذا شان  
وللرواية منه ألف ميدان  
به الحوادث في سر وإعلان  
كأنما القوم من هي بن يان (١)  
بكل فعل عظيم النفع إنساني  
أحقها إن لها برعى الشقيقان  
له الكنانة والسودان ركنان  
لا كالذي عب من زور وبهتان  
ويقطع الظهر من داع لهجران  
حيثما سيشتقي بها في العالم الثاني

نبته منا فزاد غير سهوان  
محمد بن جلال قد نطقت بما  
دعوت للأدب العالي يؤلف من  
وصيحت بالقائلين الشعر بينكم  
ما للمسارح لم تخرج روايته  
وكيف لم يبرز الكتاب ما عصفت  
مضى يثابر لم يفتن له أحد  
فقلت لله مصر شدة ما حثيت  
وتلك قولة حق ما أئرو وما  
ما كان أوفقه لو خستنا أدب  
يتيم عنا وعنكم غير مختلق  
يقلم الظفر من ساع لفرقة  
والناس من بات يشقى من جهالته

كم للطبيعة في السودان من فن  
وكم لأطياريها من سحر وألحان

(١) هي بن يان المجهول النسب والابن .

أمدُّها للأديب المدام الباني  
 حُرُّ الشفاهِ خلَّاهَا بيضُ أسنان  
 خوالدُ الشعرِ يروِيها الجديدان  
 ولا على الشمسِ سلطانُ لبنيان  
 فتملأُ النفسُ من حسنٍ وإحسان  
 للطرفِ في بارة<sup>(٢)</sup> أو أرضِ خيران  
 والإبلُ طالعةٌ من بينِ كُشبان  
 وغادةُ الريفِ في عينٍ وغزلان  
 والجيدُ من حسنه عن زينةِ غان  
 في البطانةِ كنهٌ من شعبِ بوان<sup>(٣)</sup>  
 بكلِّ وجهٍ بماءِ الحسنِ ريان  
 أوفتُ على شرفِ ترنو بفتان  
 مواقعِ الغيثِ قطعاناً لقطعان  
 فيه الإباءُ وفيه نصرةُ العاني  
 بين البيوتِ وفي أعطافِ وديان  
 بابنِ النمرِ وسوبا وابنِ سلطان<sup>(٤)</sup>  
 إلى نوادرِ أجوادٍ وفرسان

ما أكثرَ الملهماتِ الشعرِ فيه وما  
 الرملُ عندَ ضفافِ النيلِ تحسبه  
 وظلمةُ الليلِ في العنودِ<sup>(١)</sup> ملهمةٌ  
 ما للكهاربِ سلطانٌ على قمرٍ  
 كلُّ تفيضٍ على الآفاقِ غرثه  
 هناك في كردفانِ أيُّ متسعٍ  
 حيث البداوةُ في أحلى مظاهرها  
 ما أجملَ الريفِ مصطافاً ومرتعاً  
 الخدُ<sup>(٢)</sup> لم نجبر موسى في جوانبه  
 فإن سكنَ شعبُ بوان<sup>(٣)</sup> ازدهى نفرأ  
 إذ تقبلُ الأرضُ أعقابَ الحريفِ بها  
 والصيدُ نافرةٌ حتى إذا أنست  
 والضأنُ والمعرُ والانعامُ تابعةٌ  
 وللحداةِ حداةٌ كله كرمٌ  
 وسامرُ الحَيِّ من عبيدِ وفتيان  
 في كلِّ ليلٍ تحاجيهم عجائزُهم  
 وتارةٌ يرهفُ الفتيانُ سمعهم

(١) عنود أي حمد وهو مدرة عطية بين وادي حنك وأبي حمد لا ماء فيها ولا شجر ولا إنسان ولا حيوان .

(٢) بارة والخيران من مراکز كردفان .

(٣) عرب كردفان لا يشترطون حدود فتيانهم قصدا للعدل كما هو الشأن في بعض قبائل السودان ولشاعر يرى في نقاء الوجه على عدله لطيفي مدعاة للتمنى له أكثر مما لو كان مشروطاً .

(٤) شعب بوان منتزه بيلاد فارس .

(٥) والطامة مراعى حدة بين بين الاررق وهر عطيرة .

(٦) ابن النمر وابن سلطان من اعداء الاحاسي الشعبية السودانية وسوبا كانت حاضرة الثوة امب وموقعها على النيل الازرق جوبي الخرطوم .

وابن المخلوق لم نبرح حكايتُهُ  
يا قهر تاحوح حياك الحبا ومشي  
في الحبي يسردُها أشياخ حُميران  
بصفحتيك شذاً وردٍ وريحان (١)

لاني أميلُ إلى الأشعارِ بيعُها  
وفي البلادِ وفي ماصي أبوتنا  
حسنٌ قوى وأقلى الفاتر الواني  
وكم تباريحها من قصة عجب  
فإن يكن بات فيها الحى يصهرنا  
فخرٌ وإن لم تكن نعى بإعلان  
جد الحكيم وهو الوادع الهابي  
فللحرارة يعزى فصل شحان

(١) تاجسوج إمراة من قبيلة الحمراوات صارت مع الرمن المودج الاسمى للحداد السودانى  
والقيم الاخلاقية الرفيعة .





لبسوا الحديدَ على القديمِ وهكذا

صارتُ تُصانُ ودِعةُ الأحفادِ

• • •

يا ليلةَ سَمَحَتْ بِعُشْدِ جُمُوعِهِمْ  
وهزَزْتَنِي فَطَرَبْتُ حَتَّى خِلَعْتَنِي  
أَدَبٌ عَلَى الْأَدَبِ التَّلِيدِ وَهَمَّةٌ  
يَخْطُو عَلَى قَدَمِ الضُّوقِ يَبْتَهِتُ  
عَمَضَى وَهَذَا دَأْبُنَا وَمَطْبُنَا  
قَلْبٌ إِذَا مَا شَتَّ فِي تَارِيخِنَا  
كُنَّا كِفَادَةَ أَنْجَمٍ سَيِّئَةِ  
كَانَتْ مَعْلَمًا مُنَارًا لِلْوَرَى  
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الدَّلِيلُ بِنَا الْعُلَا  
وَسَرَى الْكَمَالُ إِلَى النُّفُوسِ فَنَافَتْ  
بِلَأَتِ حَيَاةٍ غَيْرِ تِلْكَ جَدْبِرَةٍ  
لَعَبْتُ بِهِمْ أَيْدِي الْعِلَا فَضَرَقُوا  
وَنَسُوا مَوَاقِفَهُمْ وَمَجْدَهُمْ وَمَا  
وَإِذَا رِعَاةُ الْحَيَى فِي شَرِكِ الْهَوَى

ذَكَرْتَنِي بِمِكَاطِ كُلِّ مُنَادٍ  
مَا بَيْنَ قَوْمِي مَخْلَعًا لَزِيَادٍ  
بَلْوِيَّةٌ حَضْرِيَّةٌ الْأَبْرَادِ  
تَجْرَى الْمَمَالِكُ حَوْلَنَا لِكِنَادٍ  
فِي الْمَكْرُمَاتِ مَطِيَّةِ الْأَجْدَادِ  
وَأَشَدُّ إِذَا مَا شَتَّ فِي الْأَعْيَادِ  
نَصَفَ النَّوَاءَ بِمَرْصَدٍ أَوْ نَادٍ  
وَهْدَى وَحَصْنًا ثَابِتَ الْأَوْتَادِ  
وَدَنَا الصَّبَاحُ وَقُلْ زَجَرُ الْحَادِي  
أَمْتَرَاوُهَا إِذْ كُلُّ قَصْرِ هَادٍ  
بِالذِّكْرِ لَوْلَا أَنْ هُنَاكَ عَوَادِي  
أَيْدِي سَبَا كَتَفَرَقِ الْأَضْدَادِ  
بِحَظِيرَةِ الشُّوْرِى مِنَ الْإِرْشَادِ  
بَاتُوا وَبَاتَ عَمِيدُهُمْ فِى وَادٍ

• • •

مَاذَا يَقُولُ الْمَرْجِفُونَ وَكُنْنَا  
أَصْحَابُ مَائِدَةٍ وَأُسْرَةٍ مُنْزَلِ  
لَا فَرْقَ بَيْنَ قَبِيلَةٍ وَقَبِيلَةٍ  
ضَاقَتْ جَزِيرَتُهُمْ بِهِمْ فَتَلَقَّوْا  
نَشَرْتَ أَوَائِلَهُمْ هَلَى بِالسَّيْفِ لَمْ  
وَمَشَتْ أَوَاخِرُهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ  
أَيُّوِيَا عِظَةُ الْمَمَالِكِ وَابْنَةُ ۥ

فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ أَهْلُ جِهَادِ  
وَنَتَاجُ بَادِيَةٍ وَفَتِيَّةٍ وَادٍ  
هُمْ أَخَوَةٌ مِنْ عَامِرٍ وَقِرَادِ  
خَلَجًا وَأَرْضَ اللَّهِ ذَاتَ مَهَادِ  
تَنْشُرُهُ غَيْرُ شَجَاعَةٍ وَتَفَادِ  
سُنَنٌ غَلَّتْ أَنْشُودَةُ الْأَوْلَادِ  
تَارِيخُ بَيْنِ مَصَارِعِ الْأَجَادِ

حملوا عليك جهالةً ولو أنهم  
يا أخت ( موسى ) استعزك راحعاً  
هذى ديارهم وتلك ربوعهم—م  
فالدهر يريص كالهنز وتارة  
لا يستقر لبطشه عرش على

قطنوا لما حملوا على الأطواد  
موسى وعادك من بينك عوادي  
فسقى ثرى وادبك صوب عهد  
بعشى الملوك صحى عني ميعاد  
عَمَدٍ وإن يك عرش دى الأوتاد

## كَلْبُ الْحَمَارِ (١)

أو المعاني والأشكال

من طريف الآثار والأخبار  
هجر الناس والكلاب وأمسى  
لم يفارقه في الإقامة والظعن  
كم جرى والفلاة تقصم  
ومرى والضباع تهجم للفتك  
عبر النيل خلف فلوك حملته  
كم رأيناه وهو يسوغل في الو  
كل ذا والحمار يأنس بالكلب  
وإذا هم بالنهي ترى الكلب  
هو كلب وليس بخليء من قبا

أن كلباً متبسم بحمار !  
وهو حرٌّ من القوى في إصار  
برعه الكثير من أخطار  
كاحمرة خلف الحمار بالمشوار  
فيلقى الهجوم كالمغوار  
على رغم شدة التيار  
تب ويبدى فتونه في المذار !  
ولم يُبَدِ منه أى تقصار  
بصرب من التهيؤ يجارى !  
ل : ولكنه بسروح حمار !

• • •

مثل الكلب والحمار رأينا  
فمن الناس من تدلُّك سيما  
ومن الناس من يروءك كالجن  
رُبَّ جمع من اللدات رأينا  
لست أنسى التي إذا خطرت  
رُبَّ شكل له يباطن نفسى

• على هذه البرية جارى  
• على أنه من الأنمار  
• وإن لم يكن يحسم نارى  
• كمرب يرف من أطياري  
• يخطر بالبال شكل ملك سارى  
• أثر لا تحده أفكاري

(١) ليس بين موضوعي مر كذا مر في ١٩٢٥ من جهن قصة هذا الكلب والحمار وقد كان ملك حصرة أيوراشي عندما عدى على كنهه سامورامركز انه كور

صوراً بان لبصائرٍ منهم  
 ربّ شخص اذا تجسد معنى  
 شفةُ المرء قد تدلّ وعينا  
 أنا لا تأخذ المظاهرُ منى  
 كم فتى أكبرتهُ أعينُ غيرى  
 ربما عاد للوجودِ حمّاراً  
 ان بعضاً من البريةِ أدنى  
 رب شخصٍ تراهُ يرقلُ فى السندسِ

معانٍ ختفين عن أبصارٍ  
 فيه ما كان غيرَ وحشٍ ضارى  
 هُ على ما احتواهُ من أسرارٍ  
 لا ولا يتخدعُ الطّلا أبصارى  
 هو عندى كثل ( كلب الحمار )  
 إن تُعيد خلقه يد الأقدارِ  
 من هوامٍ تعيشُ فى الأقدارِ  
 من حلةِ الفضائلِ عارى

## حديقة العشاق

لأنه بالرحيق حل وثاقى  
إشراق يسنى معدد الآفاق  
إذ حلكنا حديقة العشاق  
نسى وهاج الأسى أين السواقى  
وعجب مستغرق فى عشاق  
وحدود والتف ساق بساق  
فى انسجام وبهجة واتساق  
وغريدر لمخدع منساق  
تشنى فى القيد والإطلاق  
مفترات أما لها من واق ؟  
والأباريق ينسنى فى إطراق  
ترجئى إن كان فى الكأس باق  
وهنا واعتلى هائما فكيف لحاقى  
والنسنى فى ابتسامها البراق  
فهى فى الحق جنة الإشراق

نصر الله وجهه ذاك الساقى  
فترامى الجمال مزدوج الأ  
كان صبغاً طلق المحيا ندياً  
نغم الساقيات حرّك أشجاء  
بين صبب فى حبه متلاش  
ونلاقت فى حلبة الرقص أيد  
فضلنا والظل والطل هام  
وفناء تختال تختار كرماء  
والقوانى الحسان بين يدينا  
أقبل الصبح والشهود نهود  
ظلت الغيد والقوارير صرعى  
اشنى بالصبح يا بهجة الروح  
يا بنة القاش ، إن سرى الطيف  
والنسنى بين خصرها ويدها  
كملا ، أشرقت بها كأس وجدى

## من وحي الجزيرة

عندما ذهب طلبة كلية غردون لقطيف القطن سنة ١٩٤٢ .

اليوم يومك يا قصيدى  
واخلع على أرض الجزيرة  
وأفض عليها من نبات  
ابنائها فخر البلاد  
الباذلين جهودهم  
قالوا الرحيل وبكروا  
وإذا العبيد مشر  
ماس الأمور وحاطتها  
أصواته من حوله  
وإذا القطار مهلل  
والأرض حالبة الربى  
وانظر إلى أمل البلاد  
تسركوا الدروس ويموا  
حتى إذا لاح الصباح  
يمشون لا متلمسين  
وانظر إلى النبات الجديد  
يحتار من صف إلى  
ينون للوطن العزيز  
وطن تضاfer أهله  
رجعوا باكيلل الفخار

فتغن بالحن الفريد  
كل قافية شرود  
السحر آيات الخلود  
ومصدر الوحي المقيّد  
في كل صالحة وجود  
يتابعون إلى الورود  
والكل في أثر العبيد  
بالحره والرأى السديد  
مثل الكواكب في صعيد  
بمناب في عزم أكيد  
فكأننا في يوم عيد  
يسير في عزم الأسود  
أرض الجزيرة في سعود  
تجمعوا من كل يد  
قتلك شنة العبيد  
يسير نبت الجديد  
صف ويهتف بالشيد  
دعائم المجد المشيد  
وسعوا لتوحيد الجهود  
وأرقوا عين الحسود

## نداء الجيل

هَذَا نداء الجيل	المجد للوطن
إلى الملا دلي	يبقى على الزمن
والمجد للوطن	المجد للوطن
تنبيه بالغداء	المجد للوطن
من أغفل النداء	لا كان من قى
والمجد للوطن	بذلك لفناء
آماننا البعيدة	ندى بالانحلاف
في الجنى والمقيد	لا تعرف الخلاف
والمجد للوطن	قال بن لاله
الحب والقطيعة	في صالح البلاد
والمادة الوضيعة	لا فى موى الأفراد
والمجد للوطن	على الهوى العفاء
يا موضع الأمل	حيث يا شباب
فاحموه بالعمل	أنتم أسود الغاب
والمجد للوطن	وابنو الغد المهاب
بالعلم بالفنون	احموه بالكفاح
والتأمل المغبون	وانقذوا القلائد
المجد للوطن	فتحن للجهاد

تركوا وراء ظهورهم ما شئت من ذكر حميد

يا نظرة عرضت فحالت  
في الجدول الرقراق  
تمشى وتحمل جرة  
ومضت تضاحك تربها  
نظرت فلما أن رأت  
صدت وأخفت وجهها  
ورأت حمارى ظالماً  
يا بنت عشرين ارحمى  
والله لسو ابصرتنى  
لرأيت ليثاً أغلباً  
لكنهما الأيام تبث  
هى كالفوانى فى قلبها  
ان كنت يا حناء أزمعت  
فأبسوك لم يمنع قيراه  
ايام (شبرا) و (الطليح)  
قد كنت فى عمر الزمان

بين جفنى والمجدود  
ما بين الحمائل والورود  
تلهو وتعبث بالنهود  
فتبين عن عذب برود  
شيخاً تقدم من بعيد  
ولوت بسالفة وجيد  
أعيا من المشى الوئيد  
نضو السنين ولا تزيدى  
لما استوى واخضر عودى  
يخال فى أبهى البرود  
بالفتى عبث الوليد  
وفى نفس المهود  
القيراق على صلود  
ولا أقام على الجحود  
على الجفا بالله عودى  
بداية المهدي السعيد

قل للفتى (البنات) علوت  
لك فى جلودك أسوة  
حتى الجزيرة بالسلام

على المناظر والنديد  
والفرع ينمى للجود  
وخص أهلك بالمزيد



محمد احمد عجوب

## شاعر

لا تَلُمْنَهُ فَمَا تَعُودَ صَنّاً  
شاعراً فَجَرَ الرِّياضِ غناء  
سارَ في مَهْمَةٍ الحِياةِ مُجْداً  
بِاسْطِ كَفِّهِ لَغَيْرِ سَؤال  
عَبْدَ الحَسَنِ والشَّبابِ سَخى  
عاشَ للحُبِّ دَهْرَهُ وشِجاءَهُ  
فَرَحَهُ النَّاسِ ،، أَغْنِياتُ يَفِيهِ  
يَعْصِرُ البُوجْدُ قَلْبَهُ وَغَناءَهُ  
وبِكاءَ الحَزِينِ يُلْهِمُهُ اللّٰحْنَ  
أَرْهَفَ الدَّهْرُ حَسَّهُ وَسَقاهُ  
فَهُوَ مِثْلُ الطَّيْرِ بِشَدِّ طَلِيقاً  
لا يَطِيقُ البَقَاءَ فِي الظُّلْمِ حُرّاً  
عَنْدَلِيبُ الرِّياضِ إِمّا تَغْنَى  
مَدْرَجُ الحُبِّ والصِّبَا والأَماني  
وَطُروبُ الغناءِ أَضْحَى نَواحاً  
يا نَجْمَ القُلُوبِ حَبِيبُكَ مَهْماً

أَوْ تَوَارَى عَنِ العِيونِ ازْوَاراً  
وَالرَّوایِ اُثَّارَهُنَّ وَثَّاراً  
فِي ظِلَامِ الوجودِ يَهْدِي الحِيارِی  
بِلِمْسَحِ الدَّمْعِ تَهْمِي غِزاراً  
فِي نَصِيرِ الرُّبَى وَجَدَّ الصَّحارى  
هَزَجُ الطَّيْرِ فِي الغُصُونِ تَبارى  
عَلَّمَ الوُرُقَ شَدَّوْها وَهَزَّاراً  
كَشَّهَى المُنَى وَحُلُمَ العَذارى  
شَجِياً فَيَحْزَنُ الأَوْتاراً  
مِنْ دَنانِ الوجودِ خَمراً وَناراً  
وَيَعْفُ القَيودَ بِأَبَى الإِسْارِ  
عَبْقَرِیٌّ وَلَا يَطِيقُ لِنَكْسارِ  
وَجْفاءُ الصَّحابِ أَكْدى وَطارِ  
أَنْكَرَ العِيشِ عِنْدَهُ وَالْجِوارِ  
زادَهُ البَعْدَ حُرْقَةً وَاوارِ  
لا يَطِيبُ الغِناءُ الا جِهاراً

## الصوفي المعذب

.. هذه الزهرة كم نحمد  
فِيْهَا لَهَا وَامْتَزَجَ فِي  
وَانْطَلَقَ فِي جَوْهَا الْمَلُوءِ  
وَتَنَقَّلَ بَيْنَ كُبْرَى  
تَرَكُلُ الْكَوْنِ لَا يَفْتَدِ  
لُ فِي الْعَالَمِ سِرّاً  
ذَاتِهَا عُنُقاً وَخُوراً  
إِيمَاناً وَبِرّاً  
فِي الْفَرَارِيِّ وَصَفَرِي  
رُتَيْباً وَذِكْراً

• • •

وَانْتَشَى الزهرة، والزهرة  
نَدَيْتْ وَاسْتَوْتَفَتَ فِي الْأُ  
وَتَعَرَّتْ عَنْ طَوِيرِ  
سَلْ هَزَارَ الْحَقْلِ مِنْ أَنْبِ  
وَسَلِ الْوُرْدَةِ مِنْ أَوْ  
تَنْظُرُ الرُّوحَ وَتَسْمَعُ  
كَمْ تَحْمِلُ عِطْراً  
رَضِ أَمْرَاقاً وَجِلْراً  
خَضِيلَ يَفْتَقُ نَقِيراً  
نَهْ وَرْدًا وَزَهْراً  
دَعَا طَيْباً وَنَشْراً  
بَيْنَ أَعْمَاقِكَ أَمْرًا

• • •

الوجودُ الحقُّ ما أَوْ  
وَالْكَوْنُ الْمُحَضُّ ما أَوْ  
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ يَمْشِي  
هَذِهِ النَّمْلَةُ فِي رَقْدِ  
هُوَ يَجِيءُ فِي حَوَاشِيهَا  
وَهُيَ إِنْ أَسْلَمَتِ الرُّوحَ  
لَمْ تَمُتْ فِيهَا حَيَاةُ اللَّهِ  
سَعِ فِي النَّفْسِ مَدَاهُ  
ثِقُ بِالرُّوحِ عَمْرَاهُ  
فِي حَنَائِيهِ الْإِلَهِ  
هَهَا رَجْعُ صَدَاهُ  
وَنَحْيَا فِي قَرَاهُ  
نَلْقَتْهَا بِسَدَاهُ  
إِنْ كُنْتَ تَرَاهُ

من العالم همه  
واستبطن حبه  
أسمع جرنه  
د واستقبل عرته  
أشهد خرسه  
لا يقدر نفسه  
ومن ثورك أنسه

أنا وحدي كنت استجلب  
أسمع الخطرة في الدر  
واضطراب السر في خفته  
وأرى عيده فتى الور  
وأفعل الكرم في ففته  
رب سبائك إن الكون  
صفت من تارك جنبه

• • •

لى على طينة آدم  
ب وفي العينة عالم  
وأرواح تحسوم  
وآمنت وآمن  
ب وآذنت وآذن  
ربل الخطو الى من ؟

رب في الاشراف الا  
أمم ترخر في الغي  
ونفوس ترحم الماء  
سبح الخلق وسبح  
وتسللت من الغي  
ومشى الدهر دراكا

• • •

رى وفي مظهر ذاتك  
من بعض صفاتك  
أح من فيض حياتك  
وأسمى سبائكك  
ذاكدا عن حرمانك  
بها في صكواتك

في تجلياتك الكبير  
والجلال الأخير الفيض  
والحنان المشرق الوض  
والكمال الاعظم الأعلى  
قد تعبدت لك زلفي  
فتببت نفسي وافرغت

• • •

خلوصي وصفائي  
ت أرى ما أنا راه

ثم ماذا جد من بعد  
أظلمت روعي . . . ما عد

أيهذا العنبر الفا  
للعنايا السودِ أما  
آه يا موتَ جنونِي آه  
قف تزود أيها الجبن  
واقترِب ان فؤا  
يَمُ في صحو سَمَائِي  
لِي وللموتِ رجائِي  
يا يومَ قضائِي  
أر من زادي وما لي  
دي مثقل بالرحاء

• • •

يا نعيماً مُشرقَ الصفحةِ  
نضرت في قربه نفسي  
فمشت غائلة الش  
قصت اللذة فاسترجع  
واسترد النعمة الكُبرى  
من تر استأثر باللذة  
أذني . . لا يفلد اليو  
نظري . . يقصر عن كل  
غاب عن نفسي اشرا  
واستحال الماء فاستحم  
رجع اللحى إلى أو  
واختفى بين ظلام الم

بُسا قَط دُونِي  
وزابت غُصُونِي  
كُ ، إلى فجرِ بَقِيْنِي  
هالِمَح ظَنُونِي  
من الدهرِ حِينِي  
واستبقى جُونِي ؟  
م بها غير العَوِيل  
دَقِيقِ وجَلِيل  
قُك والفجرُ الجَمِيل  
جر في كل مَسِيل  
تأري بعدَ قَلِيل  
زهرِ الكلِّ العَلِيل

## الخلوة

( من صور الصبا )

هَبْ مِنْ نَوْمِهِ يَدْغِدُ عَيْنَيْهِ  
ساخِطاً يَلْعَنُ السَّمَاءَ وَمَا فِي الْأَ  
خْفِيقَتِ نَفْسُهُ وَضَاقَتْ بِهِ الْحَيَاةُ  
وَاهَابَتْ بِهِ الظَّلَالُ وَقَدْ نَشِ  
طَوَّقَتْ فِي خَيَالِهِ ذِكْرِيَّاتُ الرَّ  
وَمَشَى بَارِئاً يَدْفَعُ رَجْلَيْهِ  
ضَمَخَتْ ثَوْبَهُ الدَّوَاةُ وَرَوَتْ  
ثَوْرَةً صَوَّرَتْ خَوَافِيَّ مَا بَيْنَ

• • •

وَرَمَى نَظْرَةً إِلَى شَيْخِيهِ الْجَبَا  
نَظْرَةً فَسَرَتْ مَنَازِعَ عَيْنَيْهِ  
حَبِذَا « خَلْوَةٌ » الصَّبِيِّ وَمَرَّحَى  
رُبَّ يَوْمٍ أَغْرَى زَهْوُ بَدْرِيٍّ  
وِظْلَالٍ مِنَ الضُّحَى ظَفَرَتْ مِنْ

• • •

زَاهِرَاتُ شَتَى مُتَوَعَّةُ الْأَلْوَانِ  
مَتَعَتْ شَمْسَهَا فَعَاوَدَهَا أَلْفُ  
وَنَفُوسٌ سَجَى الْكَرَى فِي حَوَا  
فَارْجَحَتْ مَهْوَماً وَمَا

مِنْ سَوْمَنِ الرَّبِّيِّ وَالْإِقَاتِحِيِّ  
هَوًى يَسْتَقِيدُهَا لِلْمِرَاحِ  
شَبَاهَا وَدَبَّ الْفَتُورُ فِي الْأُرُوحِ  
تَبَرَّحَ مَرْكُوزَةً عَلَى ( الْأُلُوحِ )

فوقهها عالماً ندَى الجناح  
مُرزماً صاخباً قوَى الصباح  
ء . وعادت وعاد قصف الرياح

كلما لفتها العاسُ وأخفتي  
قصف الرعدُ في المكان ودوى  
فاستفاقت وهيمنت بمض اشيا

• • •

ةُ بأحلامه وضوء الصباح  
ها وتفتّر عن سنا وضاح

صورٌ للصبا الأغر موشا  
يدفقُ البشر من مفاتين دنيا

## أم بادر

أى حظ رزقه في الكمال  
فتناهي إليك كل جميل  
فكان الحصباء فيك كرات  
وتعالت هضابك المشرئبا  
فأدتي نحو من كل كتيب  
طالما فيأت حواشيك غابا  
ينفذ النور نحوها فيوافي  
ما أخوها الجري بأمن عبقبا  
بين أطرافها مخاوف أدنا  
فاذا عادها الحريف وافضى  
فهي حسناء تزدهيها المراكبا  
قد تحاشي ظلالها السقر لما  
وتشبهت ثواقب النور ملكه  
بينما جرت الثعابين أجسا  
وأرنت طيورهما بين مطيا  
كم لو أدي الوكيل عندي ذك  
وفتاة لقيتها ثم تجنني  
تمنح الفصن أسفلى قدميها  
فيظل النهدان في خفقان  
شاقني صوتها المديد تنادي

واحتوى سره ضمير الرمال  
قد تناهى إليه كل جمال  
قد طلائها بناصع اللون طال  
ت إلى مورد السحاب الثقال  
قد تبارى مع الصفا في المقال  
ت تديق النهار بأس الليالي  
من رقيق الظلام في سريال  
ها وإن كان صائد الرئبال  
هن بعد الهدى وقرب الضلال  
في العشيات بالدموع التوالى  
ذات صدر موقوف التوشى حال  
أطرفت للمياه والأوحال  
بين أحضان مائها السلسال  
دأ لها في الجدوع جر الجبال  
فيها أو مسبح في الأعالي  
رى زادها جدة مرور الليالي  
ثمر السنت في انفراد الغزال  
ويدها في صدر آخر عال  
موج والكشح مفترطاً في الهزال  
والعصافير ذاهب الآمال

فتغشيتها وفيها ابتسامٌ  
 أي أنس أناحه ذلك البو  
 فجزى الكاهلية الحب عني  
 يا دياراً إذا حنت إليهما  
 لست أنساك والبروق مجاوبه  
 وكان السحاب ضاق به الج  
 يتنادى كأن كل هزيم  
 حين زف الهجين بي طرباً  
 وليعني في القضاء شرود  
 أستشف الجبال في ظلل الغ  
 وأشتم العير من كل واد  
 والمها رنح شوارد الحاظ  
 إن تكن يا سحاب بثلث أنا  
 فلقد كنت منقذي وبشير  
 يا متاعاً لدى الطبيعة ألقا  
 ما أنا والربوع كابدت فيها  
 كل أبوابها طوارق هم  
 لم أجِدْ عالم السعادة حتى عظمت مُنبِئِي فحقَّت رحالي

يحمل الخمر في كؤوس لآلى  
 م وأي الحيواء فيه صفالى  
 ما جزئني عن جرأتى واتصالي  
 فحنين السجين للترحال  
 ن وروح النهار في اضمحلال  
 وفأنحى على بالإقبال . . . .  
 صائح بالمسافرين عجال  
 ينفي حصي البید عن يد مرقال  
 لم يقف دون شاهیقات الجبال  
 یم رفاق الحلى كثاف الحلال  
 حالم بالنعيم تحت السیال  
 أمین صید صائد لا تبالی؟  
 بی سخياً بدمعك الهطال  
 ی من جراح الحیاة بالأبلال  
 ه فأنسى متاعی فی ارتحالی  
 ظمأ الروح وافتقار الحیال  
 یثن دون الرجاج والأفقال  
 حتی عظمت مُنبِئِي فحقَّت رحالي



## القوقعة الفارغة

وقفتُ على سيفِ البحرِ الأحمرِ  
الموجُ أزرقُ ، الموجُ أخضرُ  
الموجُ أصفرُ . . الموجُ أغبرُ  
عيني هناك في الأفق  
الموجُ هناك جامدُ  
الموجُ حائطٌ مهدَّمٌ في صحراءِ  
أحاطت به أمواجُ الرمالِ وجمدتْ عليه  
ودارَ رأسي ، . الموجُ الموجُ الموجُ

• • •

ورجعتُ بي عيني  
وألقيت تحت قدميَّ قوقعةً فارغةً  
لقد كانت في أعماقِ هذا البحرِ المائجِ  
ومن حركته في الأعماقِ اتخذتْ شكلها  
واتخذت حياتها ثم دبَّتْ تجري على السيفِ  
ثم فقدتْ حركتها وبقي الإطارُ  
عيني هناك في الأفق  
الموجُ هناك جامدُ  
الموجُ حائطٌ مهدَّمٌ في صحراءِ  
أحاطت به أمواجُ الرمالِ وجمدتْ عليه  
أنا ساكن وفي سكوني نَحْوُ مُتَعَبٍ  
وذكرى غامضة

حَيَاتِي مَلِيئَةً بِالْفَوَاقِعِ الْفَارِغَةِ  
وَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ دَفَنْتُ قَوَاقِعَ فَارِغَةٍ  
لَقَدْ اتَّخَذْتُ شَكْلَهَا وَحَيَاتَهَا مِنْ حَيَاتِي  
هِيَ الْآنَ سَاكِنَةٌ تَحْتَ التُّرَابِ  
هَنَّاكَ فِي الْقُبُورِ الْمَمْتَدَةِ عِبرَ الْأُفُقِ  
مَوْجُ الْبَحْرِ جَامِدٌ عَلَى الْأُفُقِ الْبَعِيدِ  
أَنَا قَوَاقِعُ فَارِغَةٍ  
وَقَبْرِى هُنَاكَ

• • •  
بِلَادِي لَا تَدْرِكُ مَا يَدْرِكُهُ الشُّعْرَاءُ  
فِي زَحْمَةِ الْحَيَاةِ رَأَيْتُ قَوَاقِعَ فَسَارِغَةٍ  
يَخْرُجُ مِنْ حَوْفِهَا الْخَيَاوَى كَلَامٌ غَيْرُ مَفْهُومٍ  
النَّاسُ أَمْوَاجُ  
خَشَعُوا حَوْلَهَا يُعْجِبُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ

• • •  
حَتَّى الشُّعْرُ ، كَانَ الشُّعْرُ خَمْرًا ، أَصْبَحَ لَا يَشْفَى  
تَذَكَّرْتُ شَاعِرًا عَرَبِيًّا قَتَبًا  
سَأَلَ نَفْسَهُ وَقَدْ الْأَلَمُ حَسَهُ  
إِذَا طَلَبْتُ كَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ  
وَجَدْتُهَا وَجِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ  
أَصْخَرَةٌ أَنَا  
وَهَلْ أَبْصَرَ أَعْمَى الْمَعْرَمِ

## سير ٥ \*

البُنَيَّاتُ فِي ضَرَامِ الدَّلَالِيكَ تَسْتَرْنَ فِتْنَةً وَانْبَهَارًا •  
مَنْ عَمُونَ تَلَقَّتْ الْكَحْلُ فِيهِنَّ وَأَصْفَى هُنَيْهَةً ثُمَّ طَارَا

نَحْنُ جُنْنَا إِلَيْكَ يَا أُمُّهَا اللَّيْلَةُ بِالزَّيْنِ وَالْعَدِيلِ الْمُتَقَى  
نَحْنُ جُنْنَاكَ حَامِلِينَ جَرِيدَ النَّخْلِ فَأَلَّا عَلَى اخْضِرَارٍ وَرِزْقَا

الْعَذَارَى أَلْوَاهُنَّ الرِّقِيقَاتُ نَبَاتُ الظَّلَالِ شَفَّ وَحَسَارَا  
رَأْمُهُ الْخُدُورُ يَنْتَظِرُ الْمَوْسِمَ حَتَّى يَشْعَ نُورًا وَنَارَا •  
يَنْبَرِي الطَّبْلُ يُنْقَضُ الْمَرْجُ الْقَيْتَانُ طَيْرًا تَقَرُّقًا وَاشْتِجَارَا  
مَوْكِبٌ مِنْ مَوَاكِبِ الْفَرَحِ الْمُخْتَالِ عَصْرًا فِي شَاطِئِ النَّيْلِ سَارَا  
الْجَمَالُ الْغَرِيرُ يُسْفَرُ غَفْلَانٍ فَلَمَّ نَسَسَ فِي الزَّحَامِ الْجَوَارَا  
وَالْعَبِيرُ الْخَنُونُ هَلَلٌ فِي صَدْرِي طَيْفًا مُوَصِّلًا وَاعْتَذَارَا  
نَحْنُ جُنْنَا إِلَيْكَ يَا أُمُّهَا اللَّيْلَةُ بِالزَّيْنِ وَالْعَدِيلِ الْمُتَقَى  
نَحْنُ جُنْنَاكَ حَامِلِينَ جَرِيدَ النَّخْلِ فَأَلَّا عَلَى اخْضِرَارٍ وَرِزْقَا

وَمَشَى بِالْبُخُورِ مَنْ جَعَلَ الْخِدْمَةَ فِي الْحَيِّ تَخْوَةً وَابْتِدَارَا  
حَافِيًا مُسْرِعَ الْخَطَى بِاسْمِ النُّجْدَةِ حَيًّا حَفَاوَةً وَابْتِشَارَا  
وَعِجْوزٍ تَحْمَسَتْ حَشْدَتْ شَعْرًا تَعَالَى حِمَاسَةً وَافْتِخَارَا  
قَلْبَتْ صَوْتَهَا تَأْمَلُ أَمْجَادًا قُدَامِي فَرَّقَ حِينًا وَثَارَا  
رَفَعَتْ فَوْقَ مَنَكِبٍ طَبَلَهَا الصَّيْدَحَ نَحْتِ الْأَكْفِ خَفَقَا

• السيرة : مسيرة غنائية تكون من بيت العريس الى بيت العروس .  
• الدلاليك : جمع ( دلوكه ) وهي طبل يصاحب غناء السيرة ويؤتى الأهراس

يَتَغَنَّى لِأَنْفُسٍ إِنْ تَشَهَّيْنَ طَلِبْنَ الْحَلَالَ قَسَمًا وَحَقًّا  
وَتَشِيلُ الْبَنَاتُ صَفْقًا مَعَ الطَّبْلِ وَرَمَقًا مِنَ الْعَيُونِ وَرَشْقًا  
وَعِزَالٍ مُشَاغِبٍ أَصْلَحَ الْهَيْدَمَ أَرَانِي فِي غَفْلَةِ النَّاسِ طَوْقًا

تَتَصَدَّى حَمَامَةٌ كَشَفَّتْ رَأْسًا وَزَافَتْ بِصَدْرِهَا مُسْتَهْطَارًا  
شَلَخُوَهَا حَتَّى تُضَيَّءَ فَأَضْمَرْتُ حَنَانًا لِأُمِّهَا وَاعْتَدَارًا  
وَطَنِي كَمْ بَكَيْتُ فِيكَ وَخَانُوكَ وَصَدَقْتَ دِينَهُمْ وَالْذَمَّارَا  
نَحْنُ جُنُنًا إِلَيْكَ يَا أُمُّهَا اللَّيْلَةُ بِالْبَحْرِ وَالْعَرِيسُ الْمُنْقَسَى

حَجَبُوهَا وَلَيْتُوا الْعَيْشَ مَا كَانَ حِجَابُ الْكَتَيْنِ قَيْدًا وَرَقًا  
هِيَ سِتُّ الْبَنَاتِ سِتُّ أَيْهَا كَرَمًا يَحْفَظُ الْجَوَارَ وَصَدُوقًا  
وَجَلُوهَا فَرِيدَةٌ جَفَلُ الْغَوَاصُ عَنْ بَحْرِهَا خِطَارًا وَعُمُقًا  
وَهَوَى عَاشِقٍ وَطَارَ وَأَهْوَى السُّوْطُ رَعْدًا بِمُنْكَبَيْهِ وَبَرْقًا  
يَتَحَدَّى عَقُوبَةَ الصَّبْرِ فَالْحَرَمَانُ أُمْسَى مِنَ السَّيَاطِ أَشَقًّا  
مُهْرَةً حَرَّةً وَتَنْتَظِرُ الْفَارِسَ يَحْمِي حَرِيمَهَا وَالذَّمَّارَا  
وَأَنَاهُ الْعَبِيرُ مِنْ خَمَلِ الشَّبَالِ حَيَاهُ جَهْرَةً لَا مَرَارَا  
مَوْعِدٌ لَا لِقَاءَ فِيهِ وَتَجَاوُجٌ تَوَلَّتْ عَفَاقَةً وَانْتَصَارَا  
وَبَنَانٌ تَوَضَّحَتْ وَطَوَاهَا الثُّوبُ حَيًّا بِسَمَةِ تَتَوَارَى  
نَفَضَتْ عَنْ سِوَارِهَا بَصْرَى يَسْعَى إِلَيْهَا فَمَا تُحِبُّ الْحَوَارَا  
لَهْفَ نَفْسٍ عَلَى صَبَاىِ الَّذِي كَانَ وَمَا فِيهِ مِنْ لَعَابِ الْعَدَاىِ  
مَنْ عَذِيرَى مِنْ غُرْبَةٍ أَخَذَتْ رُوحِي وَالْقَتَّ عَلَى وَجْهِهَا مُعَارَا

مَا سَمَعْتَنِي عَلَى الظَّمَا شَقَّةً خَضِرَاءُ أَحْلَى مِنَ الزُّلَّالِ وَأَنْغَى  
كَشَفْتَ وَجْهَهَا وَزَيَّنْتَهَا الْحُسْنَى وَكَمْ أَشْتَهَى وَكَمْ تَتَوَقَّى  
غَسَلْتُ مُهْجَتِي بِطَهْرِ مَجَاجِيهَا فَلَمْ تَرْضَ أَنْ نَهْوَنَ وَنَشْقَى  
سِنَّةَ الْعَشْقِ فِي بِلَادِي كَتَمَانٍ وَبُقْيَا عَلَى الْمَحْسَارِمِ وَنُفَى

وافترقنا على حنانٍ نواسيه وكانَ الفراقُ جُداً ورفقاً  
 أنا أهسواكِ يا بلادي ما واليستُ غرباً ولا تبدلتُ شرقاً  
 ما طموحُ الموظفين إلى الجاهِ طُمُوحى ، مع المساكين أبقي  
 آه من قريتي البريئة لا نعلمُ كم في مدينة التُّركِ أشقى  
 فنُدقُ لا جوارَ فيه ولا أرحامَ تنهى ولا معارفَ تبقي  
 وطواني الدُّجى هُناك ومصباحي عَمى في صخرة الليل يرقى  
 أشتهى الدُّلكة العميقة والكرَّكارَ والقرميصَ مَاج ورقاً •  
 وبعيني قوافلُ النخلِ والنيلُ حدَّاهما تجبىءُ وسقاً فوسقاً  
 برَدَت جرتي وذَا القَرعُ المنقوشُ يسقى حلاوة النيل طليقاً

---

• الدلكة دهان طيب الرائحة تدلك به البشرة والكركار دهان يجعل حل الشعر فيزدهى به  
 ويطلبه . والقرميص ثوب متعدد الألوان ناعم .

## الكاس التي تحطمت

(ابريل ١٩٤٦)

أَتُرَى قَدْ كُرِّمَ لَمَّا أَنْ دَخَلْنَا الْفُنْدُقَ الشَّامِيخَ (١)  
 ذَاكَ الْفُنْدُقَ الشَّامِيخَ فِي لَيْسَدَرَ  
 ذَاكَ الرَّحْبَ ذَاكَ الصَّاحِبَ الصَّامِتَ  
 ذَاكَ الْهَائِلَ الْمُرْعِبَ إِذْ كُنَّا مَعَ  
 أَنْتِ وَالْيَانُوسِ وَالْأُخْرَى الَّتِي تَصْحَبُ الْيَانُوسَ  
 وَالْأَبْصَارَ تَرْمِينَا بِمَثَلِ الرِّشَقَاتِ  
 وَسَهَامًا حَائِقَاتِ (٢)  
 فَجَلَسْنَا فِي قَصَبِيٍّ ثُمَّ قُمْنَا وَجَلَسْنَا فِي قَرِيبِ  
 زَاخِرٍ بِالنُّورِ ضَاخِ  
 نَسَاقِي رَوْحِ الْيَنَاسِ وَرَاحِ  
 وَجَدَالِ جِدِّهِ كَانَ مِجَنًّا لِلْمُزَاحِ  
 وَالْمِرَاحِ  
 فَوَدَدْنَا لَوْ مَكَّنَّا هَكَذَا حَتَّى الصَّبَاحِ  
 لَا نَرَى الْحَافِظَ لَاحِ  
 قَدْ خَلَعْنَا حَذَرَ الْغُرْبَةِ إِلَّا هَجَسَاتِ  
 وَاضْطَرَابًا لَا بِسَاءَ ثُوبِ ثَبَاتِ  
 كَهَيَاةِ الْخَفَرَاتِ الْحَذَرَاتِ الْفَطْنَاتِ  
 لِمَحِ الشَّرِّ وَأَغْضَى النِّظَرَاتِ

(١) دخلنا الفندق هو الوجه . ولكن حذف الجار هنا للضرورة .

(٢) تنصب على اضممار فعل وان شئت خففت السهام .

وَمَضَى مُضْطَرَباً مُرْتَقِباً مُتَّخِذاً زَيْ ثِيَابَاتٍ  
 يَتَوَقَّى الثَّوْبَاتِ  
 ثُمَّ لَا أَنْسَى إِذِ الْكَأْسُ رَذُومٌ (١)  
 وَإِذَا الْجَمْعُ حَدِيثٌ وَرَيْنِ  
 وَإِذَا التَّبَعُ عَلَى النُّورِ دَجُونِ  
 وَإِذَا النَّاسُ جَلِيسٌ وَأَنْسَى وَنَدِيمِ  
 كَيْفَ خَرَّ الْكُوبُ ذَاكَ الْمَرَعُ الْمَلَأَنُ لِلْأَرْضِ وَمَلَا  
 وَهَوَى مِنْكَ مُنْقَطِراً  
 وَاكْتَسَى وَجْهَكَ بِالْدهْشَةِ لَوْناً وَاسْتَحَالَ (٢)  
 وَإِذَا الدُّنْيَا مَكُونِ  
 وَإِذَا الْعَمَتِ اللَّعِينِ  
 يَتَمَطَّى وَيَتَرِينِ  
 وَإِذَا الْإِبْوَابُ وَالْأَنْوَارُ وَالسَّقْفُ عَمِيونِ  
 وَحَسِبَ هَامِسٌ تَسْمَعُهُ الْجُدْرَانُ وَالشَّارِعُ وَالشَّرْطِيُّ  
 هَمْسٌ وَاسْتِيَاءُ  
 تَقَفَّضَ الْخَيْسَةُ مِنْهُ وَيُؤَارِيهِ الرِّبَاءُ  
 فَتَجَلَّدَتْ عَلَى الْكَرْسِيِّ حِيناً وَنَسِيَتْ الشَّعْرَ مُوزُوناً رَصِيناً  
 وَتَلَفَتْ إِلَى الْأَعْذَارِ مِنْهَا مَا يُوَاتِي  
 تَنْسُبُ الشَّرَّ إِلَى الْأَقْدَارِ فِي هَذِي الْحَيَاةِ  
 نَبَعَتْ فِلَسْفَةً مِنْكَ عَنِ الدَّهْرِ الْخُنُونِ  
 وَقَضَاءُ اللَّهِ إِذِ يَسِيْقُ أَوْهَامَ الظُّنُونِ  
 تَتَلَفَّى الْكُوبُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْكُوبُ تَحْطُمُ  
 وَتَهْتَمُ

(١) رذوم : ملأى تيل من جوانبها .

(٢) استحال : تغير .

وَهَوَى يَسْمَعُهُ سَتَفٌ وَبَاب  
 أَتَزَفُ الْعِلْمُ لِلْسَامِعِ فَالْسَامِعُ أَعْلَمُ  
 أَتُسَبِّحُ السَّخَطَ الزَّارِي لَا يُغْنِي السَّبَابُ  
 ذَهَبَتْ كَأَسْكَ كَالْوَهْمِ وَسَالَتْ  
 وَهَوَتْ فِي الْفَنَدَقِ الْعَامِرِ ذَاكَ الْفَنَدَقُ الشَّامِخُ  
 ذَاكَ الْمَرْعِبِ الْهَائِلِ ذَاكَ الْمَصَامِتِ الصَّاحِبِ  
 دَوَتْ فِيهِ صَالَتْ

جاءت

لَا تَشْتَمُ الْأَقْدَارُ لَا يَغْنِي السَّبَابُ  
 ذَهَبَتْ كَأَسْكَ كَالْوَهْمِ وَعَزَاكَ الصَّحَابُ  
 لَحْظَةً غَيْبَهَا مَاضِي الزَّمَانِ  
 أَنَا لَا أَذْكُرُهَا إِلَّا أَعْرَانِي  
 ضَحِكَ بِمَلَأَ حِسِّي وَكِيَانِي  
 أَفَلَا تَذْكُرُهَا ؟ ؟ ؟



## طريق سمرقند

حَبَدَا أَنْتِ وَالْجَيْنُ الْأَغَرُّ  
 قَدْ ذَكَرْنَاكَ يَا هِنَاةُ عَلَى الْبُعْ  
 وَوَجَدْنَا الْعِطْرَ الَّذِي عِنْدَ كَفِّ  
 مَا رَأَيْنَا سَيِّحَانِ إِلَّا مِنْ السَّجَّ  
 وَالْجَنَاحَانِ يَرْجِفَانِ مِنَ الثُّو  
 وَذَكَرْنَاكَ يَا هِنَاةُ بِتَشَقُّقِ  
 وَالسَّيَارِيَتِ دُونَ بَحْرِ خَوَارِزْ  
 وَرَأَيْنَا مَدَى مَدِينَةٍ تَشَقُّقِ  
 وَأَرَوْنَا مَا كَانَ قَدْ صَنَعَ الزَّكْ  
 وَالْقِيَانِ اللَّاتِي رَقَصْنَ طَوِيلًا  
 وَعَلَيْهِنَّ كَالْجَوَارِي مِنَ الصُّغْدِ  
 وَالضَّفِيرَاتِ قَدْ بَلَّغْنَ إِلَى الْأَكْ  
 وَالْخَطَا السَّاحِرَاتِ وَالْأَذْرُعَ الْجَزْ  
 وَالشُّغُورَ الْحَسَنَاتِ مِنْهُنَّ فِي بَحْ  
 وَأَمْرُ الْقَيْسِ مَا رَأَى مِثْلَهَا شَا  
 وَالسُّورِدُ الَّذِي عَلَيْهِ يَدْرُ  
 بِدِ الَّذِي دُونَهُ الرَّعَارِعُ قُرْ(١)  
 يَلُكُ وَكُنَّا لَكَ الْغَرَامُ نُسِرُّ  
 سَوْوَجِيحَانِ وَالْحَشَى مُفْشَعِرُ  
 لِأَذِ كَالرَّيْشِ وَالشَّبَابُ يَغْمُ  
 دِ وَذَكَرْنَاكَ يَا هِنَاةُ تَسْرُ(٢)  
 مَ إِلَى الصَّيْنِ سِرُّهَا مُسْتَسِيرُ(٣)  
 دِ وَفِيهَا الدُّخَانُ وَالْأَجْهَرُ  
 زَالَ فِيهَا وَغَيَّرْنَا يَغْتَرُ  
 تِ وَفِي رَفْرِفِ الْبَرَانِسِ غُرُ(٤)  
 الْعِمَامَاتِ وَالْقَلَانِسِ دُرُ  
 فَمَالَ وَالسُّوقِ وَالصُّدُورُ تَكُرُ  
 لَةِ وَالْخَزْ وَشَيْئُهُ مُسَبَّكُ(٥)  
 بِوُجْهِ الرَّقْصِ حَسَنَاتِ تَفْتَرُ(٦)  
 هَدَتْ مِنْهُنَّ حِينَ شَاقَّتَهُ هِرُ(٧)

- (١) قر بضم القاف : برد .
- (٢) من كبريات المدن وكان يقال لها شاش .
- (٣) السياريت : الصحاري .
- (٤) من قوله تعالى « رفرف خضر » رفرف هؤلاء برانسهن .
- (٥) أما تسبكر الأجسام كاسبكرار فتاة امرئ القيس . والحز الحرير فزخرفته سبب اسبكرارها هو اسبكرار الجسم الشاب فيها .
- (٦) أي يا حسنها أو أذكر حسن ما تفتخر بزيادة ما .
- (٧) هر صاحبة امرئ القيس ، معروقة .

وعظامُ الخلودِ مِنْهُنَّ بَرَزَا  
وَالَّتِي أَشْبَهَتْكَ جَيْدَاءُ فَرَعَا  
وَلَهَا خَنْجَرَانِ فِي مَقْلَتَيْهَا  
طَالَمَا قَدْ صَبَرَتْ يَا أَيُّهَا الشَّامُ  
وَرَأَيْنَا الرُّمَانَ فَالْكَهْمَةُ الْجَنَّةُ  
وَحَضَرْنَا الْمُنَاقَشَاتِ الَّتِي طَا  
وَسْتَمْنَا مِنَ الْغَبَاوَةِ مِنْ قَبْلِ  
وَحَثَوْنَا التُّرَابَ فِي أَوْجُهُ الْأَوَّ  
وَادَّ كَرْنَاكَ يَا هِنَاةُ اذْكَارَا  
وَأَعَدَّ الْقَطَارُ بَيْنَ الطَّرَايِدِ  
وَالظَّلَامِ الَّذِي أَطْلَعَ عَلَى الْقَفَا  
وَالْغُبَارِ الَّذِي لَهُ وَحْشَةُ الْخَا  
وَشُخُوصِ الطَّغَامِ فِي عَرَبَاتِ الدَّ  
وَالْقُلُوصِ الَّتِي تَحِينُ مَعَ الشَّامِ  
حَبَدَا أَنْتِ يَا هِنَاةُ وَعَيْنَا  
وَوَدِدْنَاكَ وَالْوِدَادَةُ مِنْ أَعْطِيَةِ  
وَحَقِظْنَا هَوَاكَ فِي شُعْبِ الْقَلْبِ بِبِ  
تِ مِنَ الْحَاجِبَيْنِ وَاللَّوْنُ حُرُ  
رَدَّ آخِ هِرْ كَوَلَّةُ هَيْدَكُرُ (١)  
تَشْرَعَانِ الْقِتَالِ وَالْحُسْنُ شُرُ (٢)  
عِيرُ وَالصَّبْرُ لَوْ شَقَاكَ مَقَرُّ  
ةِ وَالضَّيْفُ قَانِعٌ مُعْتَمِرُ  
لَتْ وَمِنْهَا الْمَكْرَرُ الْمُضْطَرُ  
سَلْ وَمِنْ بَعْدُ وَالنَّفَاقُ يُضِرُّ  
غَادَ لَسْنَا عَنِ الْقِتَالِ نَقَرُ  
تِ وَلِلْهَمِّ عَسْكَرُ مَكْفَهَرُ (٣)  
لِ وَقَرَّتْ وَالضَّيْمُ لَسَتْ أَقَرُ (٤)  
رِ إِلَى النِّيلِ لَيْلَهُ مُسْتَمِرُّ  
طِيرُ تَزْدَادُ هَبْوُهُ مُسْتَحَرُّ  
وَمِ حَتَّى يَهْنَ ضَاقَ الْمَمَرُ (٥)  
عِيرُ قَدْ بَانَ رَوْضُهَا الْمُخْضَرُ (٦)  
كَ رَعْمَانِ وَالْمَحَبَّةُ بِسَرُ  
اللَّهِ وَالرَّمَادُ بُسْذَرُ  
بِ التِّي عَنْ سِوَاهُ لَيْسَتْ تُقَرُّ (٧)

- (١) المركولة الحسنة الجسم مع تمام والميدكر التي تتبختر .
- (٢) تشرعان أى المقلتان وك « يشرعان » ترد الضمير الى الخنجرين .
- (٣) مظلم .
- (٤) الطراييل هى أهرام جهة الجبل الرواية وهى مروي القديمة قيل بنيت فيما بين ٣٥٠-٢٥٠ قبل الميلاد ، وعندى أن هذا باطل أو كانه ، وذلك أنها أهرام كبيرات ينبغى أن قد كانت ضاربة فى القدم ثم نظام صناعتها مختلف من نظام أهرام مصر والله أعلم . وقرى بفتح فراء مكسورة مشددة بناحية شلا لى السلوقه .
- (٥) كانت عربات النوم الخاصة الخاصة .
- (٦) القلوص : الناقة الشابة .
- (٧) ليست تكشف وتختبر .

وَذَكَرْنَاكَ فِي سَبَاسِيبٍ تَكَرَّرُ  
 وَالْفَتَاةُ الشَّقَرَاءُ ذَاتُ حَمَامَا  
 وَذَكَرْنَاكَ فِي خَرَائِبِ سَامِرَا  
 وَذَكَرْنَاكَ عِنْدَ فُنْدُقِ بَيْسَرُو  
 وَذَكَرْنَاكَ بَعْدَهَا بِسَمَرْقَنْدَ  
 وَذَكَرْنَاكَ فِي الْفُطَارِ الَّذِي أَسَا  
 وَالْيَبَابُ الْبَعِيدُ مَنَزِلَةُ السَّاءِ  
 وَرَأَيْنَا الْفُطُنَ الَّذِي فِي السَّرَايَا  
 وَرَأَيْنَا النَّهْرَ الَّذِي صَنَعَ الْمَاءِ  
 وَاللَّيَالِي يَخْبَانُ بَعْدَ الْأَعَاجِي  
 وَالتَّلَالُ الْيَعَادُ أَذَكَرْنَاكَ النَّبِيَّ  
 وَاخْضِرَّارُ كَرِيفٍ مَضَرٍ وَقَلَا  
 وَعَلَى الْكُونِ مِنْ طُمَأْنِينَةِ الْفَجْرِ  
 وَالْبُيُوتِ النَّتَّى مِنَ الطَّيْنِ أَشْبَهُ  
 وَشَجَّتْكَ الْمَنَاطِرُ الْأَرْبَكِيَا  
 وَوَجُوهُ الشُّيُوخِ تَحْتَ الْعِمَامَا  
 وَتَلَقَيْنَا النِّسَاءَ يُغْنِيَا  
 وَالْمَقُولَى حِينَمَا نَفَخَ الْبُورُ  
 وَالْمَنَارَاتُ فِي سَمَرْقَنْدَ أَحْزَنَ

- (١) تَكَرَّرَ بِلَا دِ نِجِيرِيَا وَالتَّوَرَا ضَرْبٌ مِنَ الدُّوْحِ الْعَظَامِ هُنَاكَ .  
 (٢) سَاقُ حُرٍّ حِكَايَةُ صَوْتِ الْحَمَامِ وَلَا يُضَافُ ضَرْبُهُ لِأَزْمٍ بَلْ لَكَ الْفَصْلُ حِكَايَةُ -  
 قَالَ الْآخَرُ :

تَنَادَى سَاقُ حُرٍّ وَظَلَّتْ أَدْعُو تَلِيدًا لَا تَبِينُ بِهِ الْكَلَامَا  
 فَغَضِبَ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّهَا إِضَافَةٌ وَمَنْعَ حُرْفٍ لَا غَيْرَ ثُمَّ قَوْلُهُ لَا تَبِينُ بِهِ الْكَلَامَا  
 نَصٌّ فِي الَّذِي لَذَهَبَ إِلَيْهِ .  
 (٣) يَتَرُ : يَرْجُحُ عَنْ مَوْضِعِهِ .  
 (٤) مَرَّ بِالْمَبْنَى لِلْمَجْهُولِ ، أَيْ قَوَى ، تَقُولُ أَمَرْتُ الْحَبْلَ فَهُوَ مَرَّ .

وَعَقَّتْ أَرْبَعُ الْبُرُوجِ مِنَ النَّسَمِ      جَدَّ وَالرَّسْمِ مِنْهُ كَادَ يَتَخَرُّ  
 وَقَدِيمًا كَانَتْ تُنْصَحُ لَهُ الْعِيْدُ      سَاسُ وَكَانَتْ بِنَاؤُهَا مُشْمَخِرُ (١)  
 وَعَلَى الرَّمْلِ مِنْ بَخَائِيٍّ أَهْلُ النَّهْرِ رَكِبَ إِلَى الْحِجَازِ اسْتَطَرُّوا (٢)  
 يَا خَلِيلِي عَلَّلَانِي بِكَأْسِ      تَطْرُدُ الْهَمَّ فَالطَّوَاغِيْتُ سُرُّوا  
 إِنَّ ذَاتَ الدَّحْبِينَ وَالْحَاجِبِ الصَّدَّاتِ لَهَا بِالْجَمَالِ طَرْفٌ طَمَرُ (٣)  
 وَلَهَا فِي فُؤَادِكَ الْخُلْدُ وَالْكَوْ      ثَرٌ وَالسَّلْسِيلُ وَالْعَبَقُورُ (٤)  
 حَبْدًا أَنْتَ وَأَسْلَمِي وَتَبَارَكِ      تِ وَبُورِ كَتَّ وَالْهَوَى لَكَ غَرُّ  
 وَالْقَنَادِيلُ فِي مُحِيطَاكِ وَالْفِتْنَةُ      عَيْنَاكِ وَالرَّمَاحُ تَجْجُرُ

- 
- (١) بناؤها مشمخر مبتدأ وخبر .  
 (٢) استمروا في سير مثلث مستقيم ، قال الهذلي :  
 ومن سيرها المنق المسطر والمعجرفية بعد الكسلا ل  
 (٣) الطرف بكسر الطاء وسكون الراء الحصان الجيد والطمر بكسر تين أو كسرة ففتحة ، الذي  
 يحسن الوثوب من الخيل .  
 (٤) هذا من قول المرار :
- بين تبراك فشى عبقر

محمد محمد علي

## من اساطيرنا - ابن السري

لم تبل الأرض قطره  
لا ،  
ولا تضيّعت في خيال الناس زهرة  
حيثما وليت وجهك  
لم تجد غير الجفاف والشحوب  
والعيون الغائرات  
والأكف اليابسات والعظام  
عشرة أعوام  
معروقة قد سلخت من عمر أهلنا  
لم يسق مما يأكل الأنعام  
سوى العظام والجلود والخطب  
وحفنة من ذرة أفضل من بيت ذهب

• • •

وفي مدينة النحاس  
حيث الغنى  
حيث المتاع والأثاث والرياش  
والذهب اللامع مثل أكوام المقدس  
لم يجد الناس البدل  
فزلزلوا مما نزل  
وغادروا بيوتهم في الأرض سائحين

يشحذون ، ينهبون  
ويبذلون من نفوسهم ما قد غدا مصون  
لكن منهم من اغلقوا أبوابهم  
كرامة وعزة  
وغيرة فيلة على النساء والاطفال  
وعلى السراري



وفي مدينة النحاس قصر أبيض  
وربه أسر وضاح ، لحيته بيضاء  
كانت له سرار سبع وولد وحيد  
من السراري السبع  
ولده واحدة وتبناه الجميع  
كأنه الشمعة في ليل مشاعله البروق  
من ليالي الغيث في أرض الجنوب  
أغلق رب البيت باب يتيه  
وليس في الدار متاع تشتهي الأنفس  
في تلكم المجاعة  
ذهب مثل التراب  
سارقه مغبون  
وكل شيء ما عدا ما يعمر البطون  
في دارهم موفور  
هناك بئرمة كأنها القنديل  
تشع من أحشائها الجيوب والقندول  
هي ثروة البيت الحزين

تنازلوا جميعهم منها إلى الوليد  
 يقطع كل يوم حبةً أو حبتين  
 ينمو نمواً حسناً  
 فشب كالعملاق  
 ومات رب دارهم في القحط والاملاق  
 أما السراري  
 فتحولن سعالى  
 أخششت أظفارهن والشعور والانياب  
 وكدن أن يظفرن بالقملان  
 يأكلنه وقد يكون أكله ثواب  
 كالطلاق  
 لأنه سمين وهن جائعات

• • •

ففكر الفتى في الأمر ثم قال :  
 أين سيف من أبى ؟  
 أوصى به في الدار لي ؟  
 وتذاكرن  
 وما منهن من تذكر شيئاً  
 فاستعرض السيوف حتى رأى الصمصم  
 كمقلة صاحبة في معشر نيام  
 فاستله من جفنه وأفتحهم الأسوار  
 مغامراً جبار  
 بروم أرض القولة المرهوبة الأجواء

• • •

يسير كل الليل ويكمن النهار

شرابهُ الدُمُوعِ  
 طعامُهُ الأشجارُ  
 حتى هوى في موطنٍ سحيقٍ  
 أزهاره رحيقُ  
 وكل فرعٍ من روايه محدثٍ منطقٍ  
 فحدثه فرعٌ من الفروعِ  
 بما يُشجى وما يروعِ  
 أشار عليه بأن يؤمَّ غارا  
 في جوفِ هذا الغارِ حيةِ  
 ساحرةٍ من عهدِ عادٍ وثمودِ  
 تلقمُ ما تلاحظه في الغيبِ والوجوهِ  
 أنيابها حديدِ  
 وبأسها شديدِ  
 وليس من يرومها لأهله مردودِ  
 إلا الشجاعِ  
 وفتانا فاتك مقتحمِ  
 فارس يعمو له كل شجاعِ  
 وقلبه مثل سيفٍ لآبيه  
 وأبوه مات جوعاً للكرامةِ

• • •

دخل الغار مدلاً بالشباب والشجاعة  
 فرأى من ربة المسكن إكراما وطاعة  
 وتخضوعاً  
 لحمت من سيفه العاني فرنداً فاضراً



فغدا أنضر وجهها من شعاعات الصباح  
 لأنه أصبح شعلة  
 من ضياء الحق في عمق القلوب  
 وهدته لأمر تعجز الغولة عن موردها  
 وأمر تعجز الغولة عن مصدرها  
 فإذا ما بسدا منها لأجل الفتك رأس  
 فمن السيف الصقيل تكون ضربة  
 ضربة في إثر ضربة  
 حتى يكن سبعة  
 تموت بعدها الغولة في أجيالها السبعة  
 وما يحوي من قمح ومن ضياع  
 والأجل السبعة من ذهب ومن فضة

• • •

وصاؤلاً ابننا الغولة  
 وهو فتى من السودان  
 ومن مدينة النحاس  
 الصابرة  
 المغلقة الأبواب على الجياع  
 في عام المجاعة  
 ابن السراي السبع  
 فأرداها قتيلاً  
 وفي يده غصن من النخون الناطقة  
 ساق به الجبال  
 إلى مدينة النحاس

وكان من نشيده  
أن يضرب الجبال ويقول :  
سيري يا جبال هندية  
ود السبع سراري ساق جبال هندية  
وهي تسير  
وتقول : كُشو كُشو كُشو

ادريس جماع

## شاعر الوجدان والاشجان

ماله ايقظ الشجونَ فقامتْ وحشة الليل واستثارت الخيالا  
ماله في مواكب الليل يمشى ويناجي اشباحه والظلالا

\* \* \*

هين تستخفه بسمه الطفل حين قوى يصارع الأجيالا  
حاسر الرأس عند كل جمال مستشف من كل شيء جمالا  
ماجن حطم القيود وصو في قضى العمر نشوة وابتهاالا

\* \* \*

خاقت طينة الأسى وغشتها نار وجد فاصبحت صلصالا  
ثم صاح القضاء كوني فكانت طينة البؤس شاعراً مثالا  
يتغنى مع الرياح اذا غنت فيشجى خيله والتلالا  
صاغ من كل ربة منبراً يسكب في سمعه الشجون الطوالا  
هو طفل شاد الرمال قصورا هي آماله ودك الرمالا  
هو كالعود ينضح المطر للنسا سر ويتنسى تحرقاً واشتعالا

مصطفى عوض الكريم

## آمنة أو قصة الحياة

رأيتها تسير في الطريق وحدها  
حسيرة كأنها السهى  
تمشى ولا يحس مشيتها  
كأنها لا شىء في الحياة  
وفي الطريق صبيحة يتصايحون يلعبون الكرة  
وطائر يبعثر التراب يلمط الذرة  
وأعز جوائيم تجر في كبرى  
عيونهن نصف مقفلة  
وربما رأيتها في أمسيها القريب وهي فتنة البشر  
ومتعة النظر ولا حديث للقلوب غيرها  
كل ينادى حين تختفى يا ليتها تعود  
لأننا... نحبها... نعزها... نجعلها  
وحينما يفتتر عنها باب دارها الصغير  
وتفتح الأبواب والكوى  
وتلفظ البيوت أهلها  
مين الصغار والكبار  
إلى الطوار...  
وينظر الرجال في دُحول  
لعابهم بسيل  
وفي قلوبهم نشيد  
دقاتها الطبول

وَحِينَما بِشَاهِدِ الشُّيُوخِ وَجْهَها بِاتْلِقُ  
 كَأَنَّهُ دُكَّاءُ فِي الْأُفُقِ  
 يُكْبِرُونَ بَارِيءَ الْفَلَقِ  
 وَيَهْتَفُونَ فِي ثَمَى بُرْدُونِ  
 اللَّهُ مَا أَرَوْعَها . . . سُبْحانَ مَنْ أَبَدَها  
 تَبَارَكَ الَّذِي خَلَقَ  
 وَتَنْظُرُ النِّسَاءُ فِي حِسادَةٍ لَهَا  
 كُلُّ يَتِيمٍ قَوْلَها  
 يَا وَيْلَها ، اللَّهُ ما أَجْمَلَها  
 يَا لَيْتَنِي خُلِقْتُ مِثْلَها  
 وَيَنْظُرُ الْأَطْفالُ فِي بَرَاءَةِ الطُّيُورِ  
 فَرَحِي يُصَفِّقُونَ  
 وَيَنْشُدُونَ  
 أَنْشُودَةَ السُّرُورِ  
 . . . وَفِي الطَّرِيقِ فِي رِشاقَةٍ تَسِيرُ  
 تَسْحَبُ قُوقَ ذَائِبِ الْقُلُوبِ ذَيْلَها  
 وَخَلْفَها تَتَبَعُها مَوَاكِبُ الْكِبَارِ وَالصِّغارِ  
 كَأَنَّهُمْ غُبَارُ  
 . . . وَرُبَّما رَأَيْتُها تُضِيءُ فِي مَجالِسِ السَّمَرِ  
 كَأَنَّهُما قَمَرُ  
 وَمِنْ عُيُونِ الْمُعْجَبِينَ هالِكَةٌ تَدُورُ حَوْلَها  
 إِنَّ حَدَّثْتَ فَالْكَلُّ مُنْصِتُونَ  
 تَكَادُ تَشْرَبُ النُّفُوسُ قَوْلَها  
 وَرُبَّما . . . قاطِعَ الصَّدِيقِ جائِراً صَدِيقَها  
 وَخاصَمَ الشَّقِيقَ ظالِماً شَقِيقَها

مِنْ أَجْلِهَا  
وَكَيْسَ فِي حَنَانِهِمْ لَهُمْ مِنْ الْحَنَانِ ذَرَّةٌ  
وَلَيْسَ فِي فُؤَادِهَا لَهُمْ مِنَ الْوِدَادِ قَطْرَةٌ  
وَالْيَوْمَ . . . وَالْهَمَى لَهَا  
تَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وَحَسَدًا  
حَسِيرَةً كَأَنَّهَا السُّهَى  
لَوْ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ مَا عَرَفْتُهَا

## الكوخ

ذلك الكوخ ذكريات تلاشت في طوايا طفولتي وصبايا  
ذلك الكوخ متزلي وهنا بالأمس كانت معربات خطايا  
كان انشودة وكنت صداها كنت لحنا وكان لي هو نايًا  
وبقايا خطوي عليه تُنادي صارخات الى لقاء لُقايا

• • •

ذلك الكوخ في جوانبه امي وفيه اخوتي يمرحون بين رحابه  
وهنا والدي يحىء مع الليل . . ليقضى المساء بين شعابه  
حيث كنا نقضى الأماسي فترحى في حديث تنبه في خلابة  
وأخي جالس يمدق فينا كلما قيل زاد في إعجابه  
هو طفل واخته مثله ترنو لحديث مشغوفة بما به  
وهي لا ترضى حديثي حيناً فلها ان تردني لصوايه

• • •

وهنا جدتي تسوق الأساطير  
وتروي الحرافة السحرية  
وهي تلقي على السرير بقايا  
جسد منهك ونفس هنية  
وعلى وجهها الصغير خطوط  
رسمتها يد الزمان القويته  
وعصاها العتيقة الملوته

## وارنجافُ الأناملِ المحنِّه

• •

كان في سالف الزمان وكانت  
قصةُ الحبِّ قصةُ الإنسان  
كانت الأرضُ تزدحمُ بالأمانى  
كان ابن النمير يعشقُ ليليَ  
وهي كانت أميرةً للجنان

• •

وهنا في شبابِ هذا الخيال  
عبر آفاقِ دهره وأنشواني  
كان يمضى بنا الحديثُ المثارُ  
وحنين المجهولِ يدفعُ فينا  
رغبةً يستزيدها إصرارُ  
هكذا هكذا نقضى الأماسي  
بهجةً فرحةً علينا تُدار

• •

ثم يمشى الناسُ في الأهدابِ  
في العيونِ البرينةِ المطمئنةِ  
في الوجوهِ الحبيبةِ المستكنةِ  
ويغطى السكونُ حتى الطريقَ الرحبِ  
حتى ظلاله المرجحةِ

• •

وتنامُ الطيورُ فى الأعشاشِ



حالماتٍ صغارٍها في الدُّجَنَّةِ  
بسرَّوَى الفجرِ بابتسامِ الصُّباحِ  
بندى الزَّهرِ باللَّحونِ المُرَّةِ

• •

ويَطْلُ الفجرُ الجميلُ عليه  
وهو قِشارةٌ يُمْنَى يَدَيْهِ  
هو كوخِي الصغيرِ مستودعِ الماضي  
ولَحْنِي الَّذِي أَحْنَى إِلَيْهِ  
كلَّ ما كان من مشاعِرِي الحُرَى  
وخطوِي يخطرون في راحتيهِ  
وهنا ظِلُّ (نَيْمَتِي) وثرَاهُ  
يدعواني إِلَيْهِ ، يوماً إِلَيْهِ

## هجرة من صای

وقفن على الشط كالذكريات  
 بقلب المعذب والشاعر  
 وقبلن أمي في وجهها  
 ولوحن للمركب الزاخير  
 وعمى يبل رأسي الصغير  
 بريق الفم ألامه الغائر  
 ولحيته شوكت وجنتي  
 وداعب شاربته ناظيري  
 وقال وفي مقلتيه دموع  
 نزلن غزاراً على خده  
 وفي قلبه أمنيات حياري  
 يناجي بها الليل في سنده  
 بُني إذا ما وصلت بخير  
 وأعطاكم الله من عنده  
 فقل لأبيك تذكر أخاك  
 تذكره دوماً . . على بعده !

\* \* \*

كُهل على الشط تحت النخيل  
 كأشباح اسطورة ساخره  
 روتها المياه إلى الشاطئين

مياهٌ ، مقهقهةٌ ثائره  
وشبخٌ يحملُ في الواقعين  
وروحٌ تحومُ في الباهره  
وخلف النخيل . : على البعدِ ترنو  
يسوتُ مبعثرةٌ خائره !

• • •

وحين تعالي شرأعُ السفين  
ليهتكِ سِتْرَ الفضاءِ الرحيب  
ترقرقُ في العينِ دمعُ القلوبِ  
وتمَّ عويلٌ ، وصوتُ رقيب  
وعمى يشيرُ بكتنا يديه  
وأُمى تردُّ بطرفِ كتيب  
وغابَ بنا موكبُ الراحلين  
كخاطرةٍ في ضميرِ الغيوب !!  
أمانٌ تداعبُ قلبَ الغلام  
وأُمى تُنغمها كل حين  
ففي مصرَ فاكهةُ البرتقالِ  
وفيها لذائذُ لآكلين !  
قصورٌ تطاولُ محبَ السماء  
وتسلُبُ في مرتقاها العيون  
ترقصُ مصرَ بأنوارها  
وانوارها تسحرُ الناظرين

• • •

ورُحْتُ ألونُ هذا الخيسال  
بريشةٍ أحلامِي المبدِعه

أظللُ في خاطري صورةً  
مجسدةً لأبى ، بارعه !  
ولما تعالى صغيرُ القطار  
وزجَّرتْ كالقصفةِ المقزعه  
جرَّيتُ وأمى بَدَتْ مسرعه  
تساهم في الضجةِ المتعة

\* \* \*

ركبتنا القطارَ فيا للنساء  
ويا للعناء . . . عناء السفر !  
ورحلت أحلِّقُ بين الحقول  
حقولُ ! . . . وشيء يثير الفكر  
فأين نهايةُ هذى الزروع !  
عجبت . عجيبٌ أيجرى الشجر ؟؟  
وساءلت أُمى في لطفه  
فردَّت عليَّ بروح ضَجِرٍ

\* \* \*

وكان عناقُ . . . وكان بكاء  
فيا للأسى . . ليلةٌ دامسه  
وعمى . لقد مات عمى هناك  
لقد مات فوق حطام جديب  
ونحن أقمنا له مأتمًا  
هنا في الصدور . هنا في القلوب  
ونحن حَقَرنا على أعظم  
نمزقها في الأسى والشحوب  
حضرنا عليها حروفا تنير

شعاب الطريق لروح غريب

• • •

ومن فم آبائنا قد رضعنا  
أغاني الجحيم وتوَّحَّ اللهم  
واننا سنرجع يا صائِ يوماً  
نعمراً أكوأخنا والبروب

## ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها

أغنى أهلها سادتها الفقراء

الحاسر من لم يأخذ منها

ما تعطيه على استحياء

والغافل من ظن الأشياء

هى الأشياء !

تأج السلطان الغاشم تفاحه

تأرجح أعلى سارية الساحة

تساج الصوفى بضىء

على سجاد قش

صدقنى يا ياقوت العرش

أن الموتى ليسوا هم

هاتيك الموتى

والراحة ليست

هاتيك الراحة

\* \* \*

عن أى بحار العالم تسألنى يا محبوبى

عن حوت

قدماء من صخر

عيناه من ياقوت

عن سحُب من نيران

وجزائر من مرجان  
 عن مبيت يحمل جثته  
 ويهرول حيث يموت  
 لا تعجب يا باقوت  
 الأعظم من قدر الإنسان هو الإنسان  
 القاضي يغزل شاربته لمغنية الحانه  
 وحكيم القرية مشنوق  
 والقردة تلهو في السوق  
 يا محبوبى . .  
 ذهب المضطر نحاس  
 قاضيك مشلود في مقعده المسروق  
 يقضي ما بين الناس  
 ويجر عباءته كبيراً في الجبانه

• • •

لن تبصرتنا بماق غير ماقيننا  
 لن تعرفنا  
 ما لم نجد بك فتعرفنا  
 وتكاشفنا  
 أدنى ما فينا قد يعلونا يا باقوت  
 فكمن الأدنى  
 تكن الأعلى فينا

• • •

وتجف مياه البحر  
 وتقطع هجرتها أسراب الطير  
 والغربال المثقوب على كتفك

وَحُزْنُكَ فِي عَيْنِكَ  
جِيَالُ  
وَمَقَادِيرُ  
وَأَجِيَالُ  
يَا مَجْزُوبِي  
لَا تُبْكِينِي  
يَكْفِيكَ وَيَكْفِينِي  
فَالْحُزْنَ الْأَكْبَرُ لَيْسَ يُقَالُ .



صلاح أحمد إبراهيم

## في الغربة

( انفعالات شخصية )

الى عبد الله الصومالى واخوته فى الغربة أقدم هذه القصيدة :-

هل يوماً ذقتَ هوانَ اللون

ورأيتَ الناسَ إليك يشيرون ، وينادون :

العبدُ الأسود ؟

هل يوماً رحتَ تراقب لعب الصبية فى لطفه

وحنان

فاذا أوشكت تصيح بقلب ممتلىء رافة :

ما أبدعَ عفرتة الصبيان !

رأوكَ فهبتوا خلفك بالزفه :

عبدٌ أسود

عبدٌ أسود

عبدٌ أسود . . ؟

هل يوماً ذقتَ الجوعَ مع الغربة

والنوم على الأرض الرطبة

الأرض العارية الصلبة

تتوسد ثننى الساعد فى البرد الملعون

أنتى طوّقتَ تثير شكوكَ عيون

تسمع همسَ القوم ، ترى غمزَ النسوان

ويحمدُ بنان

يتغور جرحك فى القلب الملعون

تتحمل لونَ إهاب ناب كالسبّة  
تتلوى فى جنينك أحاسيسُ الانسان  
تَصيح بقلب مَحْتَق غصان :  
واذلّ الاسود فى الغربه  
فى بلد مقياس الناس به الألوان !

• • •

أسبوع مرّ وأسبوعان  
وأنا جوعان  
جوعان ولا قلب يآبّه  
عطشان وضنوا بالشربه  
والنيل بعيد  
النيل بعيد  
الناس عليهم كلّ جديد  
وأنا وحدى . . .  
منكسرُ الخاطر يومَ العيد  
تستهزئ بى أنوارُ الزينةِ والفضضاء  
تستهزئ بى أفكارى المضطربة  
وأنا وحدى . .  
فى عزلة منبوذٍ هنسدى  
أتمثل أمى ، اخوانى ،  
والتال نصف الليل طوال القرآن  
فى بلدى  
فى بلد اصيحايى النائى  
الاعصم خلف البحر وخلف الصحراء  
فى بلدى

حيث يعزُّ غريب الدار ، يُحَبِّب الضيف  
ونخص بآخر جرعة ماء عزَّ الصيف  
بعشا الأطفال

«بيليل ، ، البشر والايناس اذا مارق الحال(١)  
واخذت أغنى فى شَجْوٍ ، ألى ظاهر  
يا طيرَ الهجرة . . يا طائر  
يا طيراً وجهته بلادى  
خذنى بالله أنا والله على أهبة  
قصت أقدارُ اجنحتى  
وانا فى زاوية أتوسلُ امتعتى  
ينحسر الظلُ فأمضى للظلِّ الآخر

• • •

لكن الطير مضى عنى  
لم يفهم ما كنت أغنى .

---

(١) فى المثل السودانى « بليلة المبشر ولا ذبيحة المكشر » وفى بعض الأماكن بمديرية كردفان بغرب السودان تفر المياه وتشح الى درجة تضطر الى جليها من أماكن بعيدة وحفظها كأندر ما يكون شئاً واستعمالها يقتير .

## الحاجة

ما سألنا وما أنجرت — ليس ذاك بهام

لنا ، وحسبنا — تعال — لها

إنها وكفى الحاجة

ذرعت كل أفريقيا تعبر

النهر والفقر ساجدة في الزحام

وتقيم وما من مقام

ريثما تنطلق

أى ربح رأيت فى الخلود

قيود

إسألوا « الحرمتان »

أى سحب فى الجمارك أو فى

الجنود

سلود

تقيدها بمكان

وطيور مهاجرة ، سرىها كل عام

يصدر

هل قضت موسما رائعا بالورق

أو تصدت لرحلتها بائئذان

فمضت فى الدواوين بأمرها أمر

« انتهى يومنا فى غد بكروا »

واحضروا ما يسهل . . أو فاصبروا

رب قوم عزاز  
صَبَرُوا ثم آيو بغير جواز  
وكذلك . . .  
كالريح ، كالسحب ، كالطير  
ليس لها من لجام  
فرعت كل أفرقيا وهي لا تفر  
وسواكن وجهتها بحرُها الأحمر  
فالحجاز  
انها الآن في شارعٍ من مدينتنا  
فانظروا  
ها هي الحاجة

. . .

ربطت طفلها بحزام  
على ظهرها — وجهه الأغبر  
عظمة نتأت من عظام  
ماثل رأسه الضخم : فرخُ نعام  
تطلع من بيضه دهشا ، أو كما  
يفعل الكنغر  
وسعت في الطرق  
يا ترى ما اسمُها ؟  
يا ترى أي هم  
جال في جنبها وهم أم  
طفلها في الرضاع  
جائع ، وهي لم . .  
لا يهم . .

إنها الحاجة

• • •

العنا على وجهها المستطيل

أمر مُطاع

والألم

صامدٌ ، صامدٌ ، وأصيل

وهي صامتةٌ لا تيم

كفنت وجهها بقناع

كفنتها كالقدّم

ذات شق بجانب شق

كبقايا ندّم

في فؤادٍ نيّل

حملت فوق هامتيها - حملتها

في تحد وفي كبرياء

ومتصّت ترتزق

فرشت عند هجليجة فؤمها

والنبق

تملك الصبر في جانبي فمها احمرار

وأناها الصغار

بعد طول انتظار

ملأوا ظاهها ضحكا وغبار

يتدافر جمعهم حولها وبهم لم

تضيق

قلبيها مؤثلق

إنها الحاجة

هَمَّهَتْ بِالسَّلامِ  
 مَا لَ صَاحِبُنَا وَهُوَ نَوْ شَبَهِي وَمَلَامِ  
 وَلَبَقِي فِي الْكَلَامِ  
 وَشَبَقِي -  
 كُلُّ انْتِي لَدِيهِ طَعَامِ  
 سَائِغِ وَالنِّسَاءِ لَدِيهِ سَوَاءِ  
 فِي الظَّلَامِ  
 قَالَ مِثْلَ مَرَايِي لَهَا غَامِزًا فِي ابْتِسَامِ  
 وَمَضَّتْ مِنْهُ نَابِ  
 بِلَعَابِ . . .  
 ادْخُلِي ، خَلْفَ بَايِي الْمَرَامِ  
 ادْخُلِي ، ادْخُلِي  
 فَاجَابَتْ بِصَوْتِ حَيٍّ : حَرَامِ  
 انْتِي حَاجَةٌ

• • •

رَفَعَتْ النَّزَاعَ الْمَدْقُ  
 مَسَّ نَعْلَ السَّحَابِ  
 وَهَوَتْ لَتَدَقِ  
 وَتَدَقِ . . . تَدَقِ  
 سَالُ فِيهَا عَرَقُ  
 ظَهَرُهَا بِعَذَابِ نَطَقِ  
 وَهِيَ مِنْهُمْ كَةِ  
 كُلُّ مَا تَشْتَهِي كَسْرَةَ وَمَرَقِ  
 بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِي  
 يَوْمَهَا فِي الصِّيَامِ

لقمةً وأدام  
ثم تفرش الأرض نائمة وتنام  
بعد ذاك الرهق  
إنها الحاجة

• • •

نقرت بابهم في أمل  
تسأل هامة عن عمل  
فأطلت لها امرأة ذات صدر جهام  
وكفل

مستقل ، مهيب ، ثقیل  
كلما حركته احتفل  
واشمخر بها فتميل  
ادخلي فلدينا « غسيل »  
دخلت ورتت في قلق  
الملابس مردومة كالجبيل  
والملاءات في كومة لو جمل  
حملوه بها لنفق  
وهي لا تعترض  
كلهم يفترض  
إنحنت فوقها باركة  
صببت الماء يغلي وبالقدمين مضت  
داعكه

وبكى طفلها لم يلدق  
لبنا ، ثديها محترق  
نهرته مراطنة فاستنام



وأتوا بمزيد لها - لم تقل  
 كثير . . فكل كثير قليل  
 على ( حاجة ) مثلها ذات ثوبٍ خلق  
 وجسمٍ نحيل  
 يصنع المستحيل  
 لو انقلق الصخرُ لا ينفلق  
 وعند الغروب  
 نفحوها الذي يتفق  
 حَزَمَتْ طفلَها في شحوب  
 وانثنت لتزوب  
 هالكة  
 في أزقتنا الحالكة  
 وانها الحساجة

• • •

في الطريق لها سنوات  
 خدتها في الملامة مات  
 دفته وسارت ، كأن لم يكن  
 عزمها لم يحسن  
 قلديها أمل  
 عاش في صدرها واعتل  
 في سموم الشقاء  
 في هجير الشقاء  
 في فيافى الشقاء  
 بالدعاش اصطفق  
 في غمام برق

جاش مستطرا واكفهر وكرّ لما هطل  
أينعت بعزاء  
كونها حاجّة

• • •

فاذا أقبل الليلُ والكون مات  
وحان السبات  
ودهدمها الكد في عرصات الشتاء  
وكف ابنها عن بكاء  
رأت نفسها ضيفة الله ، والله قدامها  
على عرفات  
تمد اليه العنق  
وترفع وجهها من البؤس يشبه  
باطن أقدامها  
وكفين مثل المريضة محفورتين  
بآلامها  
بأبلغ مما تقول اللغات  
تقول له سيدى قد وصلت وما بى سوى  
أن ترانى وترضى . .  
أتيتك من آخر الأرضِ اقطع أرضاً  
بغير دليل وأزرع أرضاً  
واحتمل الجورَ والافتئات  
وكل حسير سوى أن أضيع فرضاً  
وها أنا سيدى ها أنا . .  
هاهنا لديك ، وتبكي فيسقط عنها  
القناع

وتَهوى على التَّربِ خامشة  
تُراعى في صرعةٍ والتَّياع  
كجاريةٍ نهش النَّوء منها الشَّراع  
تغوص وتطفو على لجةٍ ويدفعها  
الموجُ دفعا لقصاع  
تقول وتخط قبضها الصخر ،  
ها أنا ذى قد وصلت ، وصلت  
وينقطع القول عنها ، تتمم بحث  
عنه وتلهث ثم ترجم . .  
تمسك بعضاً وتفلت بعضاً  
ويعوزها فتشير كبكماء تترو  
المشاعر في قلبها كال دخان الحبيس  
مثارا ، تدلم ، تهتف بالعبرات بغير لسان ،  
تسلسل بالدمع قصةً ذاك الصراع  
وتجهش في حرقه تغلى بالمعاني  
ومن بين كل الألوِّف الوقوف  
يرى الله سوداء جاثيةً في انضاع  
بلا هيبةٍ أو متاع  
يرى الله امرأةً أجنبيه  
بها عجمه وعية  
دميمة وجه يداس عليها وينهرها  
القوم في غلظة : اغربى يا وليه  
تغمغم أعينها بالدموع يتابع في  
الصخرة ثرة  
بها لهفةٌ وتلاشٍ عميق وبعض اكتئاب

وبعضُ مسرة

كنفخ على البوق في موطن  
سحيق بليل عميق ضنين الشعاع  
وقد رقص القوم من أهلها  
نشاوى ولكنهم في ضياع  
دُمى في ضلالتهم سارحون  
أسارى وفي قيدهم يمرحون  
تقول إلهي تركت لك العشيرة  
إذ أنت أهلي وجاهي  
قصدتك عبر الخطوب الدواهي  
شقت إليك الفلا والضياع  
أتيتك ظامئة في الظماء أتيتك  
جائعة في الجياع  
أتيتك يسخر بي الساخرون أتيتك  
يمكر بي الماكرون  
أتيتك عبر اغتراب مذل أهان به  
تارة وأهون .  
وها أنا يكفى بآنى لديك وإنى هنا  
يا عظيم الرجاء  
وإنى انتصرت على شع نفسي  
وإنى انتصرت على الآخرين  
وإنى ركبت إليك الملامة  
لأنك أنت المنى والسلامة  
وأنى على قدميك ارتعيت وأنت  
الكريم فهل لي كرامة

وممر ما تشاء  
 ومن كل راكبٍ سباحة في الفضاء  
 ومن هو أعتى من الأعتياء  
 ومن عاج يبحث في سوق مكة عن  
 يعة أو شراء  
 ومن حال في موكب الفاتحين  
 ومن كل أبيض خندٍ نضير ومن كل  
 فاغيمٍ عطرٍ بدین  
 ومن دون الألوף الوقوف  
 صفوفا وراء صفوف  
 ومن دون طائف بيت وساع  
 يراها ، ويعرفها ، ويهش لها ،  
 ويخاطبها باسمها وهو أخفى بها  
 أنهضى يا فلانة إني إليك امد ذراع  
 سمعت الذى قلته والذى لم يوات  
 وما هو من ذاك أخفى  
 بناغم لطفاً ، صلاة وزلفى ، وحياً  
 تخفى ، فازهر كالروض بالحسنات  
 وما كنت وحدك حين صبرت  
 انتصرت فى الامتحان  
 وفى الليل بعد البلاء الرهيب  
 وحين طغى ظالم وأهان  
 واذ نهروك واذ شتموك واذ تركوك  
 بغير أمان ،  
 وحين بكى الطفلُ يوم بكيت وقد

مات والده فى الطريق الى  
وفى البحر اذ أوشك الموج أن  
يحتريك فلم يحزنوا واتكلم على ، واذ  
ظل قلبك تلقاء مكة يسبح فى النور  
والناس غرقى سديم  
يخاطبنى بالذى يستطاع وذاك  
العصى الذى لا يواتى  
تقطع كالبرق فى صلوات  
كطلع شمس وراء الشموس  
بإمضاة فى الزمان القديم  
هنا . . ويرفعها قربه فى النعيم  
المقيم  
بما صبرت فى حياة المحجم  
لأنها الحاجّة . . . .

## الكمنجات الضائعة

وطرحت قوسَ كمنجتى جسراً يبحر الليل  
ثم هويت للقاع متورم العينين تنبض عبرَ أسماعي  
طبولُ العالم الهدّار : لا تأسى لمن فاتوا  
فبعض مساكنٍ تبقى وبعض مساكنٍ تنأى  
فتدنيها المسافات  
تعلم وحدك التحديق نحو الشمس والمقل النحاسية  
مرايا تخطف الأبصار لكن ليلتنا الصاحي  
وشرقتنا المسائية  
على عينيك ، فوق رموشك التعبى ستاراتُ ستاراتُ  
يضوعُ بنفسجُ الرؤيا وتخضرُ النجيمات  
بكل أناقة الدنيا ،  
تمدك بالظلال الزرق بالنعيم الذي يهتز في الريح  
بدندنة الأراجيح  
بساعات يظل الشعر يلهث في مرايحها ويطويها  
ويسكب روحه فيها  
ويجلب قلبه المطعون فوق دروبها العطش ليرويها

• • •

وأهتف أيها المثال كالأمطار أين زمان تلقانا  
بساح الجمر نحرق في سيلك سوسنات العمر  
نصرع ، ثم تأبانا

لعملك يا عذاب الليل كنت تزورنا كرهاً  
 وترحل قبل أن تأتي  
 ونحن نمزق الأعصاب ، نسمع دمدمات الوحى  
 خلف ستائر الصمت  
 ونرقب ساحة الميلاد ، بسرقة خلاصنا  
 المرصود بين الآه والآه  
 نفرع أيها المتقاد وجهك فى دروب الأمل  
 كان الأمر الناهى  
 أنا المحروم من دنياك لما غامت الرؤيا  
 ولفتنى انتاهات  
 سقيت الناس من قلبى ، حصاد العمر ،  
 ذوب عروقي الوهى . . بأكواب من النور  
 أقبل كل من ألقى على الطرقات ،  
 من فرحى وألثم أعين الدور  
 كمنجاتى التى ضاعت تردد صوتها  
 المخمور يهدر فى بحار الليل ، يهدر كالنوافير .



## بلادي

لأول مرة . . . . .  
 أحسُّ بأنِّي حرٌّ . . . وأن بلادي حرُّه  
 وأن القيودَ التي علبتني وأدّمت يديا  
 القتْ سلاسلها الصّدّاتِ لدى قدميَا  
 وأن بلادَ الكنوزِ . . . بلادَ الكنوزِ الغنية  
 بلادي  
 ستفتحُ أبوابها للضياء  
 لتغرسَ قطرةً  
 فتحصد أجيالنا ألفَ قطره  
 إذا الفجرُ مدَّ الجناحا  
 وألقى على الشاطئِ السواحا  
 فحتى الأجنّة  
 سمعت أغاريدَها في الدُّجّة  
 تُطيلُ إلى غداها مُطمئنه  
 وحتى الرعاةُ . . رعاةُ شواطئكِ المخملية  
 وحتى أنين سواقيك تلك التي عذبت مسمعا  
 أضحى غناءً .. غناءً يُصافحني في العشيّة  
 وحتى كهولُ القرى المقعدون  
 تندّت عيونهم بالأغاني الشجيّه  
 بلادي أنا . . يا بلادَ الكنوزِ الغنية  
 تفتحت مثل انطلاقِ العبيرِ تحدّر من شفةٍ برعمية  
 كلؤلؤةٍ ساحلية

كأجنحة الطيب رفّت مع النسماتِ النديه  
 لأول مرة  
 أحسُّ بأنّي حرٌّ . . وأن بلادى حرّه  
 وأن سمائى حرّه  
 فلا طيرَ فيها غريبٌ يناوئ نجمى  
 ولا طيفَ غيم  
 وإن الطريقَ الذى رصفناه يوماً جماجم  
 سنفسله بالعيرِ ونقرشه بالبراعم  
 وشدو الحمائم  
 إذا الفجرُ مدَّ الجناحَا  
 وألقى على الشاطئين الوشاحَا  
 بلادى أنا . . يا بلادَ الكنسوز الغنيه  
 تمدُّ يداً مثل قلبِ النجوم . . يضاء مثل صفاء الطويه  
 إلى كلِّ شعبٍ مضى صاعداً إلى النبعِ بين الجبالِ العتيه  
 فأغرودةٌ من بلادِ الجنوبِ تعانقُ أغرودةَ آسيويه  
 فتحنا النوافذَ يا فجرُ فانثُرْ صفائركَ البيضَ والوسنيه  
 وبعثرْ على عتباتِ الطريقِ أغاريدك الحلوّةَ الشاعريه

النور عثمان أبكر

## المنفى والمملكة

لم أهبجر يوما دارَ أبى  
لأُمم بكهفٍ فى الصحراء  
أتدثر ما نسجتُه أكفُ الريحِ على منوالِ الصمتِ  
وأطعم من مائدةِ السرب  
وأصيحُ السمعَ وأنشرُ ساريةَ الأبصارِ لعلَّ الدرب  
يتمخضُ مهرا يطوى بى ، فى غمضةِ عينٍ ، كلَّ جواءِ الدنيا  
والآخرةِ المرجوةِ والرؤيا  
وإذا ما عدتُ بسطتُ لكم سرَّ اللقيا  
وحلفتُ بخطِّ الشيبِ برأسِ أبى ، وبحرمةِ أُمى :  
أنَّ ملائكةَ الربِّ أتانى ليلا  
شق الصدرَ وغرقَ فى بحرِ دماى أناملهُ  
فانتزعَ الخوفَ وريحَ اللعنةِ ، فكُ بلحامَ لسانى  
عمدنى  
وأراحَ جينسى ، حرّرتنى  
من قهرِ الحاجةِ والزمنِ  
ورويتَ لكم ما تعيا عنه القطنة ، تعيا عنه الحيلُ المطلية  
من أنى شارفتُ رفاهَ الأبديةِ  
فى حضنِ الشفقِ الأبدى سقيتُ الحمرَ بأكوابِ الفضةِ  
من أيدى الولدانِ الفضةِ  
ندمائي رُسلَ المشرقِ والمغربِ  
ما بَحَّ اللحْنُ ولم نتعب

ولأن الخمرَ بها أنهار  
والخورُ العينُ تروح ، نجيء بغير لزار  
أغواني الظلُّ ، فأقصيتُ

• • •

قدستم رفقة : دار أبي  
مهدى ، منفاى ومملكسى  
فيها عانيت مجاهيلَ المحظورِ ، وجئت أعمدكم .

محمد المكي ابراهيم

## بعض الرحيق أنا والبرتقالة أنت

الله يا خلاسيه

يا حانة مفروشة بالرمل

يا مكحولة العينين

يا مجدولة من شعر أغنييه

يا وردة باللون مسقيته

بعض الرحيق أنا

والبرتقالة أنت

يا مملوءة الساقين أطفالا خلاسين

يا بعض زنجيه

وبعض عربيّه

وبعض أقوالى أمام الله

• • •

من اشتراك اشترى فوح القرنفل

من أنفاس أمسيه

أو السواحل من خصر الجزيرة

أو خصر الجزيرة

من موج المحيط

واحضان الصباحيه

من اشتراك اشترى

الجرح غمداً

وللاحزان مرثيه

من اشترك اشترى  
منى ومنك  
توارىخ البكاء  
وأجبال العبودية  
من اشترك اشترانى يا خلاسية  
فهل أنا بائع وجهى  
وأقوالى أمام الله .

• • •

فليسألوا عنك أفواف النخيل رأت  
رملاً كرمك  
منغولاً ومسبقاً  
وليسألوا عنك أحضان الخليج متى  
يبيض حنك  
أغرى الحلم حورية  
وليسألوا عنك أفواج الغزاة رأت  
نطحاً كنطحك والأيام مهديه

• • •

ليسألوا  
فستروى كل قمريه  
شيثاً من الشعر  
عن نهديك فى الأسحار  
وليسألوا  
فيقول السيف والأمنفار .

يا برتقالة  
 قالوا يشربونك  
 حتى لا يعود بأحشاء الدفاق رحيق  
 ويبتكون الحيمى  
 حتى تقوم لأنواع الفواحش سوق  
 والآن راجعوا  
 فظل الدن والابريق  
 ظلت دوابك تعطى  
 والكؤوس تدار .

• • •

هزى اليك يجذع النبع  
 واغتسلى  
 من حزن ماضيك  
 فى الرؤيا وفى الاصرار  
 هزى اليك  
 فابراج القلاع تنيق  
 النحل طاف المراعى  
 وأهداك السلام الرحيق  
 الشرق أحمر  
 والنعمى عليك إزار  
 نجرى ويمشون للخلف  
 حتى نكمل المشوار

• • •

طاف الكرى بعيون العاشقيك

فعادوا منك بالاحلام  
 ما للعراجين تطواح  
 وليس لأطيار الخليج بغمام  
 النبع أغفى وكل الكائنات نيام  
 إلا أنسا  
 والشذى  
 ورماح الحارسك قيام .

\* \* \*

منى تجاوزتهم  
 وثبأ إليك أجيء  
 شعري بكييل  
 وحضنى بالورود مليء  
 فلتتركي الباب مفتوحا  
 وحظي في الفراش دفيء  
 ولتلبسي لي غلالات الشذى  
 وغناء النبع والاشجار  
 فلي حديث طويل  
 مع نهديك في الأسفار .  
 يا برتقالة  
 ساعات اللقاء قصار

\* \* \*

تأمليني قليلا فالصباح أطل  
 البحر ساج  
 وتحفاف النخيل غزل



وبركةُ القصرِ بالنيلوفر ازدحمت  
والنحل أشجعَ كاساتِ الزهورِ قبل  
واننى الآن أزهى ما أكون  
وأصنى من صيبائى  
ومكسباً من النور الجديدي لزار  
تأملينى فإنّ الجزر أوشك  
— إننى ذاهب —

ومع المدّ الجديدي سأتى  
هل عرفتيني ؟  
فى الريحِ والموجِ  
فى النوءِ القويّ  
وفى موتى وبعثى سأتى  
فقللى قد عرفتيني  
وقد نقشت ثقاطيعى وتكويينى  
فى الصخرِ والرملِ ما بين التراجين  
وهي صرت فى لوحِ الهوى تذكار  
والآن

لا شاباً من طيب لحمك  
أو ريان من سكبِ نهديك أمضى  
فأوعدينى أن استدعونى  
الى فراشك ليلا آخر  
وتطليه على بشعرك  
فى زندي  
ولونك فى لونى وتكويينى  
فتنيتُ فيك فضمينى

الى قهـورِ الزهـورِ الاستوائيه  
الى البكاء  
واجيالِ العبوديه  
ضُمِّي رِفَاتِي  
ولفِّني بـزَنـدك  
ما أحلى عيرك  
ما أقـواك  
عارية وزنجيه  
وبعض عريه  
وبعض أقوالى أمام الله

عبد الرحيم أبو ذكري

## البوابة والدم

قال طيرٌ حزينٌ  
افتحوا لى بوابتى المغلقه  
افتحوا لى ، افتحوا لى !  
دثرونى بريشى القديم  
زملونى بحلى المشيم  
غير أن الطيور الكبيرة  
الطيورَ الجسورة  
نفضت ريشها ثم طارت  
والسماوات فارّت وغارت  
وتلاطمت الأنجمُ  
وتفصّد منها الدم  
وتعطل بحر الظلام  
فوق ذاك الحطام

\* \* \*

وجيم الطير فى برده واعتداده  
وتغطى بوحده وانفراده  
وطويل سهاده  
حالاً أن يطير ولكن بلا أجنحة  
أن يسود الفضاء ولكن بلا أسلحة  
أن يطوفنا طويلاً  
فى بروج السماء طويلاً طويلاً

## سمندل في حافة الغياب

(١)

لو ضاع في نزوعه البحرى ، فالغياب  
— عبر زمان البحر — والملح سينحتان من عظامه المبلّوّه  
حدائقاً من صدق تضيء في صيف الليالي المقمّرة  
على رمال ساحل الغياب

(٢)

وهي على منسجها مُتظّرة  
تسير بالزّمان للأمام مرّة ، ومرّة تعود بالزّمان القهقري  
لبرهة تضيء خارج الزّمان حيث تلتقى  
برهة الغربّة برهة الإياب

(٣)

كنّ يغنيّ على الصخرة ، والجداول المنتشرة  
أزهار فسفور على الخليج  
الجسد الأخضر مسقى بلون البحر  
ومشبع بعسل الزّئابق المسمومة الأريج

(٤)

في الحلم الرافع في الليل مرّايا الماء  
غريبة النقوش والأسماء  
كان يرى التحلّ الذي يزحم مشغولاً جذوع الشجر القديم ، والجذور  
نمّص لحم الأرض في شهوتها الطّينية العمياء

(٥)

وحينما أجهش صوتُ الموجة المنحسرة  
كان يرى الطيورَ في الصَّيْفِ إلى أعشاشها المبعثرة  
تعود ؛ والدم الذي يزيد ، في حضوره الأنقى ، على التراب  
ووقفه السَّمْدَلِ ، المبْتَلُ بالنَّارِ ، على الصَّخْرَةِ فوق حافة الغياب .

(٦)

وهي على مَنَسْجِها منتظرة  
في الصَّمْتِ ، بعد آخر الليل وقبل أولِ النهار  
تنصتُ للحوار  
يُمعن بين البحر والأرض بصوت اللغة القديمه  
اللغة الأقدم من مجادلات النَّصْرِ والمزيمه  
الأقدم الأنقى من الهجرة والإياب في مرافئ الأسنى والانتظار  
في العدم الساكن ، بين لغة البحر وشكل النار

## الباب الثالث :

### « القصص »

## المكان \*

(قصة تحليلية)

مقدمة :

حينما فرغت من كتابة هذه القصة رأيت واجبا على أن أعين القارئ العربي على فهمها ، لأن هذا الضرب من التأليف القصصى حديث العهد حتى في أوربا نفسها ، وهو آخر طور من تطورات القصة التحليلية ، وفيه ولاشك صعوبة للقارئ ، خاصة إذا لم يكن ذلك القارئ واقفا على هذا اللون القصصى في الآداب الحديثة فأقول :

هذا النوع من الفن القصصى ليس من مهمته تصوير المجتمع ولا النقد الإجتماعي ، ولا إستجاشة الاحساس والعطف القوى على الخلاق ، وليس من مهمته أن يحكى حكاية ، وإنما هو يتناول انتفاءات الداخلية في عمالية الإحساس والتفكير عند شخص من الأشخاص ويربط كل ذلك بموسيقى الروح وإتجاه الوعي . كما يعرض لمسائل الحياة العادية المبتذلة ، ويشير عن طريق الإيحاء إلى علاقتها بشعر الحياة ومسائلها الكبرى . وهو يعرض لذلك الجانب الغامض في تسلسل الإحساسات واضطراب الميول والأفكار وتضادها في لحظة واحدة من الزمان عند شخص واحد من الأشخاص . كما أنه يصور ما يثيره شيء تافه من ملابسات الحياة في عملية الوعي وتداعى الخواطر ، وقفز الخيال ، وتموجات الصور الفكرية . هذا اللون القصصى - والحالة كما وصفنا - يعرض لأدق المسائل العلمية السايكولوجية المظلمة حتى للعلماء أنفسهم ، ويمزج ذلك بنوع من الشاعرية والغموض العاطفى ، ويخرج من كل ذلك تحفة فنية حقا . ويغلب فى كتاب هذا النوع القصصى أن يستثيروا

نفوسهم ويكتبوا من معين حياتهم . فكأنهم يترجمون لأنفسهم مع بعض الزيادة والتقصان وتغيير الأمكنة والأزمان والأسماء . هذا النوع إنتشر فى أوربا وعرف مند عشر سنوات تقريبا حينما أخرج « مارسيل بروست » الفرنسى رواثعه القصصية كما أنه عرف فى أتمه وأحسنه عند « كاترين مانسفيلد » و « فرجينيا ولف » من كتاب الإنجليز . ونود ولا شك أن يكتب وأن يعرف فى وادى النيل .

• • •

فتح مذكرته التى يدون فيها خواطره وأسماء الموضوعات التى يود الكتابة عنها فقرأ فيها أسماء هذه الموضوعات : (١) حماسة شاعر عصرى (٢) هكذا نحن ! (٣) حرفة الكتابة (٤) الأولاد الأشقاء فى الليل (٥) إحساس بالمكان . ووقف عند هذا الموضوع الأخير يديم النظر فيه ويفكر متى كتبه ؟ إستجاش إحساسه بالمكان . فذكر أن للمكان من كل ظاهرات الوجود النصيب الأوفر من خسياله وإحساسه . وإستولى عليه شعور قوى يدفع به لتدوين ما يحسه تجاه المكان . لكنه شعر أن الموضوع مترامى الأطراف متشعب النواحي لا يستطيع صهره وتركيزه وتبويبه على الوجه الذى يرضيه ! وكيف يستطيع ذلك والموضوع شائع فى كيانه شيوع النور فى الفضاء كله . وعلى كل حال إبتدأ بالطريقة الزمنية فى توضيح الموضوع ولم أطرافه واستعراض صفحة حياته من طفولته إلى عهده الحاضر .

فذكر أنه وهو طفل صغير لم يتجاوز الرابعة من العمر ؛ كان قد أخذه والده إلى بيت زوجته الثانية لكى يلتمح « بالخلوة » هناك . وبقي زمنا فى ذلك المكان ، كانت أعجب الظواهر العقلية عنده أنه حالما يستيقظ من النوم مبكرا على صباح الديك يذكر أهله وبيته . لكن شيئا واحدا أعجب له وظل يعجب له طيلة إقامته هناك ، وهو أنه خيل إليه أن عنده مفتاحا سحريا يعرض أمامه السوق التى كانت تقع بالقرب من بيتهم فى كل حركتها وصخبها وحيويتها ولم يبق له كى يصدق خياله إلا أن يشتري من ذلك البائع



أو يضرب ذلك الرجل !! قلما كبر قليلا ظن في نفسه أن هذه الظاهرة غريبة فيه وأنه يجدر به أن يسأل الناس إذا كانوا يحسون ويتخيلون مثلما يحس ويتخيل . لكنه لم يفعل ولعل شيئا من الإشفاق على نفسه والخوف من الضحك عليه منعه من ذلك السؤال .

وكبر « مجدى » فأدخله والده المدرسة الابتدائية فكان يرى حوائط المدرسة حينما تقرب العطلة الكبرى باهته شائخة ويعاوده شيء من الإشفاق عليها . فلا يترك المدرسة يوم العطلة إلا بعد أن ينظر إلى كل حائط وكل شق ويذرع الحوش ثم يودعها ويلبث ينظر إليها وهو في الطريق إلى أن تغيب عن نظره . . . !

ثم راح « مجدى » إلى المدرسة الثانوية في الخرطوم ، فكان وهو في حجرة الدرس يكتب أو يستمع إلى المدرس تقفز به ذاكرته من غير أن يشعر إلى خرائب رآها قبل عشر سنوات في أم درمان ! ولا يعرف ما علاقة تلك الخرائب والأطلال التي لم يقف عندها في يوم من الأيام باللحظة الحاضرة . وماها تلح على خياله وتصوره وتحتلها من غير أن يناديهما أو يفكر فيها أو يفكر حتى في أم درمان كلها - وبعد جهد ليس بالقليل يستطيع صرفها والانتباه إلى حاضره . !

فإذا ذهب لينام في الليل وسمع صوت « البورى » الذى يضرب عادة لعشاء الضباط الإنجليز ذهب خياله توا الى من فقد من أهله وقرابته .

وأغرب من ذلك كله أنه كان لا يسمع صوتا إلا ويعطيه لونا خاصا . فصوت البورى أصفر باهت ، وصوت « الأتومبيل » أسود عامر السواد ، كما أنه كان ينظر إلى الأرقام المكتوبة كلها بنحط واحد ، فيتفاعل بالبعض ويتشام من البعض الآخر ، ويعطى تلك الأرقام ألوانا : فالثمانية والأربعة أرقام عامرة طيبة ، والخمسة والتسعة أرقام باهتة صفراء لا يرتاح إلى رؤيتها أو التيمن بطلعتها !

وكان صوت ذلك « البورى » دائم الإقتران بصورة خاله الذى مات .  
وهو لا يذكر ذلك الحال حينما يذكره إلا على صورة واحدة ولو أنه رآه  
فى مختلف الصور والأشكال . يذكره حينما كان معه فى المولد النبوى فى  
لية مقمرة فى حركة واتجاه واحد بعينه دائماً !

وهذه الظاهرة هى الأخرى لا يستطيع لها تفسيراً ، فإنه قل أن يذكر  
الناس الذين عرفهم من ماتوا من أهله أو من هم بعيدون عنه إلا فى هيئة  
الحركة . وفى أغلب الأحيان فى حركة بعينها وفى مكان بعينه ويوم وساعة  
بعينهما — فلا يذكر خادمتهم التى ماتت ، وفى البيت مثلاً أو فى المطبخ  
أو ما إليه من الأماكن التى طالما رآها فيها ، ولكنه يذكرها فى مكان بعيد  
كان برفقتها فيه . فى مكان قفر بالقرب من النيل بعيداً عن المدينة وفى خطوة  
وإمالة واحدة ، حالما يذكر تلك الخادم يذكر ذلك المكان الغريب وتلك  
الإمالة من غير قصد ولا تعمل ولا استحضار !

وهكذا فالصور التى رأى فيها والده مثلاً كثيرة ، ولكنه قل أن  
يذكره فى غير صورة واحدة وحركة واحدة ومكان بعينه !

• • •

وكان إذا قرأ عن مكان أو سمع به تخيله ورسمه فى مخيلته ، فإذا  
ساعدته الظروف وذهب إلى ذلك المكان رآه مثل ما تخيله حتى الوضع وأشياء  
دقيقة لا تلوح فى خاطر إنسان ، وقد يدهش أحياناً حينما يزور مكاناً لأول  
مرة فيخيل إليه أنه قد عرف هذا المكان قبل الآن فى حياة أخرى ، والكل  
يظهر أمامه كحلم غريب ! . . . لكن الألفة أو الإيناس الذى يشعر به نحو  
تلك الأمكنة ومنعرجاتها يخيّل إليه أنه قد عرف ذلك وصحبه ردحا من الزمن  
لا شك فى ذلك ولا ريب فيه . .

فإذا أمعن فى التفكير والتعليل ظن أن هذا الذى نسميه « زمناً » وهم  
لا أصل له « Illusion » أو خرافة تخلفها عقولنا « Fiction » وأن

الحقيقة الواحدة الباقية هي « المكان » واننا أحياء من أوائل الأزمان إلى  
أواخر الأباد في صور وأشكال ومواد مختلفة كلها لها حظ من « الوعي »  
يختلف ضعفا وقوة باختلاف الأفراد والأشياء . وعلى هذا الزعم فللحوادث  
والمادة الصماء والأشجار وعي وإحساس من نوع وعينا وإحساسنا ، إلا أنه  
قليل في الكم بنسبة حظ تلك الأشياء من الحياة والحرية والحركة ! وأن  
مهمتنا نحن أن نتقل من شكل من أشكال الحياة ونمر على تلك الأدوار في  
تلك « الأثناء » التي نسميها الزمن ، وهو مصدر ذلك الإحساس . وسبب  
ذلك العطف الذي نحسه نحو أشكال الحياة المختلفة من غير أن نعرف سببه ! .

ويرى « مجدى » أن بعض أحلامه تتكرر فيرى أمكنة غريبة في بلاد  
لم يعرفها . فلا يمر عام أو عامان حتى يسافر إلى بلد من البلدان يرى فيه  
نفس ذلك المكان الذي رآه في حلمه من قبل أعوام ! . . .

ولمجدى عادة تقلقه ولا تريحه ، لكنه يحس في ممارستها والشوق إليها  
راحة وطمأنينة . فهو إذا لم يضع ملابسه وكتبه وسريره في أمكنة بعينها وفي  
أوضاع خاصة لا يرتاح باله قط . فإذا وجد أقل تغيير في وضع كتبه وملابسه  
غيرها إلى نفس الوضع والمكان لأنه يتفاعل بأمكنة بعينها ويتشائم من أخرى .

وقد يلج به هذا الإحساس المكاني في ساعات تيقظه إلى ما هو أغرب  
من ذلك . فإذا مر بالسوق لج به الخاطر أن حياته لا تكمل إذا لم ير كل  
الدكاكين والشوارع . فإذا فرغ من هذه العملية ود لو أن في مكنته أن  
يدخل كل حوانيت البقالة ويرى من قرب حوائطها الداخلية وزواياها  
وترابها ، كأنما لكل تلك الأشياء قصة معه ، وهو لا يعلم من أمر تلك القصة  
سوى هذا الإحساس العارض الذي يقلقه في بعض الأحيان ولا يرتاح ضميره  
إلا حين ينفذه ! . .

استعرض « مجدى » كل تلك الذكريات والصور والأسباب في خياله  
في لحظة واحدة من الزمان وظل يفكر . . . يفكر . . . !

« ما معنى كل ذلك ! . . . معناه . . . معناه . . . نعم معناه أن الإنسان لا يموت أبدا . وأن ما يسميه موتا هو في واقع الأمر تغيير لشكل الحياة ، وأنا نحن والسماء والأرض والأمكنة كلها أخوان وأولاد أعمام وهذا هو سبب العطف والكلف بالمكان !

فقالت له نفسه الثانية « لا هذا غير صحيح . وإلا فلماذا يمتاز بعض الناس بهذه الخصلة والبعض الآخر لا يعرفها ، ألا تذكرت ما قرأت في كتب « السايكولوجى » أن بعض الناس يتركيبهم أقدر على تخيل المراثيات ، وآخرين على المسموعات ، والبعض الآخر على المسمومات ، وبعض الطلبة يفهمون أكثر إذا قرأوا الكلام مكتوبا والبعض الآخر إذا سمعه منظوقا .

« نعم ، هذا صحيح ، ولكن ما معنى كل ذلك أيضا ؟ ! » .

مرة أخرى وهو فى وادى التفكير العميق ! « معناه . . . معناه . . . ماذا يهمنى معناه . هذه هى الحياة فكفى . . . وليس من معنى لأن نعتقد أن وراءها معنى . . ! معناها أنها الحياة ويكفينى أن أصور الحياة كما أراها ، وليس من مهمتى أن أفسر كل ظواهرها ، فلعل هذا الإضطراب وعدم مقدرتنا على ردها إلى سبب واحد هو من خواصها الأساسية . وليس من ذنبى ولا ذنب الحياة أن الناس ينظرون إلى أشياء وراء الحياة . . لعل هذه هى لعبتها الكبرى علينا ، وضحكاتها المكبوحة التى لا يفتر ثغرها عنها . ويكفينى أن أحكى الحياة بالعرض دون التفسير . فلعل العرض نفسه هو التفسير ، ولعل الإعتقاد أن وراء كل ظاهرة ظاهرة أخرى خدعة من خدع المنطق . فلنحك الحياة فى تقييد خواطرها وولائدها ولا نكن حمقى فنطلب التفسير والتعليل ، إذ الحياة تعرف الخسلق الذكى ولا تعرف التفكير والتعليل فلا تعرض تجارب احساسى بالمكان كما أحسست به ورأيت ، وليعلل ذلك كل وفق مزاجه وتفكيره إذا كان لابد له من التعليل والتفكير . . . !

هذا هو منطق الحياة الصميم . وهكذا يجب أن يكون منطق الفنان

الذى يحكيها . . . وارتج الى هذا التفكير كثيرا . وابتداً يلزم أطراف موضوعه تهيؤاً للكتابة النهائية . فخط في وسط السطر : «إحساسى بالمكان» وكتب :

(١) كيف أننى أذكر الأشخاص الذين عرفتهم دائماً فى مكان بعينه ويتكرر ذلك المكان كلما ذكرتهم .

(٢) كيف أننى فى ساعات الدرس والتحصيل تلج فى ذاكرتى صور حرائب وأمكنة رأيتها منذ عشرات الأعوام فتزورنى من غير أن أدبى . وقد يتفكر بى مكان فى بلد إلى مكان فى بلد آخر لا أعرف ما العلاقة بينها قط ولا أستطيع أن أعرف .

(٣) كيف أغفل بعض الأمكنة ومواقعها قبل أن أراها . فلما تسعدنى الظروف برويتها تكون وفق ما تخيلت فى أغلب الأحيان !

(٤) كيف أحس أن المكان الذى رأيته لأول مرة فى حبنى هذه قد رأيته من قبل فى حياة سابقة أخرى !

(٥) كيف أن خاضرى فى بعض الأحيان يلج بى لكى أذرع حوائط المذكورين الداخلية . . التى لا أعرفها - وأتمتع فى تراثها وزواياها كأننى قد تركت روحاً هناك !

بعد أن كتب هذه الأشياء شعر بأنه قد تعب وفتح مذكرته التى يدون فيها خراطمه وأسماء الموضوعات التى يود الكتابة عنها فقرأ فيها أسماء هذه الموضوعات : (١) حماسة شاعر عصرى (٢) هكذا نحن (٣) حرفة الكتابة (٤) الأولاد الأشقياء فى الليل (٥) إحساسى بالمكان . !

فقدم فجأة من الكرسي ثم رأى وجهه فى المرآة ثم ابتدأ ينظر إلى الأفق من شبك غرفته وأراد أن يفكر غير أنه أحس أن رأسه أصبح فراغاً مطلقاً . !

عمشان على نور

## بعد اسبوع

كان يبلو كالمجنون . .

بل ان سائق التاكسي ضمه مجنونا فعلا . عندما رآه يخرج من باب حديقة الريفيرا ، وهو يأتي بحركات هستيرية من يديه . وكأنه يكسر رقبة شخص ما . وسمعه يقول لنفسه بصوت مرتفع . مشحون بالغضب :

« بعد أسبوع . . بعد اسبوع واحد يا مجرمة . . »

. . . فوجيء السائق بمن طنه مجنونا . يفتح باب العربة بقوة . ويقذف بنفسه داخلها ، ويقول له بصوت متوتر :

— الثورة . . ميدان الحارة الرابعة .

وتردد السائق خطئة . هل يذهب بهذا المجنون الى حيث يريد . ام يطلب منه ان يغادر العربة ؟؟ ولكن تردده لم يצל . فلم يلبث ان دار المحرك ، وانطلقت العربة في طريقها الى منية الثورة .

~ ~ ~

وفي حديقة الريفيرا ، حول مائدة عليها زجاجات الميموناده ، واكواب الشاي . كانت تجلس فتاة فاتنة وهي تتبادل نظرات المدهول مع شاب يجلس معها حول المائدة كن كل منهما لا يدري ماذا يفعل . واما ما يقول . واخيرا كان الشاب هو البادى بالحديث . سأف :

— « اهذا هو ؟ »

— « نعم انه هو . »

— « لماذا لم تتحدثي اليه ؟ »

— « وماذا أقول له ؟ »

— « توضحين الأمر . . تخبريه بكل شيء . . »

— هل تظنه يفهم أو يعذر .

• • •

كان سائق عربة التاكسي يسوق بحذر . نصف بدله الى الطريق وانصف الآخر يراقب المجنون ، خشية ان يفاجئه بضربة على قفاه . أو ان يفتقر من العربة وهي سائرة . فيسبب له متاعب هو في غنى عنها . ولكن هذا كان في عام آخر . . كان يعيش مع ماضيه وامانيه واحلامه .

هو من أبناء شمالية . أتم دراسته الثانوية بمدرسة دنقلا . وكانت شهادته تؤهله لدخول الجامعة . ولكنه لم يكن راغب في الدراسة . كان يستعجل الوظيفة . وقد تم له ما أراد . وعين في الدمر قريبا من أخيه وأقاربه في عطبرة .

وعاش حياة مستقيمة . لا يسكر . ولا يعرف النساء . وكان والده ميسور الحال ولذلك كان مرتبه يذهب الى دفتر التوفير في مكتب البريد . وكان حلم ولدته ان تراه عريسا . وما من مرة ذهب للبد . الا وحدثته في أمر الزواج . وخبرته بين عدد من فتيات البلد الجميلات .

تذكر كيف كان يراوها . ويخفق مختلف الحنج ليهرب من التقيد الذي كانت تريد ان تقيده به . وذات مرة اصغر ان يقول لها الحقيقة . احبها أنه لا يريد الزواج من البلد وإنما نفسه واحدة من بنات العاصمة . آه بنات العاصمة . الفساتين القصيرة . الكعوب العالية . الباروكات التي تجعلهن كالمملكات . الحديث الدسم . الحظوف . الرقة . لقد وجد نفسه مفتونا بكل هذا . بل مجنونا به . وكان ينتهز كل فرصة لزيارة العاصمة . الى ان نجحت مساعيه . وتم نقاه اليها . وفاجئه صوت السائق وهو يقول انه انهما قد وصلا ميدان الخارة الرابعة . وكان المنبر الذي يقصده قريبا من الميدان . ففضل ان يذهب اليه راجلا . وغادر العربة بعد ان أعطى السائق

أجبره . وهى الطريق الى المنزل . عاد الى ذكرياته وحلامه . . . منذ ان  
نص نى العصمة . وهو يبحث ويبحث . عن واحدة يتزوجها . ورشحت  
له الكثيرات . ولكنه كان مترددا . وعلى الرغم من رغبته القوية فى الزواج  
بواحدة من بنات العاصمة . وبرغم اقتدانه بهن . كان يخشاهن ويحذرهن .  
الى ان وقع القاس فى الراس .

رآها فى زواج زميل له . سحره جمالها واخذته فتتها . ووجد نفسه  
يقرر أن يضع حدا لمرده . . . وسعى حتى عرف من هى . ومن أبوها .  
وذهب الى أقرباء له . بام درمان واخذهم معه الى منزل والدها . حيث  
وافق ان يزوجهها له . وحدد يوم قريب لإعلان الخطبة . . .

كانت تلك المينة أسعد لياليه . الأنوار . الزينات . زغاريد أمه واختيه  
صوت المطرب يردد اغاني الحب والمودة . اصداقاه وزملاؤه يملأون  
المكان صخباً . صديقاتها يحطن بها كما تحيط الوصيفات بالملكة . وهى  
داخل الكوشة « ينظر اليها مفتونا . مسحورا . يظن نفسه فى حلم .

وعاش هذا الحلم الجميل . ضيلة الأيام السبعة الماضية . ولكنه استيقظ  
الليلة . وبألم من يقظة . كان مقدرا لحلمه الجميل ان ينتهى هذه النهاية  
الحزينة . المؤلمة .

لم يكن قد دخل حديقة الريفيلا قبل تلك الليلة . كان قد سمع عنها  
وفى مساء ذلك اليوم كان محتارا أين يذهب . وارتدى ملابسه . وخرج من  
المنزل دون ان تكون له وجهة يقصدها . وخطر له ان يذهب الى الريفيلا  
.. فذهب .

كان يتجول بين الموائد عندما سمع صوتها . صوتها الذى يعرفه جيدا  
ومع ذلك كذب اذنيه . تسمر فى مكانه . . وكأن كل خلية فيه أذن تسمع  
.. انها هى . . انها هى . . واندفع نحوها فى جنون . حتى وقف أمامها .  
وأمام الشاب الذى كانت تجلس معه وسأها بصوت غاضب . . من هذا . ؟



ولما لم تجبه ، صفعها بكل قوته ثم انتزع من أصبعها حاتم الخطبة .  
وغادر المكان وهو يقول لنفسه بصوت عال :

— بعد اسبوع . . بعد اسبوع واحد يا مجرمة ، وظلت هي وصاحبها  
يتبادلان نظرات الدهشة والذهول .

\* \* \*

كان الرجل يصلي العشاء عندما سمع طرقا على باب منزله . فلما انتهى  
صلاته ، قام ففتح الباب ليجد أن الطارق خطيب ابنته . دعاه الى الدخول ،  
وهو يحس بأن مصيبة توشك ان تقع على رأسه .

جلس الشاب صامتا ، ورب المنزل جالس بجانبه على السرير ينظر اليه  
دهشا من حالته ، وقلقا من صمته . ولما طال الصمت قل الرجل للشاب :

— ان شاء الله ما تكون في عوجه ؟ .

— الحقيقة انا جيت افسخ الخطبة . .

ووجد الرجل نفسه يصرخ .

— بتقول شنو ؟

— عاوز أفسخ الخطبة . .

— ليه . . حصل شنو ؟

— لقيت بتك في الرفيرامع راجل غريب .

وأحس الرجل بالضربة تقع على رأسه وتقضم ظهره ، اراد ان يقول  
شيئا ولكنه لم يجد صوته أما الشاب فقد انتزع من اصبعه الخاتم الثاني . ووضع  
الخاتمين فوق السرير ، واسرع يغادر المنزل .

وجاءت أم الفتاة . فوجدت الأب يضع يديه على رأسه ، ويردد :

— لا حول ولا قوة الا بالله .

— مالك ؟ — قالتها في جزع .

- بتاك فضحتنا فضيحة كبيرة .
- عملت شنو ؟
- لقاهما خطيبها فى الريفيلا مع راجل غريب . .
- مش ممكن . . مش ممكن . . كذاب . . كذاب . . بتى عندها شغل فى المكتب وراحت الشغل . . وانفجر الأب غاضبا :
- الله يلعن ابو الشغل ، وابو اليوم الدخلت فيه الشغل . . انا لو ما الحاجة بخليها تمرق ، أو تمشى المكاتب . .
- يمكن ما هى . يمكن واحدة بتشبها .
- ووجد الرجل فى ما قالته زوجته قشة يتعلق بها الى ان تعود ابنته ونسى الخاتميين الراقدين بقربه على السرير .
- ظل الرجل جالسا على سريريه ، وزوجته على القروة قرب رجله فى انتظار عودة ابنتهما ، ومضت اللحظات طويلة . مشحونة بالقلق والرقب وظلا على حالهما تلك . الى ان سمعا آذان الفجر . فقام الرجل ليصلى الصبح ، وترك زوجته تسفع الدموع . .

جمال عبد الملك ( ابن خلدون )

## العبثية ....

فى كل زيارة كانت تقول له :-

— « انا زهجت خلاص . . سأقتل نفسى » . .

ثم تنخرط فى البكاء . . .

وكان سليمان ينحنى فوقها يمسح على شعرها الأملس ويطيب خاطرها .  
ثم يأخذها برفق بين ذراعيه . مؤكدا لها انه فى القريب سيجد لها عدلا . .  
وهكذا حتى تجفف دموعها وتنطق تجهز له البيرة الباردة والاقداح الكبيرة .  
كان قد حفظ الدور الآن . . طقوس لا بد منها . فى كل مرة كانت  
تؤكد له كم هى مطلومة وبائسة وشقية . وتتساءل ماذا سيكون مصيرها  
عندما يذبل شبابها ويذوى بفعل الدخان والسهر والسكر . هل تمسى مثل  
تلك العجوز ضعيفة النظر التى تغسل ملابس البنات القذرة ؟ أليس الموت  
أهون من ذلك المصير ؟

وهل تظل محكوما عليها باستقبال اصناف من الرجال كل يوم . .  
بل كل ساعة . . منهم الوسيم والديم . الصحيح والمريض . الكريم والبخيل  
. . وعليها أن ترضيهم جميعا ؟ .

كانت تبكى بحرقه وتنسى أنها انما تردد افكاره التى زرعها فى دماغها  
عندما التقى بها لأول مرة . وكان قد قرأ رواية « الجريمة والعقاب »  
لدستوفيسكى وتأثر بموقف الشاب ( رديون ) وهو ينحنى ليقبل قدمى  
( سونيا ) الغانية الصغيرة البائسة وكان قد شرب كأسين من الجن المحلى قبل  
ان يدخل السينما . . وعثر فى حجرة سوسن على مجلات وكتاب . قالت  
مزهوة أنها تعلمت القراءة والكتابة فى المدرسة وان اسمها ( ست الجليل ) .

ولكنه أطلق عليها اسم سوسن ، وحكت له قصة مألوفة عن البنت التي  
أخطأت ثم هربت من أهلها القساة لتقع فى درائن مصير أشد قسوة وظلما .

أعجبه جسمها القليل وشعرها لناعم وبسرتها المحمية . . قد خاها  
الحياة يجب ان تكون أفضل وانه كتب موضوعا وبعث به للصحيفة اليومية  
يقول فيه ان البغاء مثله مثل التسول والعطلة - عرض رائل من أعرض  
المجتمع الاستغلاى يجب ان ينتهى . ووعده ان يحد لها حلا . .

بكت البنت فربت على ظهرها برفق . . وقد ندم على ذلك فيم، بعد . .  
ولكنه نال لذة مضاعفة ولم يستطيع الانقطاع عنها فهو من النوع الذى يتهيب  
التغيير برغم كل ما رده عن ضرورة التغيير ثم أن البنت نظيفة وشابة . .  
نصحه أصحابه الا يتورط مع سوسن فهي مجنونة . . البنات قنن أنها مرة  
قذفت تاجرا ثريا بزجاجة فارغة عندما حاول ارغامها على مجالسته . . ومرة  
أخرى اقترحت سوسن على البنات تكوين نقابة فزحرت بها ( جليلة ) سيدة  
البيت ذات الاساور والبطن الحسيمة . .

قال له الياشكاتب الفارع الطول عبد الجليل . .

— « فكرتك هذه يا سليمان بلا ريب . . ومن سيكون سكرتير النقابة وامير  
الصندوق ؟ » .

— « البنت ذكية يا عبد الجليل . . » .

— « شيطانة . . » .

عبد الجليل كان يعرف الحكاية من أولها وهو صديق العمر الذى  
لازمه منذ صباه المبكر . . مرة ألح عليه الشعور بالإثم حتى فكر أن يلقي  
بنفسه فى النهر عندما دهمه احساس غامر بالتحاذل اراء شراسة الطلاب  
الكبار . . ولكن عبد الجليل تولى حميته حتى طالعت ساقاه وغلظ صوته

وامتلاً وجهه بالبشور وتكشف الشعر تحت أنفه . .

قال له عبد الجليل :-

— « اسمع يا سليمان سوسن طموحة ولكنها قليلة الخبرة وأنت تلعب معها لعبة خطيرة . . تصع في رأسها أحلاما عسيرة وفي فمها كلمات كبيرة . . »  
انتبه سليمان . . ربما كان عبد الجليل يحسده على امتلاكه سوسن .  
عبد الجليل لا يعرف غير تلك المرأة البدينة السوداء ذات الاسنان الذهبية . .  
سليمان هو الوحيد الذى ارتفع بذوقه عن الشلة .

مد له عبد الجليل كراسة اصفر غلافها . . وقال :

— « كراستك تركتها فوق مكتبي بالأمس . . متى تتمها ؟ »  
ابتسم سليمان وهو يقرأ الكلمات القليلة التى خطها في أول صفحة . .  
— « سوسن فتاة جميلة سيئة الحظ ولكنها تحن للحياة الشريفة . . تغيرت حياتها عندما قابلت (س) الذى احبته بكل جوارحها ورجته ان يتشبهها من الوحل . . »

° \* °

فى المقهى كان الكراس لا يزال فى يده . . سلم الحذاء لماسح الأحذية  
وقال لعبد الجليل :

« آخر مرة ررتها وجدتها راقدة محمومة . . وكانت تلفظ كل ما يدخل  
فى جوفها . . نخيسة تلك المرأة جلييلة . . »  
قلت لى . لماذا لا تحملها للدكتور . تخاف ان تسير معها فى الطريق . .  
اذن اطلب الدكتور ليحضر هنا .

قال له عبد الجليل :

— « ربما حملت بولى العهد . . »

ولكن سليمان قاطعه بحدة قائلا :

صحبته للطبيب . قال عندها ملاريا قديمة . . ومعوياتها هابطة .  
وهي لا تذوق الطعام الا قليلا . .

« سمعتها تردد انها تحتقر نفسها وانه لا أمل لها في دنيا ولا في آخرة . . »  
« هل تصدق أنها ستتحرر ؟ »

— كدهن يقلن هذا . . اسمع يا سليمان . . البنت تريد أن تورطك . .  
انها تحن لبنت لا يطرق بابها سوى رجل واحد . . وها انت تحضر لها  
مجلات وكتبا وتحدثها عن مزايا الشرف !! »

— « يجب ان تتمرد على واقعها أولا . . »

— وعندما تتمرد . . ماذا يحدث ؟ هل تطلب منها ان ترضى بحظها من  
الدنيا لان واقعها مقدر ومكتوب منذ الأزل ؟ .

— « وماذا أفعل ؟ »

— « دعها . . . »

لم يجرؤ ان يقول لعبد الجليل انها اعطته ما يزهو به وسط أقرانه أيام  
نعطلات حول مائده لوست المنصونة وزجاجات ( الشرى ) وانه يشعر  
معها انه سيد الرجال . . وانه ينتظر معجزة . . عبد الجليل لا يعرف انه ايام  
نادرة عندما كان سليمان يشرك زملاءه تعاونهم على المقدسات كان يتوسل  
لسماء بعد ذلك في غرفته الا تأخذ هفواته مأخذاً جدياً . . وهو الآن ينتظر  
معجزة . . الزمن كفيل بخلاصها . . ولكن عبد الجليل كان ينهره قائلاً :  
« دعها يا سليمان . . هناك غيرها . . لا تتورط أكثر من ذلك . . »

• • •

كان يدخر النقود لمباراة كرة القدم في الغد . . ولكنه بارح المقهى  
وحيداً وترك عبد الجليل يثرثر مع أحد اقربائه . . وجد نفسه يسير في الطريق  
المؤدى لبنت جلييلة . . اشترى سجائر وحلوى ومضى قدماً في الطريق

المألوف . . . وعندما اقترَب لاحظ جمعا من النسوة والصبية والمنحنيين يولولون . . . اقترَب أكثر . . . التفتت نحوه المرأة العجوز وقالت له . . . ست الخيل صبت على نفسها البخار واشعلت النار واحترقت في الظاهر . . . ماتت في الاستتار في المساء . . . »

تشوّهت . . . ماتت . . . اقتحرت . . . لم تكن تكذب !  
داخ وأحس بالحدردان تطبق عليه . . . ولكنه تماسك . . . وضع نفسه داخل عربة ( تاكسي ) وحمل هم الليل والأرق والغثيان . . . قال للسائق :  
« أذهب بي بعيدا » .  
نظر اليه اليه السائق طويلا ثم قاد سيارته على مهل . . .

## رسالة إلى إيلين

عزيزتي إيلين .

لأن انتهت من فصل حصصى أنت عطيمة وأنت أدري ماذا أفعل .  
 . . . . . كل شيء يرمى وضعته في الحقائق تسعة قصصان فإن  
 هوس ثلاثة منها لا تحتاج للكى . أعساها ونسندنها وابسها . وأنت  
 بعينين أنى لن فعل سيئ من . . . . . ربطة العنق التى اشتريتها فى  
 نعم المصلى فى بوند ستريت . وجدتها مع خمس كرافتات أخرى .  
 خمس كرافتات تكفيت . أنت من تخرج كثيرا ولما يدعوك أحد لحفلة .  
 ويدا دعيت فلا تذهب . كم أحببتك لأنك لم تنس أن تضعى فى حقائقى  
 هذه الربطة . ربطة عنق فرميرة اللوب . واحدة من ملايين الأشياء الصغيرة  
 التى تشبه قابى إيلك . فى مثل هذا الوقت من العام الماضى . بعد ثمانية  
 أشهر من معرفتى إيلك . فى تمضار ليدى يسير تحت لأرض . الساعة السادسة  
 وأدس مزدحم . ونحن واقفان وأنت متكئة على . فجأة قلت لك .  
 نبي أحبك . أريد أن أتزوجك . حمز خذاك وانتك الناس إلينا . طيلة  
 ثمانية أشهر عرفت فيها لم أقل لك أنى أحبك . كنت أتهرب وأدري وأزوح  
 ثم فجأة وسط الرحا . فى الساعة السادسة مساء . حين يعود الناس التعبين  
 مرهقين من بيوتهم بعد عمل شاق طيلة اليوم . فجأة خرجت الكلمة المنحرفة  
 من فمى وكنتى محموه يهذى . لا أعلم أى شيطان حرك لسانى . أى تأثير  
 أثارنى . ولكننى شعرت بسعادة عظيمة . فى تلك الساعة . فى ذلك الجو  
 الخائف . بين تلك الوجوه الكالحة المكدودة التى اختفت وراء صحف المساء .  
 ولما خرجنا ضغطت على يدى بشدة . ورأيت فى عينيك طيفا من دموع .  
 وقلت لى : « إنك مهووس . أنت هوس رجل على وجه البسيطة . ولكننى



أحبك . إذا رأيت أن تزوجني فأنت وشأنك .

ثمانية أشهر وأنا أتهرب وأحور وأحاضر . أحصرك في القودوق لتي  
تمرقنا . الدين والبلد والجنس . نت من أبردين مي سكتلندا وأنا من الخرطوم  
أنت مسيحية وأنا مسلم . أنت صغيرة مرحة متفائلة . وأنا قلبي فيه جروح  
بعد لم تدمل . أي شيء حبيبي فيك ؟ أنت شقراء - ررقاء العيين مثلثة الجسم .  
تحيين المساحة ولعب التنس ، وأن طول عمري أحن في فتاة سمراء . واسعة  
العيون . سوداء الشعر . شرقية السمات . هادئة الحركة . أي شيء حبيبي  
في . أنا الصانع الغريب . أحمل في قلبي هموم جيل بأسره ؟ أنا المغرور  
القلق المتقلب المزاج ؟ " لا تتعب عقلك في تفسير كل شيء . أنت حصار  
هزم من بلد متأخر . وقد أراد القدر أن يصيبني بحبك . هذا كل ما في  
الأمر . تذكر قول شيكسبير . كيوييد طفل غفريت . ومن عفرتته أنه أصاب  
قلبي بحب طامة كبيرة . مثلك . وتصحكين . ويقع شعرك الذهبي على  
وجهك فردينه بيدك . تم تصحكين صحتك التي تحكي رنين القضة .  
وذهبتنا إلى مطعم صيني واحتفلنا . وكنت نسيت أن اليوم هو يوم ميلادي .  
أنا لا أحفل بأمرى ولا بيومي وأنت تحفلين بكل شيء . أنت تذكرت .  
فأحضرت ربطة العنق القرمزية هذه . كم أحبك لأنك وضعتها بين متاعى .  
عزيزتي إيلين ،

هذه هي الليلة الأولى بدونك . . . منذ عام . منذ عام كامل . ثلاثمائة  
 وخمس وستون ليلة . وأنت تشاركيني فراشي . تنامين على ذراعي .  
تختلط أنفاسنا وعطر أجسادنا . تحلمين أحلامي . تقرئين أفكاري . تحضرين  
إفطاري . نستحم معاً في حمام واحد . نستعمل فرشاة أسنان واحدة .  
تقرئين الكتاب وتخبريني بمحتواه فأكتفي بك فلا أقرأه . تزوجتني .  
تزوجت شرقاً مضطرباً على مفترق الطرق . تزوجت شمساً قاسية الشعاع .  
تزوجت فكرياً فوصي وآمالاً ظمأى كصحاري قومي . الليلة الأولى عداك ،

ي طمأنة من ابردين - وصعقتها الأقدار في طريقى تبينك وأختى .  
أختاه . ي أختاه المذلة الرمادية التى تؤثرينها - ثلاث بدن أكثر من  
الكندية . رجل متزوج يقضى شهرا مع هاء . لن يحفل لك أحدا . ولن  
تهم بك صبايا بلدك . ولا حاجة بك إلى هندمة نفسك والاعتناء بشكلك .  
ومهمم يكن فان شكلك لا تجدى معه هندمة . إذهب وعد إلى سليما : إذا  
ضحكت لك منهن فتاة فكشر فى وجهها .

اطمئنى فلن تصحك لى فتاة . أنا فى حسابن كنخلة على الشاطيء  
اقتلعها التيار وجرفها بعيدا عن منبتها . أنا فى حسابن تجارة كسدت لكن  
ما أحلى الكساد معك .

الليلة الأولى بدونك . وبعدها ليل ثلاثون كغفارة ليس لها آخر .  
سأجلس على صخرة قبالة دارنا وأتحدث إليك . أنا واثق أنك تسمعينى .  
أنا واثق أن الرياح والكهرباء التى فى الأثير والهواجس التى تهجس فى  
الكون . سترهف آذانها . وستحمل حديثى إليك . موجات هوج من قلبى .  
تستقبلها محطة فى قلبك حين تنامي مدى ذراعك حيث أضع رأسى على  
نوسادة . فأننى هناك معك . حين تستيقظين قولى . صبح الخير « فأننى  
سأسمع وأرد . أجل سأسمع . أنا الآن أسمع صوتك العذب الواضح تقولين  
لى : « اسعد فى عطلتك ولكن لا تسعد أكثر مما يجب تذكر أنى هما  
أتضوى وأنتظرك . ستكون مع أهلك فلا تنس انك برحيمك ستركنى بلا  
أهل » .

أتم الخطاب وثناه أربع نيات ووضعته فى الغلاف . تم كتب العنوان  
ورفعه بين أصبعيه وتمنعه طويلا فى صمت كأن فيه سرا عظيما . نادى أخاه  
الصغير وأمره بالقاءه فى البريد . مرت بعد ذلك مدة لم يعرف حسابها . لعلها  
طالت أو قصرت . وهو جالس حيث هو لا يسمع ولا يرى شيئا . وفجأة  
سمع ضحكة عالية تنهاى اليه من الجناح الشمالى فى البيت . ضحكة امه .

واتضح لأذنيه اللفظ . لعظ النساء اللاتي جئن يهتن أمه بوصوله سائلا من  
 البعد البعيد . كلهن قريباته . فبين العمة والحالة وابنة نعم وبنة الحالة وظل  
 كذلك برهة . ثم جاء بوه ومعها حشد من الرجال . كلهم اقربؤد . سلسوا  
 عليه وجلسوا . جئء بالقهوة واشأى وعصير البرتقال وعصير الليمون . شئء  
 يشبه الاحتفال . سألوه أسئلة رد عليها . ثم بدأوا فى حديثهم الذى ظلوا  
 يتحدثونه طول حياتهم . وشعر فى قلبه بالامتداد ضم أنهم تركوه وشأنه  
 ومجأة تضخمت فى ذهنه فكرة ارتاع ذ . هؤلاء القوم قوم . قبيلة ضخمة  
 هو فرد منها . ومع ذلك فهم عربء عنه . هو غريب بينهم . قبل أعوام كان  
 حلية حية فى جسم القبيلة المترابط . كان يغيب فيخلف فراغا لا يمتلئ حتى  
 يعود . وحين يعود يضافحه أبوه ببساطة وتضحك أمه كعادتها ويعامله بنية  
 أهله بلا كلفة طوال الأيام التى عيها . ما الآن . أبوه احتفضه بقوة وأمه  
 ذرفت الدموع وبنية أهله بلغوا فى الترحيب به . هذه المبالغه هى التى  
 أزعجته . كأن احساسهم الطبيعى قد فتر فدعموه بالمبالغة .

« طويل الجرح يغرى بالتناسى » .

و سمع صوت إيلين واصبح عذبا تقول له وهى تودعه : أرجو  
 من كل قلبى أن نجد أهلك كما تركتهم . لم يتغيروا . أحم من ذلك أن تكون  
 أنت لم تتغير نحوهم .

آه منك يا زمان التروح !

## نخلة على الجدول

ويفتح الله ! . . .

« عشرون جنيهاً يا رجل . خُل منها ما عليك من دين . وتصحح .  
حالك . وغدا العيد . وانت لم تشتري بعد كبش الضحية ! واقسم لولا اني  
أريد مساعدتك . فال هذه النخلة لا تساوي عشرة جنيهاً . »

وتلملم حمار حسين التاجر في وقفته . ولم يكن صاحبه قد ترحل عنه  
فانه لم يرد ان يظهر لشيخ محجوب تنهعه على شراء النخلة ذات البنت الخمس  
التي يسميها السودانيون في الشمال الأساس . . وقد قامت وسطها النخلة  
الأم . ممشوقة متغطرة . تتلاعب بغدائرها السمات الباردة التي هبت من  
الشمال تحمل قطرات من مياه الليل . ورأى الحمار الأبيض البدين حمارة  
أنثى ترعى عن بعيد بين سيقان الدرة . فنهق نهيقاً أجهد ممتداً . ثم رفع  
رجله الخفية اليسرى ووضعها . ورفع رجله الامامية اليمنى ووقف على  
حافة حافره ، وتشاغل بحصل من نبات « السعدة » لريانة التي نمت على حافة  
الحنول . وكأنه قد تبرم بهذه المساومة التي لم يكن من ورائها ظئل . والحق  
ان حسين التاجر . بثيابه لبيضاء الفضاضة . وعباءته السوداء التي شترها  
في زيارة له للخرطوم . وعمامته من « الكرب » نمرة واحد . وحذاته  
الأحمر الذي لم تخرج أيدي صناع « المراكيب » (١) « في القاتر أجود منه .  
وحماره الأبيض البدين اللامع . والسرّج الأحمر المدهن . والفروة البنية  
التي تدلت وكادت تمس الأرض . كان صورة مجسمة لكبرياء والغطرسة .

ولكن شيخ محجوب لم يجر جواباً . وكان يبدو في وقفته تلك كالمشده  
يرنو إلى أفق بعيد متناء . ورويدا رويدا خفت في ذنيه ضوضاء « أهل

الخير « الذين تجمعوا ليتوسطوا بين لتاجر وشيخ محبوب . وخفت سوت  
الساقية الحزين المتصل .

ولف ضباب الذكريات معالم الأشياء الممتدة أمام ناصري شيخ محبوب  
الناس والبهائم وغابة النخيل الكثة المتلاصقة . وأحواض الذرة المازجة التي  
لم تحصد بعد . والأحواض الجرداء اندرية قطعت منها الذرة . وسرحت  
على بقاياها قطعان الصنآن والماعز . كل ذلك تحول إلى أشباح يترقص في  
وسطها جريد نخلة محبوب . وفي قف من لمحاة الطرف استعرض الرجل  
حاضره . أجل . غدا عيد الأضحى حين يخرج الناس مع تروق الشمس  
في ثيابهم النظيفة الجديدة . ويصلون مجتمعين على مقربة من ضريح الشيخ  
صالح . واذ يعودون إلى بيوتهم تضح وجوههم بالبشر والسعادة . وتسيل  
دماء الأضاحي . ويقبل الأضياف ويخرجون . ويردد في الحى صدى  
صحكاتهم أما هو . . . ما بيته . “ انه لا يملك ثوب نظيف يخرج به إلى  
الصلاة . وليس عند زوجته غير ثوب زرق . اشتراه لها قبل شهرين قال  
منه البلى وتراكت عليه الأوساخ . أما ابنته خديجة فقد كادت تفت قلبه  
بيكائها من أجل ثوب جديد تعرضه على لئامها وتعيده مع صاحباتها . ومن  
أين له جنيهات ثلاثة يشتري بها خروفا يضحى به “

وتتم شيخ محبوب في صوت لا يكاد يسمع . شيء يشبه التوسل  
والابتهاج : « يفتح الله » وزم شفثيه في عصبية . وعاد بعقله خمسة وعشرين  
عاما إلى الوراء . ألا ما أعجب تقلبات هذا الزمن ! لقد كان يومئذ شاب  
قويا أعزب لم يبلغ الثلاثين بعد . يعمل في ساقية أبيه مقبل كسوته وشرابه .  
فلم يكن يحتاج إلى المال . ولم يكن يعرف له قيمة . وفي ذات صباح مشرق  
من أصباح الصيف . مر بابن عمه اسماعيل . وكان الأخير مهمكا يتلع  
الشتل ليغرسه في أماكن أخرى من أرض الساقية . ووقع نظر محبوب على  
شتلة صغيرة رماها اسماعيل بعيدا . على أنها خالية من « الاضراس » لا تصلح

فالتقطها محجوب ونفض عنها التراب . وقال لابن عمه ضاحكا : يا كز  
تشوف دى تبقى تمره زى العجب » وتبسم اسماعيل فى سخرية ، واستغرق  
فى عماءه . وعلى حافة احدول قريبا من الساقية . شق محجوب حفرة صغيرة  
وضع فيها النخيلة . وورداها التراب وفتح لها الماء بعد ان تلايات من  
البحر وردد فى سىء من الخشوع : بسم الله . ما شاء الله . لا حول ولا  
قوة الا بالله . مثلما يضع أبوه كلما غرس شتلة أو حصد نبتا . ولم ينس  
ان يصب فى الحفرة قليلا من ماء الابريق الذى يتوضأ به أبوه تيمنا وتبركا .

وانزل محجوب غصنة صعدت فى حلقه . ثم مرر أصابع يده النخيلة  
المنعوفة بين شعيرات خيته المنفرقة . ألا ما كان أبرك ذلك العام ! بعد ستة  
أشهر فقط من غرسه النخيلة تزوج من ابنة عمه . ولم يكن يملك من مال  
الدنيا شروى نغير . ولا هو يدري الآن كيف تمت المعجزة . انه لم يكن  
يظن ابدا انه سيتزوج فى يوم من الأيام . هو الذى عاش أيام صباه منبوذا  
محترقا من أهله مجفوا من الحسان . يتهمة كل أحد بالنباء والخيبة . وطائما  
ترجم وهو يخوض الماء فى لدغة البرد . عارى الرأس . عارى الصدر :

« الدنيا بتنهيك والزمان يثورك »

وقل المال يفرقك من بنات واديك »

غير أنه تزوج . ولبس حريرة العرس . وتمسح بالدلكة . ووضع  
على رأسه الضريبة . وأحاطت به الصبايا بهزجن بالأغاني . ولكم شعر  
بالعظمة والكبرياء وقتها . كل ذلك بعد غرسه النخلة بستة أشهر . وفى العام  
التالى ولدت زوجته بنتا اسمها آمنة تيمنا بمقدمها . ووفاء لذكرى جدته  
التي كانت تعطف عليه من بين أهله جميعا . وحينما وصل به تيار الذكريات  
الى مولد آمنة ، ترقرق فى عيونه الدمع . أين الآن آمنة ؟ أمها زوجة لابن أخته  
الذى حملها الى أقاصى الصعيد فى الجزيرة . وقد كانت تبه وتعتطف عليه .  
ليت حسنا كان مثلها عطوفا بارا . حسن ! وعرض الرجل على شفته

السفلى بعنف حتى كاد يغرس أسنانه فى لحمها المتهدل . حسن ابنه الوحيد .  
 سافر قبل خمسة أعوام إلى مصر . ومن وقتها لم يرسل لهم حتى خطابا واحدا  
 يطمئنهم فيه عن صحته . لقد حاول الرجل جاهدا أن ينساه . ويحجوه من  
 ذاكرته ، ويعدده من الأموات . وكانت زوجته تبكى كلما ردد محبوب  
 فى صوت حزين متهدج بيت الدويبت الذى كان له خير سلوى . كلما  
 جاشت بنفسه الذكري . وكلما تمثل ابنه طفلا صغيرا حلوا يبول فى حجره .  
 ثم صبيا يساعده فى أعمال الساقية . ثم شابا يافعا يشب عن الطوق . ويهجر  
 الأهل والدار . وينسى حقوق الأبوة . ولا يسأل عن الأحياء ولا الأموات .  
 أجل والله - الزول ان أباك خليه واقع منه . وكم لله من دفن الجنى  
 وفات منه » .

وكأن القدر أراد أن ينسيهم كل شيء يربطهم بحسن . فرمى آخر  
 ما فى جعبته من سهام قاسية مسمومة ظل يسدها منذ عامين . تباعا دون  
 توقف . وأصاب السهم الأخير العجبة ، البرقة ، التى ردها حسن ، وجمع  
 لها الحشيش وأشركها طعامه وأنامها فى فراشه . ماتت وما عادت تنغو فى  
 بكرة الصباح حين كان حسن يقفز نشيطا خفيفا من فراشه فيطعمها ويستقيها  
 ويأخذها معه الى الساقية . ترعى وتمرح وتلف الزرع ريثما يفرغ هو من  
 عمله . ماتت . وكذلك اجتاح المحل والقحط كل التمتع الذى رباها شيخ  
 محبوب .

ثم رفر ف طائف من السعادة على الوجه الخشن المجعد . وجه محبوب  
 وغابت المرارة التى أحدثها ذكرى حسن عندما تذكر الرجل قطيع الضأن  
 الذى رباها فى ذات الغد الذى شهد مولد آمنة . قطيع كامل من نعجة واحدة  
 اشتراها بما تجمع عنده من ثمن حبضان البصل . كان يعاملها كما يعامل أباءه .  
 يحلب لبنها بنفسه ويكوم القش فى مراوحها ويفك لها صغارها ويلبث الساعة  
 والساعتين يداعبها وينظف وبرها . وتغمره السعادة وهو يشاهدها تناغى

صغارها وتشرّب الماء المخلوط بالدريش . وتتناطح فيما بينها . كان يطلق عليها الأسماء كما يسمى الناس أطفالهم . يعرف كل واحدة منها بسيماها . ذات الذيل الأبيض . ودات البقعة السوداء على أم الظهر كسرج الدابة . والخروف ذو القرون المكسورة . والخروف ذو القرون المتوتية . وبعد عامين من زواجه شترى عجلة صغيرة عجفاء والاها بالرعاية والحبوب حتى استوت بقرة جميلة كحيلة العينين لها غرة في جبينها تجر الساقية وتدر اللبن . وهي أثناء ذلك أثمرت نحلة الجدول . أول شيء يمتلكه في حياته . وسدرت الحياة رغدا كأنما استجاب الله دعاءه يوم شق في الأرض على حافة الجدول وغرس النخلة . لقد استغنى عن أبيه . وبنى لنفسه بيتا يؤويه مع عائلته . وصار ثريا بعد المال مثل أى تاجر . يجلس فى السوق منتصباً تملأه الثقة أمام كوم الدرة . يكيل منه للمشتريين ويتهر زملأه غير هباب ولا مكترث . وصار يلبس التنظيف . ويأكل الطيب . وينام على الفراش البين . ويتدثر فى برد الشتاء ببطانية ثقيلة من الصوف انفق فيها جنيهين . وحسما كان الناس يتبرعون فى الأعراس بخمسة قروش كان يتبرع هو بعشرة . وبزجاجة مليئة من سمن الضأن النقى . وكيلة من أجود أنواع التمر . التنديل . حتى لقب بالظريف بعد أن كان يلقب بالغبي . ولولا تعلقه بزوجه لتزوج بنتا بكرا يتهافت عليها خيرة شبان البلد .

كل هذا عفى آثاره الزمن . لقد مات الزرع . ويبس الضرع . وعم القحط فأغرق الرخاء . وحما الشيب فطفا على الشباب . وكان النيل يفيض بين ضفتيه زائخا موارا . يسقى الأرض ويخرج ما فى باطنها من الخير ، فما عاد يفيض إلا بحساب ومقدار . أتراها الخزانات التى أقاموها عليه فحجزت الماء ؟ أم تراها نبوءة الشيخ ود دوليب تحققت ؟ لقد أُنذر الناس فى يوم من الأيام انه سيأتى عليهم يوم . يصير فيه اللبن كثيرا نافها مثل الماء . وتصير كيلة الذرة بقرشين ، ويصبح ثمن النعجة ريالين . ولكن الناس كدأهم أبدا سيضيعون بهذا الخير . وسينهمكون فى الغنى وينسون الله



فأخذه الله بذنوبه . وفكر شيخ محبوب برهة . وحدث نفسه بأنه لم يرتكب كثيرا من المعاصي . صحيح أنه كان يشرب الخمر أحيانا ويرقص في الأعراس ويحس الحسان المطر على عفلة من أم حس . ولكنه لم يؤخر فرسا ولم يبتذ عرسا ولم يفعل شيئا من هذه المعاصي التي يقول فقهاء القرية إنها كبائر تعضب الله . لا بد له الكبير الذي فت من عصده وأرخى من مصاصه . فما عاد يحتمل لذعة البرد ولا قائظ الحر . ولم يكن حريصا على ما عنده من خير . فبدده أولا تأول . وفي غمرة تبعاه ومرير شيخوخته هجره ابنه حسن . وهو أحوج ما يكون إلى ساعده المتي . وهكذا ظل محبوب يكبد الفاقة وحده . فاستند وره وبيع . وليس عنده اليوم من مال الدنيا إلا بقرة واحدة وعرتن وهذه النخلة التي ظل جاهدا يحاول استبقاها .

وقضع عليه ذكرياته نهيق حمار التاجر . وصوت صاحب الحمار وهو يقول له : يا رجل انت ساكت زى الأبله مالك ؟ ما تدين كلمة واحدة خيلنا تمشي ؟ ! وكان رمضان قد جاء من طرف الساقية . وقال لمحبوب ان عشرين جنبها ثمن معقور . خاصة وهو أحوج ما يكون إلى المال . وفكر الرجل برهة مترددا بين الرفض والقبول . عشرون جنبها يستطيع أن يحل منها دينه . ويشتري ضحية العيد . ويكسو نفسه وأهل بيته . ولكن ربحا قوية هبت تتلاعب بخريدة النخلة . فأخذ يوشوش ويتعارك ويتلاطم كغريق يطلب النجاة . وبدت النخلة لمحبوب في وقفته تلك رائعة أجمل من أى شيء في الوجود . وهفا قلبه لابنه في مصر . ترى هل يحزن لنداء الرحم ؟ هل تؤثر في قلبه الندوات التي أرسلها لمحبوب في هداة الليل ؟ وأحس الرجل بفيض من الأمل يملأ كيانه ويطغى على إحساسه . وترقرق في عينيه دمع حبسه جاهدا . وتتم : « يفتح الله . أنا تمررتي ما ببيعها » وردد الرجل في نفسه : . يفتح الله . وقاده ذلك إلى التفكير في سورة الفتح من القرآن الكريم - « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » - الفاتحة - الفرج .

وأحس لأول مرة بأنَّ في عبارة « يفتح الله » شيئا أكثر من كلمة تنهى بها المبايعة ، وتقفل الباب في وجه من يريد الشراء . إنها مفتاح لمن أعسرده الضيق وأمضه البؤس وأثقلت كاهله أعباء الحياة . وما كان أحوج محجوب إلى الفتح والفرج حينئذ .

وجذب التاجر عنان حماره في صلف . ثم همز بطن الحمار بكعب رجله . وقال في صوت بارد كوقع الصوت : « يفتح الله : يفتح الله . باكر بتجى تلور الدين » .

وقبل أن ينطلق الحمار بعيدا أبصر محجوب ابنته الصغيرة تهول نحوه مضطربة فرحة . فتحرك في قلبه أمل بدا عسيرا مستحيلا أبعده عنه . ولم ينتظر الطفلة ريثما تصل ، بل أسرع نحوها يسألها عن الخبر : « شنو ؟ مالك ؟ وحاولت الصبية أن تفض إليه النبأ بصوت متكسر الشغ : « الناس . . . دالو ود ست البنات دا من مصر . . . وداب لنا معاه دواب من حسن أخوى » .

جواب من حسن ؟ وانطلق الرجل كالمجنون لا يفكر ولا يعي بنبض قلبه معربدا — بين جنبيه . يطغى الأمل بين حناياه مرة على اليأس . ويفيض اليأس تارة فيغرق الأمل . وابنته الصغيرة تمسك بطرف ثوبه المنسوخ ، تسرع جاهدة لكي تمشى معه . وهى أثناء ذلك تتباكى محتجة على خطوات أبيها المسرعة .

وفى بيت « ناس ست البنات » . انتظر محجوب بين صفوف المستقبلين وفى غمرة اضطرابه لم يفت عينه المستطلعة رجال يعرفهم جاؤوا يسألون عن أبنائهم وأقاربهم ونسوة يعرفهن جئن يسألن عن أزواجهن وأبنائهن . كلهم آمال مثل آماله . تجاذب اليأس ويغالبها اليأس . ولم تخطئ عينه الشاب الذى عاد من مصر . ود ست البنات يرتدى ملابس نظيفة ككل عائد من السفر . ويتكلم لهجة غربية على شيخ محجوب . يادى الثقة يادى الكبرياء . وأخيرا لمح الشاب شيخ محجوب بين المستقبلين فدلغ نحوه مبتسما . وشعر الرجل

بالصيق والخرج . إذ تحولت كل الأبصار نحوه . ولم يعِ شيخ محبوب من كلام محدثه إلا « حس مبسوط - قال لك تعفى عنه . أرسل لك ثلاثين جنيه وطرود ملابس » .

وفي الطريق إلى بيته تحسس الرجل رزمة المأل التي صرّها جيداً في طرف ثوبه . ثم غرس أصابعه في الطرد السمين تحت إبطه . وانحدر طرفه من عل إلى غابة النخل الكثيفة الممتدة عند أسفل البيوت . وتتميز في وسطها نخلة . ممشوقة متعطرسة جميلة تتلاعب بجريدها نسيمات الشمال . وخيل إليه أن سعف النخلة يرتجف مسبحاً : « يفتح الله . يفتح الله » .

## المقاعد الامامية

كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير والحمل الأخير لعرض فيلم « محكمات نور مبرج » . دار السينما مكتظة بالرواد حتى لم يبق موضع لمقفرج جديد ولكن رغم ذلك فقد كانت الصفوف المتراصة أمام شباكى المدرجتين الأولى والثانية ترحف فى بقاء قاتل نحو الشباكين والجميع فى شوق وتلهف للوصول وشراء التذاكر قبل نفاذها .

— ده اليوم السابع والأخير والرحمة بالشكل ده ؟ ان خايف شبك يقفل قبل ما أصل ونبقى اتحرمننا من التحفة دى .

— والله يظهر ده الحىحصل . . رد عبد الله وهو يتبع « على » خارج الصف ويتقدم معه كلما تحرك خطوة للأمام .

كانت الصالة الأنيقة البيضاء انشكل تضيق بمن فيها وقد أصبح جوها خائفا لرجا رغم المراوح العديدة المثبتة فى السقف والتي كانت تدور وتدور فى سرعة فائقة ولكن بلا جدوى . فقد كانت كمية الهواء النقي الذى تستنشقه عشرات الرئات التى تكتظ بها الصالة وتحيله الى هواء فاسد محترق أقل بكثير مما يكفى لكل هذا العدد .

وخرج واحد فقط من صف الدرجة الأولى ممسكا بتذكرته فى يده فتحرك الباقون نصف خطوة للأمام كأنهم يريدون أن يقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا أقرب الآن من الوصول الى الشباك .

وتأمل على وهو ينظر الى مقدمة الصف وعبد الله يتبعه كأنه يشجعه فى لعبة شد الحبل ، وفجأة حدث هرج ولفظ وخرج الجميع من الصف وتجمهروا أمام الشباك الذى كان قد أوصد ووضع أمامه لافتة صفراء كريمة ( كامل العدد ) .

وتدافع على مع الآخرين ليأخذ مكانه في مؤخرة صف الدرجة الدنيا .  
 ان مقعد الدرجة الثانية ليست مرفقة ولا منصفة . ولكن ان هناك قبل  
 للاختيار والقيام تحفة حقيقية وهذه هي الخطة الأخيرة ولا يدري احد متى  
 يعاد عرضه مرة أخرى . وواصل على التقدم البطيء في الصعود وعند الله  
 يتبعه آليا وعباده تتهمن لوحات لصور المعقة على جدران المصانف المستديرة  
 لأفلام جديدة معظمها لم يصل السودان بعد . . . كان ذلك على وجه الخصوص  
 من عشرة أشخاص عندما أغلق ووضع أمامه أيضا لافتة كريمة أخرى  
 (كامل العدد) وناءت بالمثل شاولاب على وعبا . . . حول ألية وسببه . حتى  
 تد اكر السوق السوداء نفذت عن آخرها ودرجة متجههم كد على يسير نحو  
 سيارته المرسيديس . وجده عبدا معه . شرف عبدا به بعتة وتوقف عن السير .  
 اسمع يا على فكرة . . . ممكن تشوف القيس وما يصعب الفرصة .  
 وبدون حماس رد على . . . فكرة شنو يا عبدا الله . . . يا أخى فى طريقة  
 ما حربناها عشان ندخل ؟ . . . وقال عبدا الله وكأنه يستجمع اطراف شعاعته  
 - ندخل شعب -

- قلت شنو يا على ؟

و لم يرد على ولكنه وصل سيره حتى وصل العربة وهم لفتح باب .  
 عندما لحق به عبدا الله .

انا بفتكر دى الطريقة الوحيدة الممكن تشوف بيها القيلم ده .

ورد على فى امتعاض :

اذا كانت دى الطريقة الوحيدة اسمح لى أن ما عير احسن وما  
 مستعد اتعرض لى بهيلة وممرضه ومضايقت ما ليها أول ولا آخر

- ياخى المسألة ما زى ما بتصوره . الحاجة ثمانية كنها ساعدين ونصف  
 أو ثلاثة ومش خسارة نك تختسلى مضيقه عشان تشوف فيلم رى ده

- ما قادر أتصور انى اخش شعب أبدا وافرض شافونا ناس من

معارفنا يقولوا علينا شنو ؟

— يقولو شنو يا على هو نحن عملنا حاجة عيب ؟ .. ايه الشئ المخجل

فى دخولنا شعب ؟ انت زمن كنت طالب ما كنت بتخش شعب ؟ ...

— أيوه .. بس الزمن داك ودلوقت المسألة مش واحدة ..

ولم يترك عبد الله على الا بعد ان تبعه نحو باب الدخول للدرجة الثالثة .

كانت جميع الأضواء قد اطفئت والقاعة تسيح فى الظلام ولم تبق الا الالافئات الحمراء المضيئة التى تشير الى ابواب الدخول والخروج .. فقد كان العرض قد بدأ .

لاول وهلة كان يخيل للدخل انه لا مكان للجلوس أى وافد جديد ولكن بعد أقل من دقيقة كانت الصفوف الطويلة المظلمة تبتلع كل الوافدين وتستعد لاستقبال رواد جدد .

من الدقائق الاولى شعر على ببداية المضايقات فزيادة على صلابة الكنية ومسندها غير المريح كان يجلس أمامه شخص ضخم لا يكاد يهدأ لحظة واحدة من الميل نحو الجالس بجواره متحدثا بصوت مسموع . وطاف يبصره على فى حجرة حيث يجلس رواد المقاعد الخلفية فى هدوء واطمئنان وتمنى لو كان بينهم .

واشعل أحدهم سيجارة ذات رائحة نفاذة لا تخطئها الانف فتعمل على وهمس فى اذن عبد الله ..

— بقى دى حالة وده جو الواحد ممكن يستمر فيه لاقل فترة ؟

— ياخى طول بالك وما تشغل نفسك بالحاجات دى .

وأقبل صبي البوفى حاملا صينية كبيرة مليئة بأكواب الشاي الاحمر الساخن وأخذ يترق الصفوف ويتمايل بها فى طرب ويتبادل النكات والمداعبات مع الرواد وهو يمد لهم اكواب الشاي وعندما اقترب من على ترك على متابعة العرض واخذ يتلفت فى قلق نحوه فقد كان يتوقع فى أى

لحظة أن يتعثر الصبي بشيء أو يفقد توازنه فيسكب كل محتويات اكوابه على رأسه وجسمه . . وهمس على في اذن عبد الله .

— غايته المرة الأولى والأخيرة ندخل هنا . وتشاغل عبد الله بمتابعة العرض دون ان يرد وحدثت أكثر من مشاجرة صغيرة بين الرواد وكانت الاصوات ترتفع وتعلو ويقف واحد واثنان وعشرة ويتدخل الجميع فتنتهى المشاجرة لتبدأ من جديد في مكان آخر وتنتهى بنفس الصورة

كان عرض الاعلانات قد بدأ وكان هناك نموذج لمزل في عاية الاناقة والروعة والمعلق ينصح باستعمال نوع معين من الطلاء لللاثانات عندما صاح أحد الرواد بأعلى صوته مداعبا صديقا له يجلس غير بعيد منه :

— زمة . . ده زى بيتكم تمام يا زمة !!

وانفجر الجميع في ضحك من القاب . . وشعر على برغبة شديدة في الضحك ولكنه بذل مجهودا كبيرا ليحول ضحكه الى ابتسامة صغيرة . . وتوالى العرض وبدأ التمهيد لعرض الفيلم . كان الاهتمام قد بدا جليا على رواد الدرجة الثالثة لأول مرة منذ دخولهم فقد بدأوا يعدلون في جلساتهم وأخذ الذين يلبسون العمامة يخلعونها وبدأ صخبهم وضجيجهم يخفتان رويدا رويدا حتى تلاشيا تماما عند بداية الفيلم . لا نأمة ولا تعليق ولا صوت الا نادرا جدا وكلما كان الموقف في الفيلم موقفا قويا ومؤثرا كان الصمت والهدوء شاملين وانسجم على مع الفيلم وكان ينسى انه يجلس في مقاعد الشعب حتى يتذكر ذلك بعد فترة اثر تعليق ساخر يطلقه احد الرواد فيضحك الباقون بالضحك . . .

وعندما انتهى عرض الفيلم قال عبد الله وهما في طريقيهما الى السيارة المرسيديس .

— ايه رأيك يا على لو نجى يوم تانى كمان نخش شعب ؟؟ . .  
وابتسم على ابتسامة خفيفة دون ان يرد وأدار محرك السيارة .

## كذاب القرية

عندما هبطت تلك القرية النائية كنت أسمع الكثير من القصص .  
عن فتياتها وعن دلرة الرجال . وبعد وصولي كنت على وشك أن أكذب  
كل ما سمعت . فالمدرسة التي اعمل بها تحوم حولها اعداد من لفتيات  
الفقيرات العاطلات من الحسن .

وهن يحملن صنائع الماء الى بيوتهن ووضح لي أن كل ماسمعه .  
قد لوّن خيال الراوى وأكسبه خصوبة لأساس لها من الواقع . الى أن  
رأيت « مطر » كقطعة المانجو الناضجة . . وكانت تقتحم مع الأخريات  
طرقات المدرسة في طريقها للدونكى . كانت دائما تحمل صفيحتها  
وأراها على البعد وهى تعزف لحنا فى سيرها يطيش له صوابى . فما أن  
تقترب حتى تمجس أنوثتها فى مشية عسكرية صارمة ، وتشيح بأنفها فى  
كبرياء عجيب . . . لالتلفت أبدا . ولايستطيع انسان أن يثيرها بشيء .  
والأخريات يتلفتن ويتضحكن . . وبعضهن يلقي التحية فى نرق .  
وهى تسير وسطهن تحيط بها هالة . يحسها كل من ينظر لها . . وكان  
أحد الأصدقاء لايدس ماتثيره فى نفسه . ويقول وهو يتبعها بنظراته  
النهمة : « لم تبق سوى أيام قلائل وتشح البئر ويعز الماء ويسهل صيد  
الفتيات . . . كان يقول ذلك ويرسل ضحكة ممطوطة . ومضت الأيام  
أخرج فراشى أمام بيتى والذى بنى بطريقة أستطيع منها الاشراف على  
جميع « الداخليات » وكانت مدرستنا تشبه حلوة هائلة من الأسمت  
غرزت فى تلك الرمال التى لم تألف مثل هذا اللون من البنيان . فظلت  
على ظهر تلك انربوة تشد الأعين من المسافات البعيدة بلونها الابيض . .  
وكنت أجد لذة بالغة عندما يتجمع حولى الصغار يسألوننى عن الترام .



والنيل ، السينما وألوان الحياة عند أهل البحر . . كانوا يدهنون أرجلها الصغيرة في الرمال يتطلعون الى في شعث . كنت أتحايل لارجاعهم الى المذبايح . . لكنهم دائما كانوا يفضلون مجلسي هذا . . بل كثيرا ما كنت أجد بعضهم قد سرقه النوم . . كانت هذه هي إحدى المتاعب التي ترهقني كثيرا في تلك المدرسة . اذ كان على دائما أن أتجول في كل الأماكن القريبة من المدرسة لأؤكد أن بعض التلاميذ لم يهربوا من أسرهم بعد جرس النوم الأخير فقد علمت من تجربتي أنهم جميعا يفضلون النوم على الرمال الجميلة خاصة في الليالي المقمرة التي حرموا منها يوم أن حضروا لهذه المباني الضخمة الصماء . . التي يضيقون بجدرانها السميكة وارضها الحجرية المراء وفي هذه الليلة بدأ طلبتي يوجهون لي أسئلة لاتتعلق بالبحر وحياة أهله وقد بدأ هذه الاسئلة طالب كبير وشعرت بسحته تغير وبنبرة صوته ترتجف وهو يقول :

- ياأستاذ أنا بشوف واحدة قمت . .

واكتفتي بأن أثار باصبعه للمقابر التي تجاور المدرسة . وعندما طال صمتي تبرع آخر . وأقسم بأن كان ذاهبا ليشرب . فوجد شيطانا هناك فرجع خائفا وقرأ - سورة « يس » حتى الصباح .

والحقيقة أنني كنت أسمع قصصا كثيرة ومتنوعة ومن طلبته مختلفين ، وكنت أعلم أن عمال المدرسة يزرعون الخوف في قلوب الأولاد بقصص الناس الذين ينهضون في عتمة الليل من المقابر ليشربوا ماء الداخليات . . وكنت أعرف أن عمال المدرسة يبررون إهمالهم في حراسة الماء حيث تندفق الأبقار والماعز في أواخر الليل لتشرب الماء . حيث لا سور للمدرسة يحول دون دخولها ولا أبواب من الوصول لمكان الماء . وكنا في تلك الأيام نعاني ضيقا عظيما في الماء . وكنت أحضر الماء للمدرسة باذن خاص . وكنا نبصر الأسر تحضر للبئر لمجرد الشرب

وبعضهم يحضرون من القرى المجاورة ويقضون ليلتهم حول الدونكى  
ليتسنى لهم حمل الماء فى الصباح .

— يا أستاذ . .

وتجاهلت هذا السؤال . . . كنت أتصنع عدم الإهتمام بمراقبة قبة  
السماء . . . والثى تبلو قرية كأنها على وشك أن تنكفىء على الأرض . . . .

— يا أستاذ . . .

وهذه المرة وجدت نفسى أضيق بأسئلة الطلبة وأطرب اليهم الرجوع  
لحلقة المذباح . . ورأيتهم يتزعجون أرجلهم من الرمال فى يأس ، وبأخفون  
طريقهم غير مقتنعين بنهرى الذى لم يعرفوا له سببا . وكنت أرجو أن أخلو  
لنفسى ، كان على أن أوقف عيث العمال . . ولحظتى تلك سأقدم  
لطلبتى دايلا ملموسا يغنيهم عن كل شرح . وعندما انطلقا نور المدرسة  
سكنت انداخليات لهدوء متقطع . . ثم غرقت فى الصمت . . جعلت  
أقلب فى فراشى وقد تلاشت رغبتى فى القراءة والنوم وزحف قعر  
القرية الهائل . . وسرعان مادبت الحياة فى أطراف القرية . وبدأت  
الطبول تدق خافتة بادىء الأمر . وككل غريب تثقل عليه وطأة الذكرى  
جعلت احلم والنسائم تحمل لى أغنيات الأهالى الذين أنبثوا بجماعات  
ترقص وترتفع عقائرها بأغنيات لا أفهمها ولكنها تنفذ لأعماقى وامتدت  
يد صغيرة توقظنى :

— ياأستاذ . .

ورفعت رأسى لأجد تلميذا صغيرا يشير فى هلع الى اخوانه الذين  
تجمعوا بالقرب منه . وعرفت كل شىء . ونهضت وأنا الآخر قد تأثرت  
بخوفهم . . ولكننى كنت أعلم أنهم يضعون لى فى رؤسهم صورة أسطورية  
وأنتى القادر على كل شىء ولو كاد شيطاننا نهض من المقابر فى

أخريات الليل .. وتقدمتهم لمكان الماء بعد أن أرسلت بعضهم لايقاظ العمال والفقير ، وفي لحظات حضر العمال ولكنهم تسمروا بعيداً ، ورفضوا أن يتقدموا خطوة واحدة ، ووقف خلفهم التلاميذ ، وعيونهم يدور فيها تساؤل كبير . وأخذت طريقي وأنا أحمل عصا وأنا أعلم أنني سأجد بقرة أو عترة . وقبل أن أضع رجلى داخل الحجرة مرق - فى سرعة - كلب هائل وهبط الأمان على قلبي . وتنفست الصعداء والتمت . فى سخرية للعمال ثم رفعت الفانوس الصغير ، فدمجت عترة قد رفعت أرجلها الأمامية وأدخلت رأسها فى الزير وهى تشرب آمنة . . . وعندما إقتربت من العترة وقفت فجأة وأنا أبصر فتاة قد تجمعت فى ركن وهى وهى تحاول أن تخفى جرتها التى ملائها بالماء . . . وعندما نهضت وإقتربت منى تراجعت خائفاً ، وقلبي يوشك أن يفلت منى ، لقد كانت « مطر » الصبية الحسنة التى كانت تشغل أحلامى لا تشاركها فى ذلك واحدة من الكثيرات اللاتى كن يحمن حولي .

وخرجت مسرعاً وخرجت خلفي مطر ، وفغر العمال أفواههم فى دهشة بليدة وعلى حين فجأة أندفع الفقير وتناول جرة الماء من رأسها وهشمها على الأرض وأمسك بشعرها ولأنهال عليها ضرباً ، وصرخت فيه غاضباً فكف فجأة وهو يعتذر لى ويؤكد، أنه أن لم يفعل ذلك فلن يتف سيل البنات الذى يتدفق آخر الليل لسرقة الماء . أما مطر فقد هربت لا تلوى على شيء . ولم أكن فى حالة تسمح لى بالحديث . أمرت الطلبة بالرجوع لأسرتهم وأخذت طريقي لفراشى وعندما عاد الصمت مرة أخرى. كانت نهش صبرى لإنفعالات لاحد لها ويملؤنى حنق على هذا الفقير ، وكنت أبصر بعين خيالى « مطر » صاحبة الأنف الشامخ وهى تجرى كأنها صبي شقى تورط فى لائم كبير . . . ثم ألح شعرها المقبوض وعينيها الجحيلتين وقد إمتلأتا بالخوف . . . وتقلبت فى فراشى . . . وحاولت جهدى أن أفرغ ما يدور فى رأسى لأنام ولكن بلا جدوى . . . ونخيل إلى أنني أسمع حركة . . .

وعندها هبت نسيمات الصباح افترقنا .. وعدت وحيدا .. كال  
وجهي محتقنا .. ينضح عرقا برغم النسيمات المنعشة . وشعرت بخوف  
وأنا أسمع حركة كلاب تقترب .. ولم تمض برهة حتى وجدت نفسي  
محاطا بالكلاب .. كأنها كانت تشم طريقي وتتبعني .. وأحكمت  
حلقتي حولي وصارت تتحرش بي وتنبحنى بطريقة زلزلت كياني كله  
وأطارت ماثبتى لى من صواب . وفى خوفى المريع اقتحمت حصارها  
وانطلقت فى سرعة هائلة .. حتى وصلت بيتى كالعاصفة واستيقظ  
الغفير على جلبة الكلاب . ولمحته يجول حول المباني بحثا عن شيء .  
ولعل بصره وقع على وأنا أشرب ، فجاءنى ليبرهن على حراسته وقال  
انه سمع خطوات اللص المسرعة الذى لم يستطع أن يفعل شيئا سوى  
الهرب . لأن كلاب القرية كعادتها شاركت فى مطاردة اللص .

فرفعت رأسي فلم أر شيئاً . . . ورقدت . وبعد فترة تأكدت ، هذه المرة  
أن ثمة شيء يتحرك وفي مكان جد قريب . فحبست أنفاسي كأنني أخشى  
أن أدله على شيء . وليبت أرصد الحركة وهي تقترب وتتضح ، إلى  
أن تأكدت أن أقداماً تقف خلف رأسي . . . فأغمضت عيني  
وخياشيمي قد إمتلأت برائحة أنثى أوشكت أن تصعد فراشي . وعند ذلك  
سمعت صوتاً خافتاً يقول :

ها . . . ها . . .

ولم أتحرك وسمعت الصوت يعود ها . . . ياها . . .  
ورفعت رأسي . . . وفجأة قفزت كالملدوغ . . . ووجدتها أمامي . .  
مطر بلحمها وعظمها . . . قطعة المانجو التي أحالت حياتي للبحيم . . . . .  
ووقفت مشدوهاً وأنا اتلفت . . . وقد أرهقني خوف لم أعرفه قبل ذلك . .  
وصارت تحرك صفيحة فارغة في يدها ثم همست :

- ها . . .

وأشارت لزير الماء المنتفخ القريب ، ولما لم نجد إعراضاً ، بدأت  
نصب الماء في صفيحتها في خفة اللص وحرصه على أن لا يصدر صوتاً .  
وعندما فرغت من حمل الماء همست :

- أهأ . . . مع . . .

وأكملت كلمتها بابتسامتها الساحرة وهي ترفع الصفيحة لرأسها  
وأقلت طرف ثوبها الذي امسكته بأسنانها . فبرز صدرها بكنوزه الفاخرة . .  
وتناولت طرف الثوب وهي تضغطه على صدرها وخرجت ووجدت  
نفسى أسير خلفها . . خاصة وأن مشيتها العسكرية كانت قد لانت  
وتكسرت ، وعندما انتهت لنفسى كانت المباني البيضاء تسطع بعيداً تحت  
ضوء القمر . . وصرت شبه منوم ومطر تتأود وتهز أعظافها وصنرها  
هي غنج حبيب .

كان مرفوعا الى أعلى في كبرياء عجيب . كان ينظر الى الامام ويمشى ويمشى . وابنته المحسولة على كتفه كانت تبكى في صوت خفيض للغاية . والخنوع كان قد شل كل حركة فيها . حتى الرغبة في البكاء كان من غير الممكن ان تستجيب لها . والدم الدزف من جرح ساقها كان يعذبها عذابا متصلا ولم يكن هناك شيء يمكن أن تفعله أو يفعله أبوها .

الأرض الجرداء المنبسطة . . . والتلال الكثيرة التي كان يمر - والأعشاب الجافة التي كان يدوس عليها بتقديمه الداميتين واختفاء كل أثر من آثار الحياة في تلك البقعة . . كل ذلك كان كفيلا بأن يحطم كل بارقة أمل تجد سبيلها إليه . ولكنه مع ذلك كان عصيم الأمل . لو لم تكن معه هذه الصغيرة لكان الأمر كثيرا .

التقط لم يرحمها . والأرض التي تفور وتعلو تحت أقدامه كانت تبعده يسرع في السير . لم تكن هناك شجرة يحتميان بظلها للحظات يتابع بعدها السير . مجرد شجيرات صغيرة هنا وهناك تحيط بها الأشواك من كل جانب . . شجيرات لا ظل لها . كان الخلاء يمتد أمامه الى ما لا نهاية . لا أثر للحياة . ولكنه كان يسير والصغيرة على كتفه تئن في صوت حزين للغاية . ولكن عينها أصبحتا كرتين من الدموع . لم يفتح أحدهما فمه بكلمة واحدة مد صباح الأمس . لم يكن هناك ما يرجي من الكلام . ولكنها قالت فجأة :  
- يابا .

ولم يفتح فمه . كان يمشى . لعله يسمعها . كانت أنهار العرق قد ازدادت واخذت تسيل على صدره في غزارة .  
- يابا .

وسمعها هذه المرة . وعادت هي تقول :

- ما خلاص وصلنا ، يابا ؟

واجابها بعد مجهود ضخم ، اذ ان لسانه كان جافا . وهو نفسه لم يكن يرغب

## الارض الصفراء

منذ يومين فقط كانت خطواته فيها كثير من الحيوية والنشاط . لم يكن جسمه يعرق كثيرا هكذا . . . يضع حبات فقط من العرق كانت منتشرة في اجزاء متفرقة من جسده الطويل المشدود الذى يشبه المومياء . وانفاسه لم تكن بأى حال لاهثة مضطربة كما هى الآن . والأوردة الكثيرة متشابكة فى ذراعيه لم تكن هكذا منتفحة بدمه الازرق مما جعلها تبدو كأمعاء حيوان صغير . واما ثوبه المتلفح به فلم يكن شديد القذارة بهذه الدرجة . نعم . كان قدرا بما فيه الكفاية . ولكنه — على الاقل — كان أنظف كثيرا مما هو عليه الآن . التراب الذى تراكم على وجهه الطويل جعله قبيحا وقدرا : العينان محاطتان بهاتين من التراب الأصفر الناعم . والشعيرات القليلة فى فتحتى الانف اكسبتا لونا بين الاصفر والبني . والشفتان لم تحل واحدة منهما من التشقق . وكان الدم المتجمد من تشقق الشفة السفلى يرسم منظرا كريها عليها وعلى الوجه المستطيل الخاف الذى لم تمسه قطرة واحدة من الماء منذ أكثر من يومين . جدار البطن الأمامى كان جافا متكرمشا مثل جند اشعبان المسلوخ . وقد أوشك ان يلتصق بالجدار الخلفى للبطن ونتج عن ذلك تجويف كبير يثير التقرز .

وكانت هناك ابنته . . . صغيرة جدا وقذرة مثله . ولكنها كانت حلوة . لم يزد عمرها عن الثلاث سنوات . وكانت ساقها اليمنى مربوطة بقطعة كبيرة من القماش فى لون التراب . ولكن فى أجزاء كثيرة منها كان يلطخها دم أحمر كثير

كان يحملها على كتفه وهو يمشى : وجهه صارم . فيه قسوة . . . وعيناه غائرتان وقد أوشكتا على الاختفاء داخل تجويفهما . الانف المستقيم

واجاب الرجل : ضيف . .

ولم يقل صاحب البيت شيئا . اخذ ينظر الى ارجل والطفلة المحمولة على كتفه . ثم تنحى قليلا عن مدخل البيت وهو يقول .

— ادخل .

ومن داخل البيت جاء صوت امرأة :

— منو ده ؟

وأجاب زوجها .

ضيف .

وجاءت المرأة وصوتها القبيح يسبقها ويفسح لها الطريق . كل شيء عيها كان يوحي بالشعر . . الأنف الطويل المعقوف الذي لا يتناسب بأي حال مع الوجه المستدير ذي القروح الكثيرة التي التأه بعضها فنتج عن ذلك نددات شلت جيد احد جانبي الوجه لدرجة صار معها النصف الايمن من القم مفتوحا تبرز منه أسنان قبيحة . وبدت العين اليمنى أكثر اتساعا وحجوظا من العين اليسرى . كانت هيئتها على العموم توحي باللؤم والفسوة .

قالت :

— من وين ؟

وأجاب الرجل :

— من التكه .

— هـ — م ؟

— الحمل مات في الدرب . قاصدين المدبرية .

وتناولت المرأة كوزا ملأته بالماء وأعطته للرجل . امسك الرجل بكوز الماء وناوله لابنته التي شربت كل ما فيه عن آخره . وصبت المرأة الماء مرة أخرى حتى منتصف الكوز وناولته للرجل . كان الماء قليلا لا يكفى لبل



فى الكلام .

— خلاص يا بنتى . قربنا .

تابع السير فى خطوات بطيئة اذ ان الاجهاد كان قد انهكه خد كبير .  
كان يحس انه لن يقوى على السير بعد ذلك ، ولكن كان عليه أن يسير حتى  
لو سقط ميتا . التوقف لحظة واحدة معناه التعجيل بموتهما معا . كان يعرف  
تماما . وكان يعرف ان الطفلة التى يحملها على كتفه ميتة لا محالة والدماء تنزف  
من جرحها الكبير الملوث .

ومضت دقائق كثيرة توقف بعدها عن السير فجأة .

توقف عن السير .

وفتح عينيه اللتين كانتا نصف مغمضتين فبان فيهما ثمة بريق . وحدث  
أمامه وقد سرت فى جسده رعشة . وكان فمه الجاف الملوث بالدم والتراب  
مفتوحا قليلا فى دهشة . وابنته المعلقة فى كتفه كانت تسأله عن سبب هذا  
التوقف . . . ولكنه لم يكن يسمعها أبدا . كان ينظر الى الامام غير مصدق .  
لم يكن يخطر بباله ان سوف يجد أمامه وعلى بعد خطوات ذلك المنزل . ذلك  
الكوخ الحرب الذى يراه الآن حقيقة كبيرة لا تقبل الشك اطلاقا . منزل ؟  
منزل ؟ كان الأمر فوق إدراكه ونصوره .

وتابع السير هذه المرة فى خطوات جبارة وقد انتابته حمى الانتصار  
وسرت روح جديدة متوثبة فى جسده الميت . وابتل فمه باللعاب وهو يبصر  
عمودا طويلا من الدخان ينطلق من احدى فتحات المنزل .

وقف أمام الباب الصغير الذى صنع من سيقان الاشجار وجلود البقر .  
ولم ينتظر . كان الباب مفتوحا . واطل منه رأس رجل شديد القذارة منكوش  
الشعر ، وقد نبت شعر كثيف فى اجزاء متفرقة من ذقنه الملطخة بالهباب .  
— نعم .

## كرسى القماش

اعتدت ان تخفف الى مكتبك كل صباح . مثل الساعة الدقيقة أنت .  
تفد للمكتب فى الثامنة من الصباح . فى الشتاء كما فى الصيف . ولم تغير  
عدتك تلك أبدأ . حين كنت تعمل فى الأمر أو القدر أو فى كسلا .  
حقا انك قد حبرت أكثر أقليم بلادك ولكنك لا تعرف ما هو تعرف .  
النهار فى المكتب . والمساء فى النادى . وهناك دائماً تاجر وزملاء وحزار  
وحلاق . ورئيس صارم أو غير صارم و .

وها هى العاصمة . موطنك . عدت إليها بعد طوبى تحوان عملت  
بها سنة أو بعض سنة حتى أدركك المعش . تقول أدركك المعاش . كد  
يدرك الموت الناس . أو ليس المعاش كالموت ؟ ألا يعنى ان خدمتك قد  
إنتهت . وكما تنهى الحياة . أوليست الحياة هى العمل ؟ ها أول أيام  
الإجازة الأخيرة . ولن تستيقظ بعد الآن مبكراً . ولن تعنى للمكتب  
فتكون به فى الثامنة . لمرط ما جرت بك عربات التاكسى حطت كل  
ركن فيه : الشارع . أعمدة النور ومنتهى ( حورح ) . وإعلانات السينما .  
وهى المتغيرة دائماً وكل شىء عداها ثابت . ثابت كل شىء . وكوبرى  
النيل الأبيض . آه ما أجمل الإغفاء فى السيارة حين تصعد جرياً . ويعتدل  
الهواء حين يصفح صدر النهار ويغشاك رطباً منعشاً ويسلمك الى النوم .  
لقد كبرت وليس عندك سيارة . التركة فى البيت . وماذا ستعمل الآن ؟

مع السلامة يا سيد فضل . . والله تعلم منك الكثير . ستفتقدك  
كثيراً . قال زميل فى المكتب . وأنت تعلم انه كاذب . ومستقبله فى  
الخدمة معقود على تقاعدك بالمعاش . . باللفاق . وهل أخفى ابتسامته الخبيثة

حلقة ولكنه شره . وطلب المزيد . ولكن المرأة هزت رأسها :

— مافى . . . لينا يومين عايشين على المويه . . . الصيد قل .

وكان زوجها يهز رأسه من حين لآخر وهو ينظر الى الرجل وطفله .  
اما امرأته فقد بدا عليها التأثر والحزن . وحقيقة لم تكن هناك أية علاقة بين  
قبحها وهبتها التي تدل على القسوة وبين مظاهر الحزن الطيبة التي بدت  
عليها الآن . كان ذلك القبح قناعا خادعا يخفى أشياء كثيرة حسنة تتمتع بها  
هذه المرأة .

وغادرت المكان الى داخل البيت فى سرعة وكأنها تذكرت شيئا .  
وغابت لمدة دقائق ثم عادت وهى تحمل فى يديها بعض الكسرة الناعسة  
وقدمتها للرجل وهى تقول :

— ده اللي فاضل لينا .

وتناوله الرجل وأعطى صغيرته وأخذوا ياكلان الخبز الخاف .

وعندما غادرا البيت تلقفتها الشمس المحرقة مرة ثانية . وكانت  
الطفلة على كتفه . وكان وهو يسير ينظر الى الامام والأرض الصفراء تمتد  
أمامه تغلى وتفور من شدة القيظ .

العمل رحمة ؟ هذه المرأة الولود الخصيبة كأنها دلتنا النيل . . . ان . يمكن هناك من حل فالأجدر ان تجلس فى الظل على الشاطئ . وتطالع صحف الصباح وترقب السابلة والعربات تجرى وتجرى ولكن لأية غاية ؟

حينما أخرجت كرسى القماش من المخزن ونفضت عنه غبر السنين . كانت ذرات التراب تذرك بأيام ( الماشر ) ( ١ ) حيث كان صنعه وحسنة كراسى أخرى تكسرت جميعا وبقي هو . صنع الكرسى فى السجن . حف ظهر سجين وهو يصنعه لفرد ما عكف عليه وانحنى . جف ظهره لتراتح ظهور الموظفين : الخواجات منهم وابناء البلد . وقد يعجب هؤلاء بفضله وقدرته . فن نابع من الصبر والقهر معا . وقد تسحر ألبابه بخصوطة قماشه الحمراء والصعراء ودهان خسته الأبيض . ربما كان صانعك قاتلا أو سارقا أو هاتك أعراض . وربما تموت ويبقى الكرسى . . . وكم من . . . طليق وهاتك عرض فى عزلة ونعيم . . . و . . . وينتشر الغبار كثيرا بعد كل ضربة .

كان زمان أيام صنعت ي كرسى القماش . كانت الدجاجة بخمسة قروش والخروف بخمسين قرشا . وفى القشلاق الخمر والنساء . وفى فصل الامطار تملأ التربة حتى تفيض . وينتشر على التلال بساط أخضر من العشب . وأنتك شهدت الصبيان يشربون الماء من حياض الجياد والحمير . والماء شحيح و ( أتيمة ) تصنع الخمر وتشرب أكثرها . وتأكل نصف خروف . ولقد أحسنت امرأتك الصنع حين رفضت البقاء فى الماشر . وتركت فراشك خاليا منها وغير خال من ( سعاد الفزايسة ) . وأنت الباشكاتب المهاب . زمان مضى ي كرسى القماش شخت أنت . وشخت أنا . . . »

وهانذا تجلس على الكرسى فى الظل . وتعانين فى الشارع والناس

(١) هى عاصمة مديرية شمال دارفور

ابن ال . . . ولكن المعاش هو الموت يدرككم جميعاً ولكل أجل كتاب  
وهذا هو العزاء . . . وأنت أيضاً كاذب . لو كنت تؤمن بهذا الكلام ما  
غضبت ولقيت كلامه بروح سمح .

وهل كنت محبباً يا سيد ( فضل ) ؟ أتذكر الصرامة والحزم وسؤالك  
الملح أبداً . لماذا تأخرت ؟ هل نمت ؟ آه هواء الصباح عليل يلد فيه النوم ؟  
أم أن الخمر كانت قوية الليلة الماضية ؟ . . . وكان مثل هذا الكلام يغيظ  
الأفندية ولكنهم يسكتون خشية عقاب . وأنت نفسك تخشى المدير . كل  
سيد وله سيد . حين كان يظل عليك أو يستدعيك تتصب عرقاً وتجف .  
آه يا ( فضل ) حقا قال لك « سنتفدك يا سيد فضل » ابن ال . . . هذا الرجل  
لا يحسن كتابة خطاب أو مذكرة . ولم يعمل مع السلف الصالح من الانجليز  
يا سلام تذكر سمث وجونز ورائدل . . . والله لا يهتم طالما كانت الخدمة  
كلها صائرة الى إنبهار كامل . وأين نحن من أيام ( السلف الصالح ) ؟  
هاصت والله . وأصبح سادتها أولاد الجامعات « لكل زمان رجال يا سيد  
فضل » . كان ذلك الشاب يقول لك هذا دائماً . هو في مثل سن إبنك  
ولكنه متعلم وأى علم ؟ نوم في المدينة الجامعية وعدس وفول وجنوس في  
المدرج أو في المقهى . ودرجة جامعية ، ثم تراهم يقفزون سلم الوظائف  
قفزاً . . . دنيا والله دنيا . . . وهل مر زمان كنتم سادته يا سيد فضل ؟ من قبل  
هؤلاء الانجليز حتى إذا خرجوا من البلاد جاء أولاد الجامعات .

\* \* \*

تدرك أن الشمس في مدينة (ام درمان) (١) هي النار المحرقة . بعد الثامنة  
من الصباح تغلى البيوت بفعل الشمس فلا تطاق ويلتمس الناس المكاتب ذات  
المراوح ومكيفات الهواء . ليس حبا في العمل والانتظام فيه . بل هم  
ينشدون الهواء البارد والاستجمام . . . تحس ربما لأول مرة أن البقاء في هذه  
البيوت هو الموت ، وعليك أن تبقى في جوارها : : أم العيال أليس في

(١) عاصمة السودان الوطنية

ألمهم أزواج وعيال ؟ تالها العجوز . . ما زالت تتطيب وتصلح من شأن  
نفسها . . مشككة أن تغريك في هذا النهار الضوئى فتصعب وتبهر . .  
فى الشارع خير من البيت .

أبواق السيارات تندفق فوق الشارع . والنظر سبوت وزحمة . لأول  
مرة تدرك أن هذا الشارع القديم لم تمسه يد إصلاح ويبدون أن اكتسب  
لا تغفر كما ينبغي . أهذا يومك الأول ؟ أو تخصى دقي حياتك على هذا  
سؤال ؟ وما بقى منها هذه الحياة ؟ لقد انتهت عن حكومة القمصان  
شارع . نحدث نفسك . مشاهد تتكرر ونفس يروحون . يحبون  
وسيارات تفلح الدماغ . وما العمل الحكومى . أليس هو تحو له يوم واحد  
تتكرر ثلاثين أو أربعين سنة ؟ وفجأة ينقص جبل تفكيرك .  
السلام عليكم .

يردد الصوت . وتنفض فائى عيبك عن آخرهم . تحديق ميسر نهي  
دلتحية وترد :

— وعليكم السلام يا . . .

ماذا تريد أن تناديه ؟ أأنت تعرفه ؟ من هو هذا الرجل ؟ كثير من  
هم ( أنصار السلام ) هؤلاء . يحيونك حتى ان كنت نائمًا . ثم إنك لا تعرفه  
يقولون إن ( السلام سنة ) ولذا يتسلك بها هؤلاء انقوم . وقد تلقف عبر  
السيبل تحيتك عن رضا . ثم مضى لحال سبيله :

— يا ساتر يا رب . . حاسب !

— لا حول ولا قوة إلا بالله

— يا عالم .

— لا حول الله . . يا ساتر .

أصوات تعلقو . وإذا بعربة محمية بالجنود . فلانهم حذراء دوننا  
استثناء تدهس طفلة كانت تهم بعبور الشارع . . وتب واقف . ويهتر

فى الشرع . وتمد رجلىك . والظل يجاهد الشمس وهمس فى بطنه تفرسه .

— سيد فضل صباح الخير . . ماذا بك ؟

— لا شىء . . لا شىء . .

— انت لست مريضا ؟

— كلا .

— إذن فى إجازة ؟

— نعم .

— شىء عظيم . . أفكر فى السفر ؟

— لا .

— جميل بعد قليل تهطل الأمطار ويعتدل الجو .

لماذا يصبر جارك على كل هذا الكلام ؟ ام أن هذه عادة أهل السوق من

التجار . يا لعنة الله عليهم . . ويستطرد الجار :

— عظيم يا سيد فضل ومتى تنتهى الإجازة ؟

— هذه إجازة نهائية .

— يا سلام . . لن تعود الى العمل إذن . . والله خسارة !

وتغير وجه الجار العزيز . وأضحى قائم اللون من بعد صفائه — أو

هكذا تصوره . وتصلبت تقاطيع وجهه ، زم شفثيه . قطب جبينه .

يا مسكين يا فضل « تقول فى نفسك ثم تتساءل « هل المعاش هو الموت ؟

أنت قادر ومقتدر ومعافى خلا نوبات السعال التى تعشاك ويضيق بها خلقتك

من بعد صدرك ، وتستطيع أن تعمل حتى تبلغ مائة عام » .

وانصرف الجار العزيز . وتراه يهز رأسه من أسف ، كنت بالنسبة

فهم شيئا وأصبحت لا شىء . كنت الباشكاتب المهاب . . يا خسارة

» ضاعت الرهبة ، وحل محلها العطف والرثاء . وتنطلق السيارات أمامك . .

الى أين يذهب الناس ؟ أكلهم يعمل ؟ ام أنهم سئموا الحياة فى البيوت ؟

القلانس الحمراء ؟ . . .

هيا . . هيا . . قبل أن يأتي البوليس فنتهم بالمقتل .

كانت يدا السائق قد تجمدتا على عجلة القيادة . وانكأ عليها بوجهه  
لا يريد أن يظهره . وتجمع الخنود فأقاموا حائطا حول المتجمهرين

• \* \*

هـ هو الظل قد تقلص بعد ان افرسته الشمس . صعودا . وليس  
أمامك من شيء سوى ان تعود الى الدار . وتحمل الكرسي ثم تضعه على  
جدار الحجرة بعناية كأنما قصدت ان يصيب راحة من بعد العناء . وترقد  
على السرير . والنهار صمت بعد أن اغتذى بدم فتاة . وقد تطل عيبك  
روجك بعد حين : أيهما الجحيم ؟ الشارع اء هو البيت ؟ فلتتظر قلوبم  
يومك الثاني في حياتك الجديدة !



كرسى القماش كأنه نال راحة من بعد أن ارتفع عنه ثقلك . . من أى لقاء جاءوا ؟ فى لمح البصر . كيف احتشدوا بهذه السرعة ؟ ! ألم يكن الشارع شبه خال عدا أشخاص يسرون متفرقين ؟ وها هى أصوات الناس تسبح قرب أذنيك :

- عربات الجيش تندفع بسرعة دائما . . .
- السائق مخطيء . . . دوئنا ريب مخطيء . . . الله . . .
- أبداً . . . أبداً . . . هى غلطة البنت لم تقف لتتأكد من خلو الشارع .
- ولكنها ماتت .
- كيف تموت بلا سبب وجيه ؟
- هذا أوجه الأسباب فى هذا الزمان .
- أيعاقب القانون السائق ام العربية ؟

وقد بدأ الجنود بقلانهم الحمراء يتقافزون من سطح العربية . . وتنظر بين الرؤوس والأكتاف والرقاب فإذا بجثة الفتاة ملقاة على طرف الطريق . كان رداؤها أخضر . وكانت تحمل كتابا تطايرت صفحاته وعليها رسوم حيوانات وحروف كبيرة ذات ألوان ، وكراصة تعلقت بإطار العربية فما استطاعت منه الفكاك . وكان وجهها ملطخا بالدم . وقد غشى الموت عينيه . وأنت تعرفه : الموت « بالله كيف تموت المسكينة وهى ذاهبة الى المدرسة ؟ أحمد الله أنه أبقاك على ظهرها : الدنيا أكثر من نصف قرن . وها هى ذى طفلة مجتهدة تموت بلا سبب وجيه ! » أصوات تختلط :

- بل هذا أوجه الأسباب فى هذا الزمان .
- احضروا غطاء . . .
- احملوها الى المستشفى . . .
- يجب أن يفحصها طبيب . . .
- ولكنها ماتت . . .
- من المسئول إذن ؟ السائق . ام القرامل . ام هم الجنود ؟ ام هى

### (٣) العين الثالثة

عندما دخلت المعلمة . سد حجرة الدرس الصمت الكثيف . شع الصمت وانعقد كحلقات الدخان . وبدأ الفصل يكبح . ما كنا نسمع الا أصوات دقات قلوبنا وأزيز أجنحة المروحة . وكان عنوان الدرس حشرة كبيرة على السبورة . ليس هذا إفتراء أو محض خيال . أكاد أجزم بأننى قد رأيتها بأمر عيني . عارية تدم كعصفور صغير لا يكسوه سوى زغب رمادى . فهى حقاً لم تندثر الا بشعرها الكثيف المنسدل حتى الكتفين .

### (٤) العين الرابعة

أدخلت يدي خلسة بين فتحة القميص . وتحسست صدرى . تحسست بأسف بالغ . إذ أن نهدي لم تتبرعما . يقول أبى اننى على أعتاب التحول . كان أبى قد قال ذلك قبل ثلاثة أشهر . ولكن نهدي لم يتبرعما . كم هو شعور أسيف . أن تظل الأنتى طفلة بلا ثديين .

### (٥) العين الخامسة

انه الحرام . . والعيب عينه . ماذا لو رأيت أمى كل هذا ؟ إنها قطع ستمنعى من المجيء الى المدرسة الى الأبد . كلنا يتعري . نعم . نمشى بلحم فقط وبلا دثار . أوه . . لو تسمعنى أمى أقول ذلك ! ولكن ليس ذلك حقيقة ! أنها حقيقة فقط عندما نكون على انفراد بأجسادنا .

### (٦) العين السادسة

جميل أن يكون للانسان جسد حميل كوردة . ولكننى لا أستطيع تصور انسان بلا جسد . محض جتون تصور ذلك . كثيراً جداً يبدو لى أن الجسد هو الوردة والانسان هو الغصن . وليس العكس . الغصن لا يفتح ولا ينبثق نحو الخارج الا عبر الوردة . قوى . . متناسق جسده كالمهرة العربية الأصل . عظيم هذا النسق الإنسانى المعبر فى الصمت .

## وماذا فعلت الوردة ؟

### (١) العين الأولى

دخات معلمة العلوم حجرة الدرس . إلا أن أنات لم يقفن لها إحلا .  
كما اعتدن كل صباح .  
أما أنا فم أشعر بدخول معلمة العلوم في البدء . انتهت في بعد .  
عندم ارتفعت همهمات ذات علو منخفض . تأرجح المهممات بين الحيت  
والإنطلاق .

وقفت المعلمة وسط حجرة الدرس . أولت ظهرها للنبورة بعد أن  
كتبت التاريخ وعنوان الدرس — وطائف الأعضاء . وبدأ عنوان درس  
كحشرة ها ألف ذراع . وفي بدء أخذ عنوان الدرس ينتشر على مساحة  
النبورة . حتى غطاها . وعم الرعب . أما المعلمة العجوز فقد تبدلت بصييه  
حارة . شعرها طيق . مسترسل أن كتتيها . ماعدا خصلات كتتيه سوداء  
شاردة بين مهيها العازيين حتى خصرتيها . شيء فوق الأرادة جعل عيني  
تسعان بالدهشة ، والصدمة .

### (٢) العين الثانية

لقد رأيتها . . وحتى السماء قد رأيتها . بطنها بيضاء ، تجرى فيها  
عروق كبيرة خصرة . وعروق صغيرة . وشعيرات دموية زرقاء  
كفتلات الحرير . حصرها شديد النحول . وعند الخوض ينساب قوسان  
معكوسان . يشكلان دائرة بيضاء بينهما . وعند المركز تتشر ظلال سوداء  
لقد كانت صبية حمية حقا . ولكنني غصضت الطرف . تشتت ذهني  
وارتبك .

أسئلة الصف الأخير . القابع عند نهاية حجرة الدرس . أشارت بأصبعها  
الأوسط نحو البنت التى عند الصف الأول . مؤذنة لها بالسؤال :

قالت البنت : هل يفعل الجسد كما تفعل الوردة !!

قالت المعلمة : وماذا تفعل الوردة ؟؟

نظرت البنت عند قدميها وصمتت . صاحت من عند مؤخرة الفصل  
كبرى البنات وقالت بلا استئذان . تتعلق الوردة على الفراشة . ويكون  
الأريج النداء . ثم يعتصر الرحيق .

انساب العرق وغضى وجه المعلمة كالدموع . وقالت المعلمة فى حمو  
مصطنع : تدماء . والعرق أن انغلاق الكماء الوردة عنوى . كما انحداب  
الفراشة بلا شرارك .

قبل نهاية الدرس بقليل جدا . تأبطت المعلمة دفتر التحضير والمؤتر .  
دارت نحو السورة ضووية الجسد العارى المرسوم على الورق المقوى . وعندها  
دق الجرس . خرحت المعلمة . جذبت ثوبها فغطت الرأس والصدر . ومن  
خلفها تدافعت البنات اللائى لم تفارق الصورة احلامهن طوال ليل ذاك النهار

## (٧) العين السابعة

إن الذى يتنزل جسده . يتنزل الجوهر فيه ، كيف لإنسان متمدين  
أن يتزع ثوبه عنه ! وأن يمشى فى العالم عاريا !! أعلم أنى لا أملك مثل  
هذا الجسد الجميل . وحق السماء لست بحاقدة .

## (٨) العين الثامنة

الصداق هنس لم أتم جيدا ليلة البارحة . أصابنى الأرق وموعد  
الإمتحانات يدنو بشكل عاصف . لا أستطيع التركيز والنظر فى الجسد  
العارى . أكره فن لحت . أكره كل أعمال مايكل أنجلو وأعمال  
ديفنسى . إن التجريد هو نظرة الحقيقة للأشياء . . . الأسكنتون « هو روح  
الصورة . وحطوط الكراكتر هي أصلب وثقوى الخطوط . أنها حقيقية  
لدرجة الفزع . ولكنى لا أستطيع تنظر وتركيز . ليت المعلمة تسمح نى  
بالخروج . ولكنى لو خرجت سيشعن عنى الإصابة بالمرض النفسى لمزمن .  
سيشرون لعقدة أوديب بالتحديد .

## (٩) الراوى

توقفت المعلمة عن الشرح . وقبل ان تكتب خلاصة الدرس وضعت  
المؤشر على الطاولة المستطيلة أمامها . شعرت بالعيون تحرقها حتى العظم  
وبحركة سريعة من يديها جذبت ثوبها وغطت الرأس والصدر .

## (١٠) العين العاشرة

وخلق الله الذكر والأنثى . وتعمير الأرض الهدف . والحب وعبادة .  
ولكن ما الفرح والزغاريد إلا إعلان لقبيلة بالقبول . أعلم أننى لا أحب  
الزواج . لن أتزوج ، لقد وعدتني صديقتى ليلة أمس - أنها لن تتزوج ولن  
تهجرنى .

## (١١) الراوى

أتاحت المعلمة الفرصة لأسئلة الصف . كانت المعلمة تتحاشى فى خمت

# محتويات الكتاب

الصفحة

XI	.....	الامناء
XII	.....	تصدير
١	.....	المقدمة

## الباب الاول : المقالات

المؤلف	الموضوع
عرفات محمد عبدالله. ١٧	تمجيد الخالق
أحمد يوسف هاشم. ٢٣	الترف الكاذب
محمد عشري الصديق. ٢٨	ماذا وراء الأفق
معاوية محمد نور. ٣٥	في الخرطوم
محمد أحمد محجوب. ٤٠	مثل عليا
التيجاني يوسف بشير. ٤٦	في سبيل التعارف الادبي
عيد الله رجب. ٥١	من مذكرات أغيش
جمال محمد احمد. ٥٦	العرب في شرق افريقيا
أحمد الطيب أحمد. ٧٦	من مذكراتي
منصور خالد. ٨٢	دولة من ؟ بلاد من ؟
علي الملك. ٩٢	الشرب من كوب خشبي

## الباب الثاني : الشعر

محمد سعيد العباسي. ٩٩	مليط
محمد سعيد العباسي. ١٠٣	عهد جيرون
عيد الله محمد عمر البنا. ١٠٥	نحية العام الهجري
عيد الله محمد عمر البنا. ١٠٧	السلحاء والبطنان
عيد الله عبد الرحمن. ١٠٩	الطبيعة في السودان
خليل فرح. ١١٢	وطنني

ابراهيم اسحق ابراهيم

## الفجوة فى حوش كلتوم

« لحظات وقد شاهدتك تسلك أسفل الليل الدروب فاقفلت بوابة  
الاماليد المجدولة مع الشمس الغاربة سيخضر العشب من جديد فى الربيع  
القادم لكن الذى رحل يا ترى أبدا يؤوب ؟ »

« وونج وى »

عند عودتى المرة الأخيرة من المدينة وجدت ذلك الرجل الاصفر  
المربوع القامة وسم القسمات فى حوش كلتومة يأمر وينهى ، وكلتومة  
كأنها صدفة تناست تعكرها المشهود ومثلما تكون شالته عن روحها فانقشعت  
جديدة ظريفة ولطيفة ومؤدبة كما لم أرها ابدا . . احترت للرجل فسألت  
ناس ستنا فى بيتنا .

— دى ياتو دا ؟

— فكى البصير . .

— وبسوى شنو فى بيت كلتومة ؟

تنظر لى ستنا بتساؤل ظاهر فيه استنكار .

— هيا وليد . . بسوى شنو دى شنو ؟ ما زول فى بيتو ؟

انا الذى اظنتى أصبحت أهدق فى وجه ستنا باستنكار متسائل حتى  
قاطعتنى ام الفضل هادئة تضغط كلماتها فى سهولة وعفوية .

— هاى . . اسمع لى . . الزول دى راجل كلتومة . . لتزوجو قبل

شهرين يا خى . . زول مؤدب وعالم وصعب خلاص . .

— كلتومة اتزوجت تانى ؟ بعد داك كلو ؟

هذه المرة قاطعتنى ستنا رافعة صوتها ومترعجة . .

## الباب الثالث : القصص

الموضوع	المؤلف
المكان	معاوية محمد نور..... ١٩٣
بعد أسبوع	عثمان على نور..... ٢٠٠
اللعبة	جمال عبد الملك (ابن خلدون) .. ٢٠٥
عزيزتى ايلين	الطيب صالح..... ٢١٠
نحلة على الجدول	الطيب صالح..... ٢١٤
المقاعد الامامية	الزبير على..... ٢٢٢
كلاب القرية	أبوبكر خالد..... ٢٢٦
الأرغن الصفراء	الطيب زروق..... ٢٣٢
كرسى القماش	على المك..... ٢٣٧
وماذا فعلت الوردة ؟	عيسى الخلو..... ٢٤٤
الفجوة في حوش كلثوم	ابراهيم اسحاق..... ٢٤٨
البعث الثانى فى زمن الضوضاء	نبيل غالى..... ٢٥٥
حملة عبد القيوم الانتقامية	بشبرى الفاضل..... ٢٦٠
محاكمة السمكة الكبرى	جوناثان ماين..... ٢٦٦
تراجم الادباء	..... ٢٧٠
ثبت المراجع	..... ٢٧٦



١١٥	حمزة الملك طمبل	الكلب والحمار
١١٧	توفيق صالح جبريل	حديقة العشاق
١١٨	أحمد محمد صالح	من وحي الجزيرة
١٢٠	يوسف مصطفى التني	نداء الجليل
١٢١	محمد أحمد محبوب	شاعر
١٢٢	التيجاني يوسف بشر	الصفوفى المعذب
١٢٥	التيجاني يوسف بشر	الخلوة
١٢٧	الناصر قريب الله	أم بادر
١٢٩	محمد المهدي المجذوب	القوقعة الفارغة
١٣١	محمد المهدي المجذوب	سيرة
١٣٤	عبد الله الطيب	الكاس التي تحطمت
١٣٧	عبد الله الطيب	طريق سمرقند
١٤١	محمد محمد علي	إين السراري
١٤٧	ادريس جماع	شاعر الوجدان والأشجان
١٤٨	مصطفى عوض الكريم	أمنة : قصة الحياة
١٥١	تاج السر الحسن	الكسوخ
١٥٤	جيلي عبد الرحمن	هجرة من صاي
١٥٨	محمد الفيتوري	يا قوت العرش
١٦١	صلاح احمد ابراهيم	في الغربة
١٦٤	صلاح احمد ابراهيم	الحاجة
١٥٧	مصطفى سند	الكمنجات الضائعة
١٧٧	محي الدين فارس	بلادي
١٧٩	النور عثمان أبكر	المنفى والمملكة
١٨١	محمد المكي ابراهيم	بعض الرقيق أنا
١٨٧	عبد الرحيم ابو كرى	البوابة والسدم
١٨٨	محمد عبد الحى	سمندل فى حافة الغياب